

محمد آدم

الأعمال
الشعرية والكافية

(الجزء الثالث)

اسم الكتاب: الأعمال الشعرية الكاملة (في ثلاثة أجزاء).

اسم المؤلف: محمد آدم.

الترقيم الدولي: ISBN: 978-9933-567-24-8

الناشر: دار عقل للنشر والدراسات والترجمة.

سنة الطباعة: 2019.

(الجزء الثالث)

جميع الحقوق محفوظة لدار عقل



يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار عقل للنشر والدراسات والترجمة

سوريا - دمشق - جرمانا - ص. ب: 249 جرمانا

هاتف: 00963115618956

00963115637060

خلوي: 00963932832010

aklpublishing@gmail.com

أسلاك شائكة

عن فتحي عامر الذي ذهب إلى البحر ولم يعد

أن تمتد يدك إلى الفكرة
أن تحصل على قليل من الماء لكي تتجرّع سحابه
أن تجلس إلى المائدة ليلاً
لتراقب فراشة ضالة
أن تعلق شمساً شاسعة على أنبوبة غاز
أن تذهب إلى الحرب
بقليل من الأصدقاء
وكثير من الخيائت
أن تقول للرب
وأنت تفتح نافذة بيتك الوحيدة
عم صباحاً أيها الرب
أن تكتب على الأسلاك الشائكة قصيدة حب
لامرأة
لا تبادلك الرغبة
أن تنام عارياً
وشبه أعزل
حتى من فكرة الموت هذه
أن تجلس إلى جوار أحلامك
مثل الدببة الجائعة
والسحالي الصّخابية
أن لا تهتم بكل أفكار الفلاسفة
وكافة مزيقي النقود
ومخترعي الأسلحة الجرثومية
وآلاف الحروب الصغيرة التي تحدث في العالم
والتي يسفك فيها الدم للرّكب
- وكل ذلك -
من أجل الفقراء

أن تطأً بقدميك المعوجّتين
ظلك الذي يتبعك
مثل كلب
أن تتخفف من كل أكاذيبك اليومية الصغيرة
بقليل من اللامبالاة
والضحك
أن تنزل النهر مرتين
في نفس الوقت
وأن تجفف قدميك
حتى من السمك الميت
أن تغمص عينيك قليلاً
وتحدق جيداً
في السماء التي تنسحب إلى الواقع
أن
تفكّ حياتك
مثل عربة
وتقف بها على الأرصفة
لتبيعها كقطعة خردة !!
أن تبول على كل ما لا يعجبك في هذا العالم
بدءاً من الساسة
والرؤساء
وانتهاءً
بكل رؤساء الأحزاب الخونة
أن تصلي صلاة مودع
وتترك العالم خلف ظهرك
مثل بيضة فاسدة!
أن تضحك بملء فمك وتقول
فليذهب إلى الجحيم
كل مشعلي الحرائق

وسارقي أقوات الشعب
أن لا يكون لك هدف
آخر في حياتك
في ظل الظروف الدولية الراهنة
حتى ولو كان الذهب
إلى المرحاض !!
أن تسند رأسك إلى ظلك
مثل فكرة تالفة
وتضع إحدى قدميك
على الأخرى
ولا تعود تعباً بما كان وما سيكون
أن تضع في سلة مهملات
كافة القديسين
المجدفي الأفواه
وكل الأنبياء الكذبة
وتكومهم في حجرة متربة
وتغلق عليهم بالأقفال
أن تأخذ معك البحر في نزهة
خلوية
وبعيداً عن سياسة المد
والجزر هذه
أن تقبض على العدم من رقبتة
وتدقه بالمدقات
فلا يعود يطاردك
أو حتى يؤرقك
مثل حشرة بآلاف الأنياب والأجنحة
أن تسخر وبضراوة بالغية
من فكرة الزمان
والمكان

وتعتبرهما غير معقولتين
ولا إنسانيتين
أن تضع الحياة في جييك
كشيء زائد عن الحاجة تماماً
وتتبرع بها لأول عابر سبيل
أن تتوقف
عن صنع أوهامك اللامجدية
عن الخير
والشر
والإمام العادل
وسلطة الجماهير
عن الخير في ذاته
والعدم المحض
وكافة أكاذيبك المدمرة عن السلام
والحب
أن تقول عن حياتك
إنها تشبه إطار سيارة فارغ
أو عربة روبايكيا
أن تجتث من رأسك كافة الأفكار الزائفة
عن العالم الآخر
وأساطيره اللامجدية
عن الجنة
والجحيم
والعود الأبدي
وتناسخ الأرواح
بينما الناس يتضورون جوعاً
في الشوارع
ويبحثون عن لقمة واحدة في صناديق القمامة
كالخنازير

أن توقف رئيس الدولة
في إحدى الطرق الجانبية
لتسأله
عن فكرته الواضحة
عن العدل
والحرية
تلك هي على الأقل
حياة شاقة
لشاعرٍ عظيم !!

عن محمد مستجاب وزوربا اليوناني

لنسهر الليلة فوق جبل جلعاد
أنت تدخن الحشيش
والماريجوانا
وأنا أتلقف حليب الزرقة الغاوية
لا تبتئس أيها السيد محمد مستجاب
فليس للزمن وجود
وليس للمكان من معنى آخر
سوى تلك الروح القلقة
التي تتلفها وراءك
مثل سلة من المحار
أو تلك الفكرة التي تقيم عليها مقبرتك
وبعيداً عن مدار الجاذبية
تحت قبة السماء التي تغويك
وليس ثمة شيء يمكن ليدك العليلة هذه أن تكتبه
سوى تلك النثرات الصغيرة
من السيرة الذاتية لبطلك المفضل
نعمان عبد الحافظ

لا!!

لن تمر عليك أوائل النسيم
وكما كانت تفعل من قبل
لا ولن تخطفك بنات القمر المسحور
لتلف بك على جمل أعرج
في ليالي الحصاد
والصيف
وسوف تتوقف بمفردك - ولمرة استثنائية -
عند حقل من الفلّ البلدي
والذرة العويجة
لتجمع القليل من الحطب البارد
والحشائش الذابلة
لزوم ما يلزم
وما لا يلزم
أعرف
أنك في الفجر سوف تغادر هذه القرية اللعينة
ديروط الشريف
وسوف تترك حصانك الخشبي
وتحمل فوق ظهرك بقجتك الخالية
كصياد لضفادع برية
وسحالي
وتخرج إلى الغيطان المغبشة بالجوع
والسل
لتأمل قطرة صغيرة من الندى الجارح
تقف شاردة
على ذؤابة شجرة التوت التي أطعمتك
لبنها الحاف
وأوتك في حضنها الرحيم لبضع سنين
وها أنت ذا

تقاتل الزمن كأحد البدو الرحل
أو المتسولين العتاة
وهو يقترب منك بأسنانه الفراسة
ونواجذه الصدئة
ربما
يقترب الفجر منك
وأنت في حالتك هذه تدعك عينك المعطوبة
بعصير النوم
والتوتياء
لتأمل كم هي جميلة كل هذه النجمة
وكم هو فاتن كل هذا العالم !!
ولم يكن يشغلك الأخوة كارامازوف في شيء
ولم تفكر لمرة واحدة في مصير راسكولينكوف
الاستثنائي
بل على العكس من ذلك تمامًا
كنت كشجرة سروٍ ضريفة
على كافة السكك التي تسكنها في الليل
وتحمل في جيب بنطالك المرقع
قصة تشيكوف الأثيرة لديك
- موت موظف -
إلا أنك وفي الحقيقة
وكما صرحت بذلك أكثر من مرة
كنت مفتونًا بشخصية واحدة على الأقل
هي زوربا اليوناني
ذلك العدمي الرائع
المفتون بالعالم
والساخر الفذ من كل شيء في هذا العالم
بدءاً من الموت
وانتهاءً بالوجود ذاته

مما جعلك تركب كافة القطارات المتعاكسة
في نفس الوقت
لتطل على العالم
من شرفته الساخرة
المليئة بالحكايات المرة
والأكاذيب السوداء
الأمر الذي كلفك ثلاثة مليمات ونصف
دفعتها عن طيب خاطرٍ
لقاء تلك الرحلة المقدسة
التي بدأت من ديروط الشريف
وانتهت
على عتبة الرب الرّنانة
بضحكةٍ ساخرة
وها أنت ذا
تحمل بقجنتك الأثيرة لديك
والتي تمتلئ بالضفادع البرية
والسحالي العملاقة
لتقف بمفردك تحت تلك السماء الواطئة بنصف عين
كأحد القراصنة القدامى
في انتظار أن تفتح لك السماء
أبوابها الواسعة
ودون أن تعطلك
ولو لدقيقة واحدة !!

يوسف الصائغ

ولأنك أكثر من شاعر
سأعلق قمراً أخيراً على باب بيتك
ولا أدع العتمة تتسلل إليك أبداً

أنت أيها الضليل الذي لا يلعب إلا مع النجوم دائماً
ولا ينام إلا في بيت الطاعة
سنواتك العارية التي أنفقتها بمفردك
وعبر زنانات الوطن
لم تكن سوى حقل حناناتٍ
وأودية ماس !!

بماذا تفكر الآن يا صديقي اليسوعي
وعلى أي دكة خشبية تجلس في شارع السعدون ؟
ربما

تجلس تحت قدمي أبي نواس
ذلك القابع في ركن الذاكرة الخربة
كتمثال لأحد الأنبياء القدامى
أو ربما أحد مقاتلي جيش علي بن محمد !!
هل تبني نفقاً في الأرض
لكي تصعد إلى السماء خطوة خطوة
أم تقف وحيداً على جسر الحرية
لكي تجمع الدماء التي تتساقط من تمثال بدر شاكر السياب
وقصائد عبد الوهاب البياتي
وحجرة سر كون بولص
ومن سروال قديم لجان دمو
سقط فجأة
تحت سنابك الخيل المغولي
لكي ترفع مذكرة إلى السماء
التي تتهمها فيه وبعمق
بالانحياز الكامل إلى قوات التحالف
لا تبتئس

أيها الولد المحب !!

لا تبتئس

فلأنك أكثر من شاعرٍ

وأكبر من خطيئة
مقدسة
سوف تأخذك الشفقة قليلاً على ماء دجلة
الذي صار بلون الدم
وسوف تقعد على الرصيف الموازي لفندق الرشيد
والذي صار مركزاً لقيادة قوات التحالف
بعدما كان يتجمع فيه كوكبة من الكرادلة الشعراء
ومحبي الوطن
بعيداً عن أعين الديكتاتور
لتجمع ألف جمجمة
وجمجمة إلى جوار ألف نجمة ونجمة!
وسوف تخرج في الليل كالضليل تماماً
وكما يفعل آخر قط بري
لتضع - كذلك - ألف رأس مقطوعة
كتذكّار أخير على الحرية
وتضعها في سلة من النخيل
والقصب العراقي
بينما تُدخل يدك في جيبك الذي صار مثقوباً
مثل وطنك
تماماً
- بفعل الرصاص
والخناجر المدببة
وطائرات الأباتشي
ونظارات الرؤية الليلية -
لتُخرج مليارات الأحلام التي سقطت على الأرض فجأة
وداستها الأقدام المتوحشة لجنود اليانكي
وأحذية المجنزرات الثقيلة
والتي نسيها أصحابها في لحظات الجحيم
والقصف

ولتتناول وجبة من الخبز
والزيتون
مع صديقتك الحرة
على كرسيٍّ بئس
في مقهى شعبي من مقاهي الكراة شرق
أو سوق الشورجة
كل ذلك
وبعد أن تكون قد استيقظت تماماً
في العاشرة صباحاً - كما هي عادتكَ دائماً - كوعلٍ
وأعمى
لتبحث عن نجمة الفجر
التي أفلتت !!
ومثل جنرال الجيش الميت في رواية إسماعيل كاداريه
سوف تظل تبحث عن أسماء الشوارع التي اختفت
من على الخريطة تماماً
ونهايًّا
وكذلك عن عددٍ من نياشين أصدقائك القدامى
التي دفنوها
في المقابر التي تملأ الهواء
ولا تظهر إلا عبر شاشات التلفاز
بينما يظهر السيد جورج بوش كأحد رعاة البقر
في صحراء السماوة
أو على حدود الربع الخالي !!
هل تفتش عن الكلمات الأخيرة لكناسي الشوارع
وبائعي المرطبات
والجيمر
وقبل القصف الأمريكي للمدينة بثلاث دقائق
ونصف ثانية على الأقل ؟!
صديقي يوسف الصائغ

أيها اليسوعي
ليست الشوارعُ التي نعرفها بسيماها فقط هي التي اختفتُ
وإنما الشعراءُ كذلك
أولئك الغواة الذين قرّروا في لحظةٍ واحدةٍ
أن يهجروا المدينة - مرةً -
وإلى الأبد
بلا قصيدة شعر واحدة
أو حتى تفعيلة رجز أخيرة
مما أجبر المدينة الحزينة أن تمشي وراءهم
وهي بملابس الحداد
وكما يليق بشعراء غادروا المدينة
ودون أن يذرف أحدهم دمعة واحدة
على بوابة بغداد
أو البصرة
أو تحت تمثال بدر شاكر السياب
على شط العرب
وإنما أخذوا يكوّمون أوجاعهم
والتي تشبه حويصلات الطير
في أنبوباتٍ اسطوانيةٍ
حتى لا يتعرف عليها أحد
أو يسألهم رجال الجوازات عن مصدر تلك الأحرانِ
والتي نجحوا في تهريبها أخيراً
وبعد صعوبات جمة وبعيداً عن السلطاتِ
التي أخذت تصوب بنادقها
نحو قلوبهم
التي تحمل خرائطَ سريةٍ لأوطانهم
تلك التي أخذت تنمو من جديدٍ
مثل فطرٍ
على رئة البحر.

إبرة الحظّ

بمعاولنا الصدئة هذه
سوف نكنس حجارة السماء الواطئة
ونتوقف قليلاً على إبرة
الحظّ

لا

لكي نحكي عن سمكة الروح الشريرة
أو حتى نفتش عن القوة الدافعة
للتطور الخلاق

لهذا العالم
أو ذاك

بل

لنتوقف بإزاء حياة عابرة

لا تلبث أن تزول

أو حتى تختفي

تحت أول بلطةٍ

لعابرٍ سبيلٍ !!

وسوف نطوي السماء العليمة كذلك

بيدين عابرتين

وخاليتين تماماً

من الفوضى !!

حتى إذا ما وصلنا إلى الطرف الأقصى من هذا العالمِ

ودققنا النظرَ

في كل تلك الفجوات العميقة لثقوب السماء السوداء

أدركنا على الفور

أننا دخلنا غابةً متفحمةً

من التصوراتِ

والرؤى

والتي لا تلبث أن تتلاشى
وأن الزمن ما هو إلا ساعة ميكانيكية
تعمل وبيطءٍ
وفق الإرادة العمياء لكل هذا الكون
وأن ما كنا نحسبه هو الصواب بعينه
كان هو الخطأ الفادح
في نفس الوقت !!
فإذا ما بحثنا هناك بحرية وعمق عن الله
ذلك الجالس على عرش العالم
بقدميه الهائلتين
وملائكته الغلاظ
أو حتى
أي أثر من آثاره البطولية المخلوطة بالنعاس
والزمن
أدر كنا على الفور أننا
كنا نبحث عن إبرة الحظ
العائرة !!

خطاب البهجة أو ملاك النظرة الأخير

[في مديح السيدة ج. عبد الحفيظ
المرأة التي بكثافة الملائكة وخفة النسيان !!]
عينك
تخترقان حجب الزمن
والنسيان
وتحطان هنا أو هناك على صخرة الروح
التي تندثر
مثل فكرة بلا خطأ واحد
أو حتى ملاحظة أخيرة من أحد !

أيها الزمن !!
أيتها الحشرة السامة
ويا صانع السراقات
والعزم
كيف حافظتَ وعبر كل هاتيك السنوات
بمهارة لاعب سيرك
وحذق عازف أورج ضريز
على هاتين العينين الواسعتين
الرائعتين
وذلك رغم صخورك التي تنحدر
ولم تقدر يدك المسننة هذه
أن تزيل من على حوائط الذاكرة الدبقة
شكل الضحكة الوحيدة
التي برّنة الفراشات
وحيوية جذع أعزل
ولم تعد تعرف كذلك
- حتى ولو لمرة واحدة -
وعبر أنيابك القوية
أن تقتلع من على مرآة الزمن الضحلة
هواء تلك المرأة الغامضة التي تسكن الروح
بكثافة الملائكة
وخفة النسيان
تمهل أيها الزمن
تمهل!
ولا تكن مثل بحار وأعمى
فصوت خطواتك العليمة المدربة يتردد عبر كل شيء
بدءاً من الضوء الرّاسخ
وانتهاءً بلحظة الموت الرّنان
وحفلاته التنكّرية

وذلك
رغم أن نظاراتك التي تجري على المحطات
والأرصفة
لتمسح كل شيء على الأرض
لا تترك سوء بقع من الغبار والدم
على سلم الذاكرة المتآكل
أيها الزمن !!
يا خطاب البهجة
توقف
واترك - لي - تلك الضحكة الناعمة التي تحتفظ
ببلاغة النسيان الخالص
وفكرة الضوء
ولا تجلس على باب بيتي مثل حدادٍ
بسندباناتٍ
ومطارقٍ
واترك لي قليلاً من الوقت
حتى أتذكر تلك الشفة التي تعمل كمستعمراتٍ نائيةٍ
وقبل أن تتحول إلى قارةٍ
غارقة!!
أيها الزمن
يا خطاب الموت
ويا خطاف الزمن
لا تترك لخيولك الصاهلة المتوحشة والمدوية
عبر الأفق
وزناناتك الواسعة بحجم الهواء
أن تدوس بحوافرها التي تطق بالشرر والحتف
على تلك النظرة اليتيمة
الملقاة
على قاع الذاكرة

كتذكّار أكيد لبحارٍ ميت
وعلامه نهائية
على صلابه هذا العالم
وتماسكه .. !

الشيخ الرئيس ابن سينا

ترى
لماذا أغمضت عينيك عن طريق الجنة الآن
ووقفت بمفردك على مفازة الجحيم
مثل كلبٍ صيد
يتشمم أخطاه التاريخة
ويلحس ذيله الطويل بتمعنٍ
وأنفةٍ
فيما يبحث لنفسه عن مستقرٍّ
ومستودعٍ
في مسلسل العقل المنفعل تارةً
والعقل الفعال تارةً أخرى !!
وفيما كنت تبحث كذلك عن مراوغة العقل الإنسانيّ
في كافة الخرائب التي خلفها وراءه الرب
كنت تشمم الضوء بأذنيك المدربتين جيداً
على السمع والطاعة
بينما يقبع في داخلك ذلك الشيخ المسنّ
الذي يقبض بكلتا يديه
على حشرة الرغبة السامة
والصلاة القائمة
كما كنت ترى أيها الشيخ المسنّ - وبمجرد النظر -
أن الزمنَ مثل حفنةٍ من الغبار
يمكن لك أن تستدرجها أو تختزنها في أواني الذاكرة الهَرَمَةِ

ويمكن لك - كذلك - أن تستنبتها في أصصٍ من العَاجِ
أو البلاستيكِ

كما يمكن لك أن تلمسه أو حتى تدركه بالعين المجردةِ
وتستطيع أن تفحصه ذلك الزمنُ الكلبُ

مثل بعوضةٍ لزجةٍ

حتى لا تتعطل آلة الرؤية الوحيدة التي لديك
أو تشغلك عن مراقبة تلك الطيور السماوية الضالةِ

التي تهبط عليك من الجحيم فجأة

أو تنزل من الغيم

مثل طبق طائرٍ

وها أنت ذا تفركه في لحظة من العمى

والتعب

الزمنُ !!

بين أصابعك الخمس

لتخلص منه وبحركة عفويةٍ مثل نغمة نشازٍ

أو كشيء زائدٍ عن الحاجة تماماً

إذ ليس ثمة معنى لكل هذا العالم

سوى الفوضى !!

هكذا

وكما يفعل السفهاء من الناس تماماً

رحت تجلس على السكك التي تمتلئ بالبعوض والقمل والذبابِ

والوحوش المدربة على القنص والقتلِ

وكافة الفرائس التي تنهش لحمك الحيّ

وكلاب السلطة ذات الرائحة الزنخةِ

لتعرض عليها في أوقات فراغك

ومعاناتك

بضاعتك المزجاة عن العقل المنفعل تارةً

والعقل الفعّال تارةً أخرى

ولم تكن وحدها تلك كافة المرايا التي تحملها بين جنبيك

مثل حبة من خردلٍ
أو هي ثمرتك الطازجة الوحيدة التي تحتفظ بها في جرّتك
أو تحت قبو بيتك المزدان بالجماجم الفارغة
والمجلدات المنقوعة في الماء الأسن
والنعاس الحارّ
وإنما تلك الروح المتأنقة الشرهة
والتي تقف شامخة
على بوابات الجحيم
وكافة القلاع الصدئة الراسخة
للروح التي تهيم دون أن تعباً أو تهتمّ
بكلّ تلك الطيور السماوية الغريبة ذات الرنين
من فصيلة العين الواحدة
والتي ترفرف بمناقيرها المعوجة عالياً
بينما تقف كافة الأفاعي التي هربت من الجحيم فجأةً على مقربة منك
لثلتهم ثمرتك الغضة
التي تفرعت
على كافة الطرق.

سليم السامرائي

لماذا يطاردني صوتك أيها الخنزير البري
مثل مجنزرة على بوابة أم قصر
ألا زلت تأكل - الجيمر - و - السمك المسجوف - تحت طهيرة واطئة
وتتحسس خلايا جسمك المعطوبة
خلية خلية
لتنقيها من الشظايا العالقة
والدم المغشوش
وطلقات العدو المطاطية
وأنت تتمشى بمفردك على شاطئ الفرات

طيلة ثلاث ليالٍ سوياً
لم تذوق فيها طعم النوم ولو لدقيقة واحدةٍ
ولا تكلم الناس إلا رمزاً
خشية أن تصيبك الطائراتُ المغيرةُ بالقنابلِ
الفسفورية
وأرق الصحيان الدائم
بينما تمسك بيدك الأثيمة نجمة الفجر التي لا تطلع أبداً
وأنت تقف في الظلام كمتسولٍ وأعمى
- أمام بوابة هارون الرشيد -
منتظراً أن يخرج الحجاج بن يوسف الثقفي
وفي يده مسبحة الكهرمانية
وسيفه المصنوع من الذهب الخالص الذي يلوح به على الخوارج دائماً؟!
ألا زلت تتذكر الإمام على في خطبة الجمعة
وهو يندد بالاحتلال الأمريكي للمدينة المقدسة
في النجف
وكر بلاء
بينما يقف الدم العراقي ضريراً
وشبه أخرسٍ
وهو يشاهد جثة الحسين
ورأس الإمام جعفر الصادق وهي
تجرجر في الشوارع على مرأى ومسمع من العامة
ورجال المخابرات الأمريكية
- كحالة عبثية للتاريخ الإنساني -
في نوبة من نوبات ضحكاته الساخرة
بينما تحتفظ أنت ومثل تينة معطوبة بين شفتيك المجففتين
بنجمة منطفئة
كنت خبأتها في زمان الطفولة
ونزوات الصبا الجارحة :
يا زمان الوصل بالأندلس

جارك الغيث إذا الغيث همى
لم يكن وصلك إلا حلمًا... !!
أيها المعتزلي الأثيم
ألا زلت تتذكر عبد الوهاب البياتي
ببدلته المغسولة بماء السماء
والمصنوعة من القصب العراقي وجمار النخل
فيما كان يخبيء في جيب بنطاله الكاكي قمرًا عراقيًا
نجح في تهريبه أخيرًا
من أربيل إلى السليمانية
ليستقر فوق جبل قاسيون
بينما يجلس على أرصفة دمشق كأحد الدونكشتيين العظام
ليلقي بقصائده التي تشبه الهواء
إلى الهواء
ويمسك بكلتا يديه صنارة الريح
وكثيراً من الموشحات الأندلسية!!
ألا زال بدر شاكر السياب
يقف بمفرده على شط العرب
ويتذكر وفيةً وجيكور
أم أن الطيور السماوية التي هربت من القصف المدفعي
والصاروخي
لتعبر الفرات
ما عادت هي الأخرى تحطّ إلا على بوابات أبي غريب
ومعسكر الرشيد للعراقيات المخضعات
والنشامى
وتقف مكبلّة أمام جون أبي زيد
والحاكم العسكري السابق للمدينة السيد برايمر
هذه الطيور التي تقف مكسورة أمام مكتب الـ UN
وقوات التحالف
لتلقى المعونات اليومية من الخبز والدقيق

وتنظر إلى الحرية باعتبارها أحد التماثيل التي صنعها الديكتاتور
في أيام مجده
ولتشكل في نهاية الأمر طبقاً اصطناعياً
لا يلتقط سوى الإشارات الإلهية للسيدتين جورج بوش وتوني بلير
وهما يقفان في شرفة فندق الرشيد
- باعتباره المقر الصيفي لقيادة قوات التحالف الأجنبية -
وها أنت ذا تضحك في كمك الذي يمتلئ بالأغاني
بدءاً من أغنيات القبانجي
وناظم الغزالي
وناذك الملائكة
وانتهاءً بصوت كاظم الساهر
وهو يقف على بوابات بغداد
في انتظار أن يحصل على تأشيرة الدخول إلى الرصافة والكرخ
- عيون المهابين الرصافة والجسر -
لكي يغني لكل العصافير التي هربت من بغداد
في ساعة القصف الرحيم للمدينة
وظلت واقفة على الحدود
في انتظار أن يسمحوا لها بالمرور
من بين كل تلك الأسلاك الشائكة
وأختام الـ CIA
ما الذي يجعل الهواء جريحاً وإلى هذا الحد
ما الذي يجعل الزمن يلبس شارة الحداد
وهو يجوب شوارع الأعظمية بحثاً عن جبرا إبراهيم جبرا
وسركون بولص، وسعدى يوسف، وحسب الشيخ جعفر
ويوسف الصائغ، وجان دمّ، وجواد الحطاب
وخزعل الماجدي، ومحمد خضير في درجة حرارة 45 مئوية
تحت الصفر
محمد خضير ذلك الأخضر الأخضر
القابع في ركن من أركان البصرة كأحد العشثارين القدمى

ليراقب التاريخ من فوهة غرفته التي تشبه السجنَ
وهو يمرّ تحت شرفته حاملاً في بقعتهِ
أحذية جانكيز خان وأوسمته
ورايته المصنوعة من جمجمتينِ
وعين منجرحةِ
فيما يعبر الفرات على كتب اللغة والنحو
واديوان المتنبي
ومخطوط التوحيد في الإشارات الإلهيةِ
ويدهس بنعليه الثقيلتين
رأس واصل بن عطاء
فيما يبول بتلذذ وأنفةٍ على المنزلة بين المنزلتينِ
ويجرجر وراءه ملايين الجثث
التي حولت ذلك النهر الكبيرَ
إلى دمةٍ منكسرةٍ
بحجم السماء !!

جواد سليم

يدك

التي تنسج من حجارة الطريق أنشودةً قويةً
وتشبه السِّل العراقي
لبغداد الجريحةِ
في ساحة التحرير
يدك هذه
وردة حمراءِ
فوق سترة العمالِ
والموظفين
وبائعي الجيمر
والمرطبات

كنت يا جواد سليم تعرف كيف تخلط الملاط بالسماء
والمشاحيفَ
بجامعي البوص
والسمك الميت
لا لكي تشم هواء الحرية الضخم
عبر اللوحة
وإنما لتقتنص من الضوء خيطاً سميكاً
ويشبه الدم
في تأوهاتِه
وأنت تمسك الفرشاة
بأصابعك التي تعرف كيف تضع المتنبي
بجوار رشدي العامل
وبدر شاكر السياب
إلى جوار الحلاج
والسهروردي
والجنيد في سلةٍ واحدة
مع شيركو بيكه س⁽¹⁾
وألف ليلة وليلة إلى جوار نهج البلاغة
وشرح ابن أبي الحديد
لتجليات الإمام علي بن أبي طالب
ولم يكن ينقصك في تلك اللوحة زهوة اللون
بقدر ما ينقصها الإطار
وكنت - أنت يا جواد سليم - ككل قصاصي الأثر القدامى
تعرف كيف تتبع طائر القطا من بلدٍ إلى بلدٍ
في تأرجحاتِه
عبر صحراء السماوة البالغة القيظ !!
ما الذي ينقص لوحتك الآن يا جواد سليم

(1) شاعر كردي كبير.

أهو اللون الأزرقُ
أم قلم الكحلِ
الذي علقتَه في رقبة أبي نواس
ذلك القابع في ركن مهملٍ من المتحف الكبير
وهو ينظر من خلف نظّارتيه السميكتينِ
إلى خشفتي جنان المستدقتينِ
وصدرها المُفلِق
كحبتَي رَمّان آسيويتين
بينما تمسك بكأس الخمرة وتمضع بين شفّتيك الكهرمانيتين
أغنية القمر العراقي اليتيم
ما الذي ينقصك الآن يا صديقي جواد سليم
أهو القبانجي في مقام الصّبا
أم هو ناظم الغزالي
تحت خيمة الحجاز كار؟!
وهو يصعد السلم الموسيقا بطبقاته المأخوذة طبقةً طبقةً
فوق دجلة الكليم دائماً
هل تنقصك مخطوطات الخليل بن أحمد الفراهيدي
في علم العروض
أو لسان العرب لابن منظور
أم أغنيات البدو الرّحل
وأناشيد الرعيان الأوائل
فوق جبل حاج عمران
ومندلي
وعلى مشارف زاخو الملائنة بالجوعى من الأكراد
وهم يجمعون في صفائحهم بَعْرَ الآرام
من فوق حقول الألغام التي زرعتها قوات التحالف
فوق نجمةٍ مرتدةٍ
هناك
بجوار مقبرة الإمام علي

وضريح السيدة فاطمة الزهراء
بينما
يقف فائق حسن بقدميه الخشبيتين
مثل طائر الحجل
لكي يرسم حصاناً برياً
بحجم دمة الرب
الكسيرة!!

صلاة قانا

نحن الذين أتينا في زمن الغزوات
والحرب
ولم يكن لنا من حظٍّ لتتوقف قليلاً تحت كل هذا الهواء
وكل هذه الشمس
نحن الذين توضأنا بالدم
في اليوم والليلة خمس مراتٍ على الأقل
نحن الذين صمدنا
ولآلافٍ من السنوات
فوق هذه الأرض
لأنه لم يكن لنا من أرضٍ
غير هذه الأرض
حتى تحسّسنا الهواء بسواعدنا المكّلة
باليقين
والرغبة
نحن الذين أنبتنا ضحكة الفجر الرّنانة
وبلباقةٍ
على حافة الليل الكليم
ولم يعد لنا من مبرر خالص وداخل أسوار كل هذا العالم
سوى أن نتوقف بإزاء صلواتنا التي لا تنتهي

وكلماتنا التي تشبه الروث الجاف
حتى يغمرنا السلام
وتعمنا
النعمة
بدلاً من اليأس
والعمى
نحن الذين أجلسنا النهار حتى على صخرةٍ مبلّلةٍ
وبجوار صرخاتنا المزمنة بالألم !
كنا
نتعلم كيف نمضي أوقاتنا الضحلة
بجوار ضحكاتنا التي تشبه الحصى
لا
لن يهزمنا كل هذا النهار
بمراراته
وخيالاته التي لا تنتهي
لا
لن يهزمنا كل هذا الليل بجيوشه الجرارة
وأسلحته التي تشبه القنابل العنقودية
لا
لن نتوقف بإزاء كلمات العدو المطاطية
وضرباتهِ الساحقة
ومعاوله المسننة بالخرابِ
واليأسِ
وسوف نتوقف بإزاء كل هذه الوردة
لتتعلم منها معنى الربيع
لا لن نتوقف عن السمع والكلام
ولا حتى عن فطرة النظر
لأننا نعرف كيف تتسع حلوقنا للغناء دائماً
وكيف تتطلع عيوننا

إلى شرفة الفجر الميَّالة
سوف نتشبت بالأرض
ومثلما نتشبت بالهواء
والحلم
وسوف نقولُ لأطفالنا
أمكثوا قليلاً فوق كل هذه الأرض
إلى أن تطلع نجمة الفجر
يكفيكم كل هذا الندى
يكفيكم كل هذا العشب
وتكفيكم كل هذه الأغاني
وسوف نقولُ لكم أخيراً
اغفر لهم يا أبي
ومثلما غفرت للذين من قبلهم
لأننا
ومن فوق هذه الأرض
نعرف كيف نحْيِي السلام
بأذرعنا التي تنز بالدم
والشرف !!

لم يكن هناك أحد ليكي عليّ

إلى جميله حسن نصر
أمي !!

لم يكن هناك أحد ليكي عليّ
لقد استشرت أنفاسي
كانت أوردتي تتطلع إليّ بضجرٍ وحنانٍ
لقد استشرت مفاصلي
كانت روعي تتوكأ على عكازٍ

وأعمى
مشوّه
أبكم
وأصم
إلى درجة الفطام
انتظرت ألف سنة وأنا أتابع صراخاتي
التي تشبه جوف القفر
أو تلك الكاتدرائيات المفتحة
كانت جراحي التي تصاعد إلى السماوات
مثل درّاجة هوائية
وفي فجواتٍ
بحجم الكرة الأرضية
لم يكن هناك أحد ليكي عليّ
فقط
كانت هناك
ضحكاتي التي تُشبه الأرضة
وكلماتي التي تتفوّق على العدم ذاته
لم تكن تلك حياتي التي أريد أن أبتكرها
لقد كانت أحبولة
وبصدق
الأمر الذي كلفني أنشودةً قويةً
لكي أطارد الريح
لقد كنت أطارد الأسى
لا الدمع
كان الدمع مثل قمرٍ متفحمٍ
على عين فراشة منجرحّة
وكان الأسى مثل أسد رابضٍ في الفم
وكنت أتلاعب مع الفوضى
بيأسٍ كاملٍ

وعصى بخيباتٍ

وشخايلٍ !!

وهأنذا

أعطّل درّاجاتي الهوائية على شفير الهاوية
لأركن حذائي المتسخ بالعالم
على رصيف السماء الخالي من المارّة تماماً
كيف لي

وأنا الجالس على فوهة العدم هذه
أن أظأ كل هذا العشب الشوكيّ
والطحالب المسننة

التي تنمو وبغزارةٍ على عشبة الروح المسوّسة ؟!
ومن أين لها أن تعرف كل هذه الطحالب
ما هو الألم ذو الأنياب والوطء
ولا ما هو الزمن ذو السكاكين والأيد
أو ما هي الروح ذات الصدع
والحراشف !!

وبأية آلةٍ حادةٍ يمكن لي - أنا الجالس
على سفينة النسيان
هذه -

أن أكشط من على هواء الذاكرة المالحة
كراهيتي الكاملة
لكل هذا العالم
كيف لي أن أقلب كل هذه المائدة من الأساطير والخرافات
التي يجلس عليها الرب
في مواجهة الشيطان
بينما هما في عراقٍ دائمٍ من الأزل للأبد
وأنا بينها مثل كلبٍ وبلا يقين
كيف لي أن أصرخ بملء فمي لأقول
إن الجحيم إحدى شراكه القوية

حول روعي التي كَلَّت من الوطء
والوخذ !!
كيف لي أن أقول إن الوجود الإنساني
فارغ
ومثل حشرة في دورة الزمن
وأن العنف في الساعات
سوف أجلس على رصيف الحياة المبجل
وأتابع تحركاتي إلى أن تحتضر الشمس
أو تمور الجبال مورا
وبلا يأس كامل
أو حتى ندم بليغ
سوف أترك لروحي المتسخة أن تنام
على عجلة الأبدية
إلى أن تكتشف هي الأخرى أن الوجود لا شيء
لقد كانت حياتي لعبة خاسرة بالأساس
أو مسرحية فجأة على طول الخط
أسرفت في البكاء لحد الضحك
وأسرفت في الضحك لحد البكاء
أنتهز هذه الفرصة لأقول
لقد كانت حياتي .. بصلة وبلا شفاء من أحد
أو حتى ربيع وحيد !!
لقد عقدت اتفاقاً نهائياً مع العالم
أن آكل أمعائي في الصباح
وفي الظهيرة
أجلس إلى طاولتي الخشبية لأنظفها
من كل تعب النهار !!
أن أضع أحلامي وكافة كوابيسي - الليلية
والنهارية - في درج مكتبي
وفي الليل أعود لأعبث بأسنانها التي كالأرانب وأفكك بنظلماتها المرقعة

أعرفُ

أعرفُ

أن كل هذه الأحلام التي صنعتها من أكياس البلاستيك

ونفايات النايلون

كثيراً ما أرضعها على أرضية الزمن الرطبة هذه

لكي أعرضها على المارة

بشمن بخس

أو لأعدّد عليها شكل سنواتي الضالة وعددَ خيباتي اللانهائية

أرجوكم

لا تنظروا إليّ بشفقةٍ

مثل فأرٍ ميت أو خبيزةٍ نادمةٍ

على الأقلّ

لقد حضرت حربين عالميتين

وحفرت الآلاف من الحفر البرميلية

وخرجت من كافة الحروب التي دخلتها

بطلاً

وبلا إله واحدٍ

أو حتى أنبياء قدامى

لقد أجهضت الملايين من الأحلام الصغيرة

من على مائدتي المتسخة هذه

وعبر هذا الليل الرّنان

انتظرت مشهد الفجر

وهو يطلع على عصا الليلِ البردانةِ

لمرةٍ واحدةٍ على الأقلّ ... !!

شاهدت المسيح وهو يمشي في الأسواق

بينما يكرز بمعمودية الدّم

بجسده الذي يبك بالآلم

وكلماته

التي تشبه الحصى

لم يكن هناك من أحد ليكي عليّ
أنا الذي أسرفت في البكاء لحدّ الضحك
وأسرفت في الضحك لحدّ البكاء!!
استنهض الغبار وأقول له:

سلاماً

سلاماً أيها الغبار الرّاسخ مثل فمٍ
لم تكن في يوم من الأيام بلا قدمين ضاليتين
أو حتى عجيزة ضامرة
لم تكن بلا أحلام أو حتى إقاماتٍ على الأرضِ
ولم تكن كذلك بلا أسنانٍ
أو حتى أنيابٍ!!

كنت تأكل الحشود مثل حشرةٍ
وتنام على مخداتي مثل يرقّةٍ
أيها الألم يا أنقاضي المسترة
ويا أجزائي المنبثة من العالم

وأنت يا روعي

لم تكوني أبداً

بنت الطبيعة الحية

أو الميتة على السواء

كنت طبيعَةً وكفى

أعرف أن الحياة صعبةٌ وبلا ميكانيزمات

وفي داخل كل هذه الصحراوات التي تضج بالحركة

والتي نسميها أرواحاً

سوف نركب الموت على سقالاتنا التي

بحجم الكرة الأرضية

ونقول له:

أنت حصاد وأعمى

سوف نترك لك بيوضنا التي نسيها الزمن

على رصيف الأبدية الفارغ

فالتقطها
واصنع لنفسك منها أرغفةً على حجم مقاساتك
أيها الهالكُ المهلك
سوف نتركك تعوي على الطرقاتِ
- مثل كلبٍ
إلى أن تقبض بنفسك على رقبةِ
الحياةِ
أو تشدها من غلاصمها وتقول لها:
أيتها الحياةُ ..
أيها الزمنُ ..
أيتها المقبرةُ الإلهيةُ
ذات الأبهة!!

أحلام كرتونية

سوف نسند قامة هذه السماء العليمة
ببطءٍ
وبيدين فارغتينِ
تماماً
سوف نجلس إلى رصيف خالٍ من المارة تماماً
ومن الآلاءِ
وسوف نصنع الكثير من الأحلام
ونضعها إلى جوارنا في قفصٍ مهمليٍّ من الكرتون
مثل طيورٍ إلهيةٍ
ملونةٍ
ربما لكي نحافظ عليها من اليأس
وحتى لا تقتحمها أعين المارةِ
أو تداهمها ريح عقور!!
فإذا

ما جاءتْ تلك الأحلام
أو حتى أصابها العطبُ من الخوف
وأصبحت على شفا حفرةٍ من الجنونِ
أو الموتِ
سوف نطعمها المزيد من الأحلام البائدةِ
والمقيدةِ بالسلاسلِ
وهناك ...
وفي آخر الليل
سوف نسندها إلى جوار الحوائطِ
المكللةِ بالعتبِ
والرَّشدِ
لا
لكي نشاهد نجمة الفجر التي لا تطلع أبداً
وإنما لنسترق السمعَ كذلك
إلى كل ما يعتور كل هذا الليلَ
من هزائم.

استراحة المحارب

لبرهةٍ
سوف نقنع أنفسنا برغباتنا القوية
في البكاء - على الأطلال -
مثل حمامةٍ ضالةٍ
أو نجمةٍ مراوغةٍ !!
وسوف نقول لشمسنا التي تميل إلى الزوالِ هذه
تحت سراويلنا المرصعة بالخيبةِ
والندمِ
أيتها السماوات
ليس ثمة أيادٍ أخرى يمكن لها أن تعمل

أو حتى تعترض طرقنا المتشابكة
والمتشابهة في نفس الوقت
سوى أنهارك التي أخذت تجفُّ
تحت أقدامنا المدرعة بالشقوق
والحراشف
وكأننا مجموعة من الغزاة والمرابطين
يجرجرون خلفهم أحذيتهم المدبوجة بالأشلاء
والتضرّعات
وأسلحتهم الصدئة التي دمرّتها الحروب
ولم نكن في يوم من الأيام مجموعة من الملائكة
يسحبون خلفهم أرديتهم الطويلة البيضاء
وحكاياتهم التي تشبه الأساطير والسلاحف
لينزلوا فوق أرض أخرى أقلّ قسوة
من كل تلك الأرض التي جدّنا فوقها وعمق
وتركنا هنالك فوقها أحلامنا المتهاكة
وكلماتنا التي تشبه الروث الجافّ
حتى احترقت عليها كلماتنا التي زرناها بأيدينا
على حوافّ قلوبنا المهترئة
والتي خدّدها اليأس
من فرط ما فكرنا طويلاً
في النسيان !!

جحيم بورخيس

لم تشأ الأقدار أن تمد إليك يديها الرخاميتين في ساعة النحس هذه
ولا أن تمنحك ولو لحظة واحدة من الشجاعة لكي تعلن الخلاص
على صخرة الآلهة المجوفة
التي تنتشف بالزبد المحروق
وكبريتات النحاس

وإنما كانت هناك تلك الآلهة البيضاء

التي فتحت عليك بوابة

الجحيم

لتنظر من خلال بوابتها الواسعة

الضخمة

على كل أولئك العميان

الذين سبقوك إليها بأناة وصبر

فقط

كان هناك ميلتون الذي فقد الذاكرة في المنفى

من فرط ما تورمت قدماه

وهو يبيع الليف ورقائق الخردة

بحقييته المجمعة

وشعره المنكوش الأكرت

ويتجول في ساحاتها الخربة الخاوية

التي اكتظت بالكفرة

والمشعوذين

فيما كان يحمل تحت إبطيه المعروقتين مخطوطاً كاملاً

من الفردوس المفقود

وتريزياس!!

ذلك القاحل الضريع

الذي يقف على بوابة أثينا السوداء

ممسكاً بعصاه الغليظة من البلوط

فيما كان يكرز بيديه الخشبيتين على

تمثال من الرخام الحي

للجميلة أفروديت

وها أنت ذا يا سيدي بورخيس تقف صامداً كأحد الثيران الجريحة

ومن خلال موسوعاتك المتربة

وكتب الهرامسة

والعرافين

والأطالس العملاقة المشبوكة على بكرة الخيط
تقف في شرفة مكتبتك التي تحتضن المحيط
على زاويتين قائمتين
لتجذف على الرب إلهك الحي
إذ تنظر إلى كل أولئك القراصنة
المكمني الأفواه
والحليقي الرؤوس الذين يمسكون بأيديهم البلط
والفؤوس والخناجر اللامعة المدببة
وهم يطؤون بأقدامهم أرض وطنك المدرج بالدم
لكي يحتلوا الميناء الشرقي للمدينة الجميلة
بيونس أيرس
ولم تكن لديك المسرفة في الغفلة هذه
أن تعرف الطريق إلى اللاتينية القديمة
لكي تبين حقيقة الأمر
تماماً
كما لم تعد تعرف الفرق بين الاستعارة الممكنة
وشرطة المرافئ
ولم يكن لكولمبس ذلك المتعجرف العجوز وهو ينظر من خلال آلة استطلاع
القديمة داخل قمرة المعتمدة على ظهر السفينة العملاقة إيزابيل
أن يقرأ في عينيك المطفأتين وهو يبحر بين الحيتان المتوحشة
وأسماء القرش الزرقاء
الخريطة المترامية الأطراف لأمريكا الجنوبية
تلك المتوحشة اللبوة
بأساطيرها المدهشة
ونسائها المتشحات بالجنس والشهوة
فقط كان البحار العجوز ينظر إلى عينيك المطفأتين كسهلين مقفرين
أو كاسطرلابٍ أخير
على مذبح الرب
الآن

وقد سبق السيف العزل
واختارتك السماء السوداء
من بين كل أولئك السفاحين والقتلة
لتكتب بيدك العميانية الأسطورة الأخيرة
للهندي الأحمر
ذلك المهزوم دائماً أمام كتائب الرب
وفيما كنت تتحسّس جسد امرأتك
بشفتيك المزوررتين
كشجرتي جوز ساقطتين
وفمك الذي يشبه البوغاز
وتجلس خلف أساطير اليونان السوداء
والآلهة المبجلة لجيل إيثاكا
كانت طيور الرخ العملاقة ترفرف عالياً
في سقف غرفتك التي تشبه السجن
والموشاة بآلاف المجلدات
والصور
وشرائح الديانات القديمة من
الصابئة
والمجوس والمندائيين والكلدانيين والآشوريين
وكل أنبياء العهد القديم
لكي تعيد رسم خريطة الزمن
على اسطرلابك المذهب
الذي اخترعه أحد جنود قورش العظيم
فيما كان يحاصر مدينة الرب المقدسة
أورشليم
ولم تشأ بكل ما تحمل من مرارة وكبرياء
أن تفتح فمك لتصطاد فراشاتك الطائشة الخضراء
أو لتلقط أنفاسك المجففة حتى تتمكن من كتابة قصيدتك الأخيرة
التي ترثي

فيها كل أولئك الهنود الحمر
الذين فقدوا أرواحهم
وهياكلهم المقدسة
ومُحرقاتهم هناك على مذبح الرب
فيما كان الرجل الأبيض
ذلك المخلص الجديد
يقتلع وبضراوةٍ بالغة كل تلك الأساطير والتمائيل
التي صنعها آباؤك وأجدادك
من أجل أن يقيم ناطحات سحاب عملاقة
وصواريخ عابرة للقارات
وقنابل هيدروجينية
تستطيع أن تعيد توزيع جغرافية العالم
وتقلب التاريخ رأساً على عقب
وذلك بدلاً من مملكة ابن الإنسان
ولكن هذه المرة
من بابل التي فقدت صلاحها أمام الرب
لكي تقف مصلوبةً
على بوابة أورشليم !!
سقطت
سقطت بابل العظيمة
ويل!
ويل!
المدينة العظيمة
المدينة القوية
لأنها تقول في قلبها أنا جالسة ملكة
ولست أرملة
موت وحزن ودموع
تحترق بالنار
لأن الرب الإله الذي يدين قوي

سقطت بابل العظيمة

هللوايا

هللوايا !!

كزار حنتوش

سوف أدهن السماء بدمعة كبيرة
وبأحدى أغنياتك التي تركتها على حجارة البصرة
وأدعو كافة العصافير التي طارت من ساحة الشهداء أن تحط على قبرك
الذي يشبه حنجرة باكية لسركون بولص
أنت أيها السيد كزار حنتوش
يا من قابلتني في ليلة عاصفة قرب ميناء البصرة ووقفت على دكتك الخشبية تنظر إلى
شط العرب باعتباره معجزة من معجزات الرب
لم تكن تمسك في إحدى يديك غير شمسك التي تبحث عن الدفء
هذه الشمس التي أخذت تتكوم تحت قدميك
مثل نبتة جافية
فيما ترفع قميصك المنسوج من الدم والأساطير
وتطوح به عبر سماوات كردستان
هل أخذتك العزة بالإثم وأنت تعرض جروحك على طاولة المفاوضات أمام الحاكم
العسكري للمدينة
بينما يقف على مقربة منك عقيل علي وهو
يحاول أن يربط بين دجلة والفرات بمنديل صغير لقروية صغيرة كانت تحلب النوق
فوق جبال كردستان ومشارف زاخو
هل كنت تحلم بوطن يشبه المستعمرات دائماً؟!
كيف أصبحت رثاءك اللتان تورمتا بفعل محبة الوطن مثل نهرين صغيرين من الدم
فيما العلوج الأمريكان يحتسون البيرة المثلجة والفودكا
على الطريق ما بين الرصافة والكرخ
ولم يكن ثمة طريق آخر يسلكه المندائيون
والصابئة

والكلدانىون
وكهان أور
والعبرانىون الأوائل
إلا ذلك الطريق الذي يمرّ بين شرايينك ودمك
ألم تقل لي
ونحن على مشارف العمارة
إن أزَرَ قد بنى خيمةً هائلةً للرب
فيما يسجد للبعل على بوابات بابل
كيف تركت قصيدتك هكذا عارية في العراء الضحل
ودون أن تقيم لها نصباً تذكاريّاً
أو حتى تنسج لها ويديك اللتين احترفتا كتابة القصائد
درعاً واقية من القنابل العنقودية
ودبابات ميركافا
التي تجوب شوارع بغداد فيما يعرف الآن بالمنطقة الخضراء لكي تحاصر قصائدك
هل أنهيت قصيدتك التي أخفيتّها في جيب بنطالك الخلفي وبعيداً عن أعين
الديكتاتور
وحين سئمت من المطاردة جلست في حانةٍ من حانات السليمانية
ورحت تبكي على امرأة تشبه شمس أرييل
لماذا قررت أن تموت الآن يا كزار حنتوش
وقبل أن ترى الوردة التي
زرعتها في دمك؟!

قصائد

إلى
شاكر عبد الحميد

(1)

تبتكر لنفسك شكل نافورة جديدة
وتحاول أن تصطاد ولو نجمة واحدة

بينما الأفق كله

معلق بغيوم نظارتك !!

(2)

ستضحك كثيراً

نعم سوف تضحك كثيراً

من هذه الغيوم التي تحاول أن تحرق أصابعك

ولكنك

وفي نهاية الأمر ستأخذ البحر ناحية الصحراء

لتلقنه أول درس

في النبل الإنساني.

(3)

الوحدة

هذه الوحدة اللعينة

الطيبة

المرحة

الشرسة

التي تخبئها في جيب بنطالك الأيسر

دائماً

سوف تتبرع بها لأول عابر سبيل

يحاول أن يقتنص من بين أصابعك

كلمة

كلمة واحدة فقط

تعرف كيف تغيّر من وضع السماء قليلاً

وتقترح شكلاً آخر

يليق بالأرض.

(4)

الزمن بغباره

وأشجاره الجافة

وطيوره المملحة

كثيراً ما يحط على شرفة نافذتك
العالية هذه
ليتطلع طويلاً
إلى تلك الشمس الرائعة
التي تربيهما بجوار أحلامك
وكوابيسك.
(5)

سوف تطلع من النوم كأحد النوارس القديمة
وممسكاً في يديك بلطة
بلطة قوية بحجم السماء التي نجبها بعمق
لكي تنقي الحديقة
من كافة الأعشاب الضرية
والأسماك الميتة وربما تجلس ذات يوم
كأحد البوذيين القدامى
على شاطئ النيل لتتناول وجبة دسمة
أنت والسماء
على طاولة واحدة!!
(6)

لماذا
لم تقل لكل هذا الألم الذي يجري في الشوارع
وينام على الأفاريز
ويضحك في داخلك دائماً
أن يتوقف قليلاً
ريثما تغتسل من شمسك الباردة هذه
وأن تتخفف ولو قليلاً من كل تلك الأحزان
التي تتناثر على الطرقات مثل حبات المشمش
وربما تجفف بطرف ضحكك الخضراء
دموع عينيك اللتين تتشبثان بتراب مصر
ودموع فقرائها

ومواويل عشاقها
وعديد نسائها المتشحات بالسواد دائماً
مثل مومياوات شادي عبد السلام
ودموع محمود المليجي
في الأرض
تلك التي تحولت الى غابة
من نخيل
وكبرياء.
(7)

لا تبتئس
أيها الولد المحب
فسوف نعرف كيف نكنس الزمن بمعاولنا الصدئة هذه
وسوف نتوقف قليلاً في يوم من الأيام على شرفة النسيان الخالص
وعلى بعد مترين فقط من هذه الغيوم التي تتآكل بداخلنا ونعرفها لتذكر سويًا
كل أولئك الأصدقاء الذين رحلوا في سنوات الموت والعمى وخلفوا وراءهم صور
خيبتهم
وأمنياتهم
التي تتآكل بفعل الإهمال والندم
تلك الخيبات التي نسجوها من حرير النسيان
والزمن
وعلقوها على الحوائط المتآكلة لنحاس الذاكرة الخربة
في شوارع معتمة
أو شبه خالية.
(8)

الألم
هذا الذي نتفحصه بأيدينا
وندخرجه - ليل نهار - تحت أسرتنا كالكمثرى
وينام هادئاً
تحت مخداتنا

سوف نمضغه بأسناننا الوقحة هذه مثل علقّة
ونتركه ليعوي على الطرقات مثل كلبٍ
وفوق هذه الأرض
سوف نواصل الغناء دائماً
بلا أحلام مؤكدة
أو حتى ضغينة مسننة
إلى أن تطلع نجمة الفجر التي لا تطلع أبداً
وسوف نبكر للأرض
اسماً آخر يليق بالأمل
والياس.

(9)

أعرف

أنك سوف تذهب إلى أمك في آخر الليل
لتطلب منها رغيفاً من الخبز اليابس المطحون من الذرة العويجة
والشعير المنقوع بضحكات الأطفال
وربما تطلب منها كذلك شيئاً من الصبر
لتستعين به على طول الرحلة
وقلة الزاد

وها أنت ذا تفتح عينيك على وطنك الذي يشبه خريطة من اليأس ووطنك الذي نهبه
للصوص والخونة
وحاصرته الديبة المرنة
والثعالي الصخابة
وما عاد بإمكانك أن تجد فيه
مكاناً واحداً
حتى لمقبرتك!!

(10)

أيها الولد المحب لا تبتئس
ففي ساعات الوحدة الهرمة واليأس الرنان
أرجوك لا تطلب أي شيء آخر سوى تلك الوردة الصغيرة التي ماتت هناك على

جدران غرفتك
وفوق المرايا التي تطاردك أينما تذهب
لكي تضعها في فمك
وذلك بدلاً من الكلمات التي أصابها
العمى !!

بئر أيوب

في وحدته جلس أيوب مطأطئاً الرأس
بذهنه طافت أفكار
ومدن
لم يشأ أن يغسل الضوء بأصابعه
أو يجفف السماء بدموعه التي كانت تجرى تحت مخداته كالسيل
تذكر محرائه
وأدوات حصاده
أيام مجده
وعزه
التي كانت تنتلط تحت رجليه كالقطط
ومثل بركةٍ وحيدة تطلع إلى الشمس
التي كانت تملأ السماء
وتساقط في حجره كالفرشات
ما زال القمر يملأ السماء بخياشيمه والنجوم
تغسلُ الليل بيدٍ واثقةٍ
تذكر
سنواته التي أنفقتها في تلك الصحراوات
الشاسعة
تذكر امرأته اللعوبَ التي تركها أمام التنور
وهي تعدّ وجبة العشاء
بينما تسيل على جسده كالحليب

في الليل

تذكر

صحراوات أرض كنعان الحارقة لليل

والطير

وعدّ الرب لأبائه وأجداده بأرض اللبن والعسل

خيالات سدوم وعمورة

بنات أدوم الأسطوريات

وهنّ يستحمن في النبع

تحت ضوء النجوم الوهاجة

ويتنشفن بالقمر الصيفي

آه

يا لتلك اللذة

ويالتلك الكلمات الراححة في الصدر كالندوب

ويا لأولئك الشقراوات اللاتي يفقن المقصورات في الخيام

ويقفن كالبيض المكنون والدرّ

وهن يملأن جرارهنّ الفخارية بضحكاتهن الشفافة التي تسيلُ على الطرق - كالمن

والسلوى -

أين ذهبن أو تطلعن؟

ويالرقصاتهن التي تشبه حفيف الملائكة والجنّ

وغنائهن الذي يتفوق على المزامير بالدف !!

لم يكن يعرف أن للزمن سكاكين قوية وأنياب

ولم يفكر لمرة واحدة في عظام مفاصله التي تتآكل بفعل الشيخوخة والنسيان

فقط ، تذكر

سنواته المجرّحة على الطين والرمل والتي تتناثر على جسده مثل حصوات بحراشف

وقناديل

تحسس دمامله التي تبقع اللسان والفم

لم

لم أنا يا رب قل لي : أنا سنبلتك الوحيدة في حقل الحسك والدمّ هذا، أنا النجمة

الغريقة في غيمة العالم هذه والتي تمدّ إليها حبالك القوية لتنتشلها من الغرق في اليم

لَمْ تَضَعْ يَدَكَ الرَّاخِضَةَ تَحْتَ رَأْسِي دَائِمًا كَتَذْكَارٍ
حَيٍّ عَلَى وَجُودِكَ الَّذِي يَزْلُزِلُ كِيَانِي
وَيَهْدِدُ جُدْرَانَ رُوحِي مِثْلَ عَاصِفَةٍ بِرُغُودَاتٍ
وَبُرُوقٍ

لَمْ

أَخَذْتَنِي أَنَا مِنْ بَيْنِ كُلِّ غَنَمِكَ لَكِي تَغْرُسَ سَكَائِكَ
الْقَوِيَّةَ حَوْلَ رُوحِي وَفَوْقَ رَقَبَتِي وَدُونَ أَنْ تَحْزَرَ

لَمْ

اصْطَدَدْتَنِي أَنَا فِي شَبَكَتِكَ الْوَحِيدَةِ
مِنْ بَيْنِ كُلِّ سَمَكِ الْبَحْرِ

لَمْ

حَوَّلْتَنِي أَنَا فِي اللَّيْلِ إِلَى فَرِيسَةٍ
وَفِي النَّهَارِ وَضَعْتَنِي عَلَى نَاصِيَةِ الطَّرْقِ
كَيْ أَكُونَ عِبْرَةً

لَيْسَ فِي جَعْبَتِي أَيُّ شَيْءٍ!!
فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ لَمْ تَكُنْ لِي حَرْبَةً أَوْ قَوْسَ
لَمْ أُسْرِقْ مِنْ حَدِيقَتِكَ نَجْمَةً وَاحِدَةً
لِتَفْعَلَ بِي مَا فَعَلْتَ

فِي وَقْتِ حَصَادِي قَدَمْتَ قَرَابِينِي
وَعَلَى مَذْبَحِكَ الْعَالِي

أَقَمْتَ مُحَرِّقَاتِي

كَنتَ نِعْمَةً فِي عَيْنِيكَ

مِثْلَمَا كُنتَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي

وَمِثْلَمَا مَشَيْتَ فِي طَرْقِكَ بِالْإِسْتِقَامَةِ وَالْعَدْلِ تَفَحَّصْتَ حَصَاةَ رُوحِي
حَتَّى تَفَحَّصْتُ

فَلَمَّا ذَا تَضَعُ يَدَكَ الْقَوِيَّةَ عَلَى جِسْمِي

إِلَى أَنْ تَقَرَّحْتُ

وَسَلَطْتَ عَلَيَّ مَلَائِكَتَكَ

مِنْ ذَوِي الْأَجْنَحَةِ

ليضربوا أرض روعي بالسكاكين
والبلط
حتى نشفت!!
أحصاة أنا
كي تدحرجني كل هذه الرياح
أزهرة أنا كي يخزني كل هذا الشوك
وتضع كل هذه الشكوك فوق مائدتي وطاولاتي
لم
تخيرتني أنا من بين كل هذا العالم
لتختبرني؟!
شفتي
لم تنطقا بحرف واحد خطأ
ولم تجدفا بكلمة
عن الشر والإثم حادت نفسي
وما انحرفت قدمي قط
أرض جاري لم أظأ
ومن بئر أخي لم أشرب ولو قطرة واحدة
فلماذا عيناك دائما تخترقاني
وكأنما أنا ثمرتك الوحيدة في هذا العالم
التي تشتهي أن تفرسها بين أنيابك وتلقي بها كالخرقة تحت أظلاف وحوش البر
وفي الليل
تضع قوسك وسيفك فوق كتفي
وبالنهار ترجني مثل قشة
أصخرة أنا
حتى تلاحقني بكل تلك الضربات والعواصف!
أبحر أنا
حتى أحتمل مدك وجزرك
وغضب أمواجك وطواحينك
وأسماك قرشك الجراحة

وقاع بحرك المفتوح كالهواية
والقبر

ارفع يدك عني أيها الآب الإله
فأنا في غاية الظمأ

شفتي مترعتان بالغضب
والألم

بينما تصر أسناني على ثمرتك الحجرية هذه
لا !!

لا تتعجل أيها الألم العجوز
فهذه المناجل المشرعة للضوء
والشراشف التي تناضل ضد الموت
سوف تتعرف عليك
ودون تفاصيل

حتى تحمل كل هذا الجسد جزيرة الديدان هذه
وتضع فوق تلك النبتة الصغيرة التي تسمى الروح
كل ثقل الجبال
أنا

وردة بألف جرح
أيتها الصخرة

التي تسند العالم !!
اسمع يا أيوب

ماذا تعرف عن كلمة الرب المؤسسة للعالم كما هي السارية في الطير
والبحر

ماذا تعرف عن الريح من أين تنبع
وأيّن تصب

أو أين تذهب في آخر الليل
من أنت قل لي

قشّة صغيرة على وجه الغمّر
حصاة ناتئة فوق سفح جبل

حرف غارق بين أبجدية
لغة منقرضة
وتاريخ حياة يوشك أن يضمحل أو يزول
سوسنة أنت
أم عود ليف
حسكة أنت أم عمود نار
الزمن يأتي ويعود
الشمس تذهب لتنام وفي الصباح تخرج
ماذا يعرف الإنسان أكثر مما أعرف
لقد جبلتك من الطين
وبيدي هاتين سويت معدتك
وأمعاءك
وجعلت لك أنهاراً تجري في داخلك لا تعرف
عدد شوارعها
وبحاراً لا تدرك عمق مراسيها
في داخلك يسكن العالم كله
أما أنت فلست أكثر من حشرة
صنعت لها عينيّن لتبصر
وقلباً لتحب
منحتك النظرة والنظر
في أرضي أسكنتك أنت وذريتك من بعدك
وجعلت لك الأحلام بالليل
حتى تغتسل من تعب النهار
وبيدي
مسحت على زجاج عينيّك
لكي تبصرَ خيط النور والظلّ
أريتكَ الفجر
وهو يشرق على الجبل
والسهل

وأهديت إليك سمك البحر
كي تأكل وتفرح
أسمعتك كلماتي على الأرض
حتى تكونَ نعمة لك في عينيك
وأنت تقدم مُحرقاتك وقرابينك
ولم أكن في حاجةٍ لا إلى مُحرقاتك
ولا إلى قرابينك
ألنتُ لك الحديد والصخر
وجعلتك مثل وردة بركة
في جوف الصحراوات المخوفة هذه
سويتك
مثل طير البر
وجعلتك على صورتني كي تكون كاملاً أمام عيني
قل لي:
أأنت أسست المسكونة حتى تقف أمامي لتسألني
أأنت شققت البحر بمحارثيك
وجعلت موجه ظلمات بعضها فوق بعض
أأنت أسست مدارات السحب في الشتاء والصيف
وحددت مسارات النجوم
وجعلت الكواكب تضيئ في الليل
ماذا تعرف عن الكربون المشع
وحركة الجاذبية
ودوران الأفلاك
ومملكة سدوم
وعمورة
وأين كنت قبل الكون وبعد الكون
قبلك عصور مضت
وأخرى سوف تأتي
ماذا تعرف عن سمك البحر

كيف يأكل في الليل
وما هي أحلامه
هل تعرف ما هي الأفكار التي راودتني وأنا أصنع لك حبة الرمل هذه
تلك التي عليها تمشي
وتنام
تحلم
وتقيم أوتاد خيمتك
وفي الليل تشعل نيران مُحرقاتك
كي يخافك ذئب البرّ
ووحش الغابّ
انظر!!

هل تعرف شيئاً عن حكمة الحياة والموت
وأين ستدفق عظامك بين هاتيك الصحراوات
وماذا عن روحك التي بين جنبيك
أين أخبئها
وكيف أحفظ بها في صناديقي وماذا أعمل بها في أوقات فراغي
ماذا رأيت أبعد من أنفك يا أيوب
انظر إلى وحوش البر
كيف تتغذى
ومن أين تأكل
ومن جعل لها مخالب
وضرّاسات
لماذا تركت الشيطان يتسلل إلى عظم روحك
ويغرس في قلبك ثمرة الشك هذه
اسقط مع الأيام
اسقط أيها الشعر!!
سنوك

التي أرهقت نفسك بها لتزرع وتحصد
أين ذهبت وكيف صارت كالبر

ماذا عن تعب يدك
وآلتك المعطوبة التي بين فخذيك
ألك كل هذه الأرض
لتبني عليها مملكتك
ولتغرس بها بذرتك المعطوبة هذه
ألك كل هذا العالم
لتحرثه بمحاريثك الصدئة
من صنع يديك
قلت لي
من عمل يدي غرست وأكلتُ
حسنًا
ومن عمل يدي كذلك أصنع ما يحلو لي
تارةً
أكون عشبةً
وتارةً أكون رملةً
تارةً أكون قمرًا
وتارةً
أكون حصّادًا للعالم
تارةً أكون أغنية بين شفّتي وردةٍ
وتارةً أكون قوسًا وسيفًا
تارةً أكون برقًا ورعدًا
وتارةً بنفسجاتٍ وحصى
أيوبُ !!
قطعانك تعرف مراحها في النهار
وفي الليل تلمها إلى حظيرتك
تمامًا
ومثلما أعرف عدد قطعاني
وأودية أنهارِي
من أين تنبع وإلى أين تصب

أيوب
أخرج من فوق هذه الأرض إن استطعت
قل لملك الموت أن لا يأتي إليك
وأنصب أنت شبكتك للموت
اصنع لك سماءً على مقاسك
كي تعرف عدد نجومها
ومجراتها
استمل إليك الصخر
والمطر
إن قدرت
لا تمل بقلبك عني يا أيوب
حدق إن استطعت في الشمس
حدق جيداً
سوف تبصر بنفسك العدم ماثلاً من فرط ما رأيت
أنا
هو أنا
لست صخرة كي أنطحك يا أيوب
وأتركك تتفتت في السيل
لا
ولا بعمل يديك أنظر إليك
أأنت أسست العالم
حتى تقعد لي على الطرق لتسألني
وعلى رأس كل شارع لتجدف عليّ؟؟
أنا خالق الخير والشر
وجعلتهما مثل كبشين
متناطحين
لا بدّ من وجود الخير
كي يملأ الشر دلاءً
وأوعيته

الخير المحض غير موجود
والشر المحض غير موجود
سلاماً
سلاماً
سلامه
لك يا أيوب
كل الأنهار تجري إلى البحر
والبحر نفسه ليس بملاّن.

مقهى الغبار

إلى
سيد العراقي

في هذا المقهى
الكرسي له رأس طاولة
والدخان قط أعمى
هذا الغبار يقبض عليّ من هدومي
ويزعق فيّ بأعلى صوته
إنه رفيقي الذي يقاسمني الوحدة
والألم
لم يكن لي أن أجلس طيلة النهار هكذا
أحرق في الشوارع الخالية من المارة
وأن أقبض على العالم من مؤخرته
في الأركان
يأتي الموتى في آخر الليل
ليتحسسوا ريح العالم
ورغم حدة أصواتهم المزعجة إلا أنهم يضحكون
وبضراوة
يطلقون صرخاتهم التي تشبه الفقاعات

فوق موائد الدخان
والفحم هذه
صار الرقم طاولةً مقلوبةً
والأتوبيسات نعوشاً طائرةً
الزمن
نفسه وحده!
سوف نعلقه هو الآخرُ فوق مسمارٍ بجوار عامل المقهى
إلا أنه يجلس على أريكة الليل الفضفاضة ليأكل ويشرب ويتمخض
وليتأمل روحه الهرمة
وأسنانه التي تتساقط على المقاعدِ
هذا الفنجان
شقة مفروشة بغرفةٍ واحدةٍ
ودورة مياه
الشجر يحاول الكلام معي دون جدوى
فينخرطُ في النحيب فجأةً
في هذا المقهى
الغبار يستعد للجنون
الخطأ صوابٌ فادح
والصواب خطأ غير مقصود
الآن
لم يعد لي سوى هذا الفنجان
المملآن باليأس والهزائم
يا له من صديق !!

سريالية

(1)

سقطت ورقة
من أعلى الشجرة

الشجرة صارت بيتاً
والبيت له نوافذ
وأحلام
حلم بحجم الأمس
وحلم بحجم اليوم
حلم بحجم راحة الكف
وحلم بحجم الموت
غير أن كل هذه الأحلام سريعاً ما تغادر البيت
لتستقر في أرض الشارع
كي توقف المارة
وتكشف لهم عن سيقانها
المنزوعة الأوراق والرغبة.

(2)

سماء بدبايس
ومشابك
هناك نجوم لا تودّ أن ترى
أشعة مدببة للحزن
أن تستسلم لبخار الروح التي تبقب في الخلاء
أن تدفع الجنون أمامك
مثل عربة مكسورة
وتقوده إلى الشوارع مثل ضليل
وأعمى
بلا غطاء واحد للرأس
أو حتى ما يستر العورة !!
ثمة حياة لها طعم السلاحف
وحياة أخرى
لها شكل الجعارين
أنا حياتي

تغسل قدميها المشققتين فوق سلالم
الجنون
وتنام تحت عربة روبايكيا
وأمام خزان مياه
فارغ
تتوقف لتغني !!

السماء بحبالها الوثيقة

السماء
بحبالها الوثيقة
تقترب وببطء من قارورة الأرض المهشمة
لا شوارع لكل هذا الزجاج
ولا آنية لكل تلك اللذة
شمس المعدن
تترعب وبضراوة على طاولات النحاس
والفحم
ثمّة جزيرة من الأفيال المملحة
ترقد هناك
على حجارة السمااء
الراسخة
صلوات غامضة تصعد من جبل الروح
صوب تلك الأرض التي تقف على إبرة الخطأ
بخطا طيفك الملونة
أيها النهار
توقف بجوار كل تلك الحوائط
حتى لا تفلت حجارة
اللذة
من عين الماء.

أميرة زغلول

جسدك بعيد عن جسدي

روحك بعيدة عن روحي

في الليل

أفتقد حرارة أنفاسك

ويقين جسمك

ضحكتك

كأس فارغة ترن

بين شفتي

صدرك أغنية في قفص

جسدك

بعيد عن جسدي

وكلماتي في العاصفة

أه

جسدك بعيد عن جسدي

يا له من جحيم !!

ماذا أفعل في كل هذا الليل

بدون عينيك

الكوكبيتين ؟!

باسلة أنت في الليل

بأسنانك اللامعة البيضاء

سوف تقضمين شجرة الدموع

على أنفك

الذي يشبه برج لبنان الناظر تجاه دمشق

سوف تتوقف فراشات بصهيل

لتأمل

ربيع أنفاسك

بيديك المعجونتين من الكستناء والعاج
تكتبين على جسدي
آخر كلماتك
باسلة أنت في الليل
أيتها الضارية في النهار !!

الجهات الأربع

الريح تهب من الشرق
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تهب من الغرب
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تهب من الجنوب
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تهب من الشمال
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تتوقف
لم لا تقول الريح ؟!

الأسئلة

ماذا تقول الشمس عن هذا الضوء الذي يتسلل من عينيك؟
ماذا يقول الربيع عن كل تلك الأغنيات التي تخرج من فمك؟
ماذا يقول النهار عن يديك اللتين تعملان بقوة العاصفة؟
ماذا يقول الخريف
عن أيامك التي تخلفينها وراءك على الطرقات
فيلمها قمر الغياب دائماً
سنواتك المترعة باليأس
تذوق بمفردها
عسل ضوئك.

عمل شاق

الخبز الأسود
والضحكة العجوزُ
النار التي تتأجج في الأصابع
والفراشات التي تبحث عن عمل
كلها مؤشرات
لروحك التي تعزف على جبلٍ
من نارٍ
ودخانٍ
جاف هو النهار
بدون رغباتك
ميتة
هي الساعات
بدون عمل يديك.

عزف

لا

لم يكن الضوء وحده
هو الذي يشاركني الغرفَ
والسريرَ
الأغطيةَ
والشرافَ
فقط كان ربيعك القديم
هو الذي يجري على الطرقات
ويشاركني الظل الغارق
حياة جامدة
رماد مدفون في الرماد
سنوات من فحم

وكحل
كان هواء جسدك
الذي يتسلل في غرفة الظل
العارف هذه
حياة جامدة
وسنوات من فحم
كيف أقف وحيداً على قدمين عاريتين
من رصاص
ورغبة؟!

فن الشعر

في سنواته المحملة بالكوابيس والفحم
حاول أن يتكلم
كان فمه الذي يشبه خريطة من الإردواز
يقف عائقاً أمام نظراته
التي تحاول أن تخرع شجرة
أي قمر ضال كان هناك
ليشهد ضحكة الفجر الواثق بنفسه؟!
أي متممة لزمرات كانت تملأ هواء الغُرف؟!
أخذته اللغة إلى حظيرتها الملونة
بالأساطير
والطبوغرافيات
وتركته هناك ليحف
وبانفعال وردة صامتة
وخفة كائن أعمى
أخذ يتساءل
هل كان الموت الرّنان
يتربص بالغابة التي تخصّ الرمل؟!

أميرة زغلول ثانية

أشجار الجوز
وأوراق الحور والصفصاف
تحمل دائماً رائحة أنفك الأخضر
بأصابعك
المحملة باليقين
والشك
أبدأ الرغبة في انتهاك الأسوار الشاهقة للزمن حول جسمك
وأدخل في غاية
ملمعة
من الأساطير
والحكايات
إلى أن أنتهي من عينيك أنت
أيتها السفينة التي ما توقفت قط
تحت أية سموات
أيتها التينة التي تشبه الرحم والفم
سوف أظل أحفر وأحفر
حول تلك الجذور التي تبحث دائماً
عن نبع
وشمس.

ألفت خليفة

عندما تقف سمكة الصباح هذه
على بعد خطوتين اثنتين من شفئك
أنظر إلى ذراعيك الكهرمانيتين والمسبكوتين بحليب الآلهة السكران
فيما شمستك التي تتوسد حدائقك
في عزلة
شبه كاملة

تعرف كيف تقرأ أناشيد الليل
بيد باسلة !!
أي عين منجرحه تلك التي يعزف عليها الزمنُ
بأصابعه
وأغنياته
حركة جسمك الواسعة
لك
وحدك
قدرة الزمن على الضحك
فيالجسمك الذي ينسج من حرير الضوء
وحقيقة الماس
كلماتك
التي تعرف كيف تسند يأس العالم !!

مؤاخاة

افتحي كل هذه النوافذ للضوء
اجمعي شمل الليل للسفن
اسمع شمس العالم الصغرى
وهي تتدفق بحيوية
وطراوة
على كافة الأدوية
ومثل قلبك الذي يشبه فراشةً حرون
انظري
إلى شهوة الطبيعة المندلقة تحت قدميك الحافيتين
مثل نجمتين متناغمتين
ما الذي يؤخى بين جسمك
وموسيقا شفتك السفلى ؟!
أه من شمسك التي تشهق بأنهار .

أغنية يأس وأمل

أشعر باليأس من الأمل
بعشبة طرية سوف أبني بيتاً
بكلمة
أجيرة
سوف اخترع نشيداً
بقبلية راسخة
سوف أسوي جسداً
توقفوا قليلاً بإزاء كل هذا النهار
اتركوا كل هذا الهواء الجريح
يتسلل خارجاً
لا تلمسوا قيثارة القمر
حتى لا تبكي سمكة الريح
الزهرة والمنجل
في عناق أجير
السمكة والشط
في موسم حصاد
الروح والجسد
مقدمة سفينة
سوف نطبع العالم بقبلاتنا التي تسيّجه.

حركاتان

(1)

نجمة..

نجمة مثل هذه سوف تتوقف على جبل آخر
لا لتحضن كل هذا الليل
وإنما لتتأمل وبيطء
رائحة الفجر.

(2)

انطفئ
وأضيء
على جدران الجسد
ذلك الجسد الذي يشبه مجاهل الأنهار والليل
بقبلةٍ داكنةٍ
وفم عجوزٍ
سوف تهتف الريح
والأرض دائماً تصغي!!

أنقاض

هنا

وفوق تلك الأرض التي تُنبِت الحجر
في الظل الحارق للندى
حيث تفاجأ الريح بصندلها المعوج
يمكن للزمن كذلك
أن يكون أرجوحةً
تتربع عليه مثلثات ظل
وحرائق
يمكن لكل تلك السماء
أمنّا العجوز
أن تكون عجائاً
أمام تنوّر الموت
الأعمى!!

حجر السماء

السماء حجرٌ

شجرة واطئة تنصبين عليها خيمتك

ومياه بلا أيقونات
أو بركة
لا ظلّ لظلك الذي يرشد
أو يطغى
فقط حياة جامدة
يمكن أن نطلق عليها خنجراً أو عكازاً
ومثل بنات نعش الصغرى
ثمة نجوم مكسرة تنام على الأرداف الرخوة
لحجارة السماء
الراسخة
بيد الزمن اللاهثة
تبين عرشك على الماء
أيتها الرصاصية
مثل مدينةٍ
بلا أساطير
أو حكايات.

كبريت العالم

ترفعين طاولة من نحاسٍ إلى نافذة أعلى
من الليل
أبكُم
وأصمُ
كل هذا الهواء الذي يتسلّل بخفةٍ
ترفضين السؤال الفحم
وترفضين السؤال الأجير
فيما تمنحين فمك حكمة اللذة الضارعة
وجسدك الرغبة بكاملها
إذ

لا يمكن لكل هذا الجسد الذي يموج الضوء
ويعيد اكتشافه
إلا أن يكون كبريت العالم !!

شمس تترجّح

دائماً

نسير وفي ظلّ خطواتنا قارة غارقة
في الكلمات التي لا تهدأ إلا على صلابة الورد
وأسطوانة الردفين
وآنية السرة
يتوقف العالم
ليحكي وينصهر
الليل !!
هذا الليل الأجمل من كنسية
والأبعد حتى من الأرض ذاتها
يعترف بالخطأ
على القبة المجذبة للزمن
أرض رمل
ونبوءات
وعلى التفاحة الزجاجية لشفتيك السهويتين
ثمت شمس تترجّح !!

مدى

ما هذه الريح التي تمرّ من أمام منزلك
ما هذا الربيع الذي يتحصّن تحت نهديك
ما هذا الجسد الذي يتذكر دائماً رائحة البحر
في ثيابك
وفي الليل

يفرّ إلى هضبة السماء العليمة
كلماتك
تشبه البرق والرعد
الذين يختلجان فوق سرّتك
ويختبئان هناك في كامل اللذة
تحت ردفيك
الكوكبيتين
صوتك يشي بخلو الكمائنات
من الرغبة بضحكة صغيرة بيضاء
تبدئين يومك
فيما ينتهي جسدك من عمل حصاده وأغنيته الأخيرة
على صخرة المدى.

باب توما

ربما
تتقابل الأزهار
مسرعةً
ذات مساءً
على رصيف خالٍ من المارة تماماً
ولكن النهار الواصل بنفسه
سوف يتوقف على نحلة الغيم هذه
وبعدها
سوف يقف الضوء على باب توما ضريراً
وربما يقلب بعصا الوحدة
الأفاريزَ
والشوارعَ
بحثاً عن بصليةٍ
ناشفةٍ

تشبه عشبـة الحقيقـة
ما الذي يقوله المغني الضـرير
على باب توما
لجيتار يعزف الهاوية
بيدين مبـصرتين
وفـم
أدرـد؟!

أيتها الغيمة واصلي النـشيد

لطالما غنيت
مثل كوكب وحيد
ولكن بلا صوت
لطالما
غنيت
مثل نجم
ولكن بلا جناحين أو حتى قفازات
أنا الذي أفتح نوافذ النهار
وفي الليل أنام مثل نافورة بأخطائي
وأركن الزمن بأشرعته الهائلة تحت مخداتي
لم يكن لي حظ
أنا البحار الأعمى
أن أراقب الريح
وهي تخرج من برزخ إلى برزخ
ولم يمهلني الحظ
أن أكتب اسم حبيباتي
على جدران الزمن
بفرشاة من نار ودخان
ولم أكن أعرف كيف أقود سفينة العالم

الغارقة هذه لكي أمنح السلام والحب
فقط غنيت
بعينين
ويدين
وقلب!!

الحبة السمرّة أو الكلب في المقهى

كلب أسود
ينام في المقهى
ينام هادئاً
ومعطلاً أحلامه
ينتقل من مكانٍ
إلى مكانٍ
لا يرقب الزمن
إلا من خلال المطر
والشمس
ولا يسمي أحلامه
سوى خشبة الليل
بينما يرقب العالم
من فوهة مؤخرته!!

ناريمان الفقي

في مدرسة تلبنّت أبشيش الابتدائية يولد الفجر أيضاً!!

هل كنت تدركين معنى الزمن
وأنت تجلسين في أول الصف في ذلك الوقت من العام 1964
وتلفين حول عنقك شالاً من الكشمير الأبيض
الذي يشبه حفيف الملائكة
فما شفتك المنداة بحليب العصافير

وحبات التوت الصيفي
لا تكاد تفصح عن كلمة واحدة من ذاتها
خشية أن يفلت الكلام من قلبه الملونة
وأشجاره
التي تخبئنها في جيب مريلتك القطنية
وبين دفاترك وأوراقك التي تمتلئ بالطباشير والفراشات التي تهبُّ من صيف تلبنت
أبشيش الحارق
لتنام تحت ظلك مثل شجرة من الكمثرى
أنت أيتها الرسالة الخارجة من إطار الزمن
والمتمنعة بقسوة حتى على الزمن نفسه
مثل أيقونة من الذهب الخالص والغناء الفارسي
لا

لم نكن نعلم - أنا وأنت - على الأقل في ذلك الوقت
أن الزمن هذه الأنشطة المليئة بالقطارات المتعاكسة والأكاذيب
يمكن له أن يطعم أرواحنا الراسخة بمياهه الكثيفة السوداء
ولم نكن نعلم كذلك أن الزمن ذلك الوحش الضريع
بأصابعه العنكبوتية يمكن أن يقطف من على أشجارنا النيئة تلك الضحكات التي
جمعناها معاً من على الندى ليلقى بها كالعليقة فوق أشجاره الشوكية ومياهه الضحلة
المؤجلة !!

أيتها الخضراء دائماً
كلما أمرُّ من أمام مدرسة تلبنت أبشيش الابتدائية المشتركة أكتشف أن قلبي ذلك
العابر بنعالٍ من ريح وضحكات لا يزال قابعاً في تلك الفصول المتراسة في الذاكرة
وعلى نفس المقاعد التي علاها الصدا والنسيان وأنني ذلك الصغير الذي يكره التاريخ
والجغرافيا ومعلم الحساب والنحو فيما ينظر إلى الشمس التي تشع من عينيك بينما
صوتك الذي يشبه موسيقا الغرفة لا يزال يقف بمفرده في طابور الصباح لكي يحیی
النهار مثل صوت أسمهان الجريح فوق صخرة مطروح فيما كافة
العصافير التي تمر بالذاكرة تتوقف لكي ترفع قبعاتها الملونة وأجنحتها المبللة بالدمع
لتسمع نشيدك الخالص لشجرة السابوتة والتي كنت تفضلينها على كافة الأشجار

داخل فناء المدرسة

بينما الشمس تلك الأخت الرضيعة لضحككتك الخضراء تتسلل من الفناء الخلفي
للمدرسة لكي تضع كرايسها وأصابع حليها وعلب ألوانها لتتعلم من شفتيك
الكهرمانيتين كيف تستقبل الصباح بشكل يليق دائماً بالصباح ولتقف وراءك في طابور
الصف الرابع الابتدائي في انتظار أن تسمح لي لها بالخروج إلى السكك والشوارع
هل ما زال صوتك الذي يشبه الكمانات دائماً يشبه الكمانات دائماً؟
أم أنك ومن فرط ولعلك الطاغى بالموسيقا قد علقت كافة السلالم الموسيقية فوق
إطار خشبي لصورة الزمن وهو ملفوف بشرائط الحداد التي تعلن أن الغياب هو
الشرط الوحيد للوجود
ناريمان!!!

لا شيء يشبهك وأنت في الصف الرابع الابتدائي؟؟!!

سر كون بولص

قطعاً

سيسلك هذه الدروب التي انحنت أوراقها على خطواتنا
ولم يكن لدينا التي تعمل مثل كوكب خرب
أن تعرف الطريق إلى هذه الأرض
ولم يكن لهذا الجسد أن يغسل تراب نوافيره بمناكير الطيور
التي تقف مثل كوابيس مؤجلة على ساحة السماء الراسخة
لتؤسس لموسيقا الرغبة
أما آن لتلك الفراشة أن تنام على سرير الليل
أما آن لهذا النهار
أن يتوقف ولو لدقيقة واحدة
على سن إبرة
قطعاً

سيمسك بأصابع البيانو
ليعزف عليها نغمة التراب
ولن يكون هناك سوى الضوء

ذلك العراف الأعمى
لأوركسترا الفراغ !!
توقفي أيتها الفراشات التي تسير على شرنقة العدم
إلى أن ينتهي العالم
على شفا جرف هار
أو على مسافة كافية
من الجحيم
ذاته.

منعرج
الكثافة اللاإنسانية

ترقب

قلّما

ترغب يدُ النهار العاشقة أن تفعل
وقلما تدوم تلك اللذة
بيدها الرّنانة سوف تنكش حجارة الأرض
هذه الزهرة
إيماءة لشجرةٍ على غصنٍ منكسرٍ
سوف يطلع الفجر على سلالِمِه العالية
ويتعالى الألق
الذي يُنتزع
ثمة رغبة لم يكن لها أبداً
أن تعرف
غير أن عينين سوداوين
سوف ترتقبان!!

خسارات

خسارة فادحة

أن لا تحلم هذه الشجرة
خسارة فادحة أن تعمل هذه الروح
كخسارة أحجار
خسارة فادحة
أن يكتب قمر بيديه الاثنتين
على أعلى منحدرٍ
وعلى متسع من هاويتين
أنا حياةٌ محذوفة.
خسارة فادحة
أن تحرق في الموت الرّنانُ
بينما العالم يبلل رجليه في الدّم في العدم

خسارة فادحة
أن تقود النهار إلى مراعيك اللانهائية
فيما ليلك الذي يشبه المستنقعات
ينام هادئاً إلى جوارك
خسارة فادحة
أن تضع يدك في جيبك
وتتأمل القمر
وهو يضحك تحت جمجمة منخورة
لطفل أعمى
خسارة فادحة
أن تنام تحت زهرة وحيدة
بينما يحرق الربيع أزهاره على قارعة الطريق
خسارة فادحة
أن تفكر في البحر
بينما السفن تغرق
ولا يتبقى لدى البحارة
إلا سمك القرش
وندم المرجان الأزرق
خسارة فادحة
أن تنبت كل هذه الأحلام
فوق آنية من بلاستيك
وأرض من فحم
خسارة فادحة أن يكون كل هذا الليل
فوهة بثلاثة براكين
خسارة فادحة
أن تكون كل هذه الصلوات
للاشيء
خسارة فادحة
أن تكون أو لا تكون.

أزهار فجرية

آه

من شمسك التي لا تتوقف إلا عند دائرة الظل
من خياناتك التي تشغل الليل
بحناناتٍ

وحصى

أه من روحك التي تصرخ

فوق جسمي

مثل علقة دامغة

وأغنيات بفجر

اتركي لروحك أن تقول لا

فمك سوف يقول نعم

اتركي لجسدك أن يقول لا

ذهب صدرك سوف ينضج بين شفتي

وعلى مبعدة من ألف صيف

اتركي لعينيك السهوليتين

أن تراني ميتاً

أصابعك اللماعة سوف تبعثني حياً

قلبي مليء بالمخاوف والشك

وقلبك مطمئن إلى خطواتك التي تتوقع

وتحدّس!!

شعرك مليء بالتصورات والرؤى

بينما فمك يصنع المستقبل

ويؤرخ لكواكب اللذة

أيتها السيدة

لكم أحب ذهب يديك المضاعف

وأزهار فجرك

الرائحة!!

رمل متحرك

من خلال الحب
يتحد السلام بالمعرفة
والإرادة
بالرغبة
أيها الندى
لا تستسلم كثيراً لرغبة الشمس
فكل هذه الأنهار
سوف تذهب أخيراً إلى البحر
الرغبة اللانهائية للعشب
لا تختلف كثيراً عن الرغبة اللانهائية
للضوء!
المجد
والثروة
عَرَض زائل ولا تخصّ أي شيء
أو تخضع لأي شيء
كل الأمور واحدة
فقط
هنالك الكل الذي يضبط العالم
مثل قائد لأوركسترا الزمن
بيده العليمة تنبسط السماء على الأرض
وتنطلق الروح في الجسد
تماماً
مثلما يولج النهار في الليل ويولج الليل في النهار
البدن
في البدن
والجسد في الجسد
والعين في العين

تلك
حكمة الحياة اللّماء!!
ثمة نهارات غائمة
وأخرى مستفيضة
وصائفة
ثمة أرض منبسطة وتعجّ بالضواري
وأخرى واطئة
ولا تعرف أي شيء عن حكمة الحياة
والموت
من ذا الذي يوحد الروح في الجسد
ويجعل الزمن يمتدّ إلى ما لا نهاية
الفناء الذي يطرق العالم ويكومه مثل كومة
من الأنقاض
والتناقضات
سوف يطوقك في النهاية كذلك
وسوف يتبعك الزمن
ببساطته القوية
وقوسه الأخرق
الذي لا ينحرف أبداً
من خلال الحبّ يتحد السلام بالمعرفة
والرغبة بالإرادة
فالهوة الفاغرة الفم
سوف تبتلع كل شيء
حتى المستقبل كذلك
ذلك القط الأعمى الذي يلوح من بعيد
نقطة الدائرة
هي الدائرة نفسها
في الحقيقة.

منعرج الكثافة اللاإنسانية

الهواء الذي يترجرج في سُنن الليل
ليس أقل قليلاً
من ذلك الهواء الذي يسكن في أعلى البرج
وفوق أسطح البيوتِ
والطرق الرطبة للكوابيس
ليس ثمة ما نفعله طيلة الزمنِ
سوى أن نراقب الليل
وهو يتسلل من فُرَجِ النهار
مثل فراشة ضالة
ونراقب النهار
وهو يكنس بيديه المعروقتينِ
تلك الحيوانات
المتفحمة
التي تركها الموت
على بقع الذاكرة المهدامة
والطرق المتربة
لكافة المستنقعات!!
إلى أين تقودنا هذه الطرق اللانهائية
للهواء؟!
هنا
وعلى بعد خطوتين
اثنتين
من منعرج الكثافة اللاإنسانية
للعالم
سوف نعبر على كافة التصورات اللزجة
لأشجار السماء المحترقة
وسوف نواصل الغناء

بعين منجرحة
على حجارة الشوارع الرطبة
للأمس
يا لهذا الزمن
الذي يقف مصلوباً
وأعمى
على هواء الأشجار العالية للرغبة
فيما يفكر بأناة
وعمق
في كراسات اللامعنى !!

غيمة سانشوبانزا

في ظلي تسكن حمامة فارهة
على بابي تقف شجرة بأربع نوافذ وثلاث أساطير
هذه الريح التي تأتي من الغرب دائماً
تعرف كيف تتوقف على قبعة جنرال ميت
وربما تلوح للعابرين
بتحيات مريرة
وبضع دونكيشوتات قدامي
ما الذي تفعله هذه الغيمة المحملة
بالاسطقسات
والزمن
وذلك عبر الأحلام الكرتونية لكناسي الشوارع
ومصاييح الليل المغلقة
ما الذي يفعله ملك الذباب البستوني
سوى أن يجلس تحت حبل غسيل
لامرأة عجوز
تترك طيورها الليلية العمياء لترعى الهواء

والظلّ

ما الذي يجعل السماء تتفكّك
في عز الظهيرة العدوّة
وهي تخلع سراويلها الداخلية المنّادة
لتترك لنجمة الفجر الضالّة
حيواتها الراسخة
وحيواناتها المفخخة!!

دعيني

أيتها الكلاب العدوّة
التي لا تنهش إلا نجمة الصبح العميانية
لكي أحلّ ضيفاً
على الشوارع الممغنطة بالحروب والدم
والتي أخبئوها في جيب بنطالي الأيسر
وأنتِ

أيتها العجلة المكفهرة
يا عجلة الحظ

العمياء

لم لا تتوقف عجلاتك الخشبيّة
إلا على قوائم الأسفلت
المعجون بأمعاء المارة
وعرق الآجر.

منجم الرغبات الطليقة

يبدو أن شيئاً ما لن يحدث طيلة هذا النهار
القدمان اللتان مشيت بهما ناحية الكركم والليل
الفجر الذي يندس وبضراوة
تحت لساني
الليل

هذا الليل الذي استطاع أن يحتفظ بطلاوة
الجذر
وكائنات الانقراض
مع الضحكة الخائخة التي تقبع في زوايا الذاكرة
الخربة للنسيان
اليدان
اللتان عملتا وبقسوة
على اكتشاف المناطق الأكثر نأياً لحفائر الرغبة
فوق جسمي
وهما تتحسسان بعناية
ورغبة
جزائر الماس
ومناجم اللازورد
المشربة بالحمرة
كل ذلك
فيما جسمك ينتصب عالياً تحت قبة الفجر
الذي لا يندثر
لملاك يخرج عن الطاولة دائماً
أو كحارس لغاية من الأجر
أمس
كان يتعين عليّ أن أرقد تحت ستائر الرغبة
العالية
لحكاية أجيرة
ربما
بلا أيقونات
أو حتى مصابيح
وها نحن نتحسس الشمس
التي خرجت لأول مرة من تحت غابة النسيان
الكثيفة

فيما ترقدين - أنتِ - إلى جواري عريانةً
وكقطٍ أرقط
لتذكري
كل تلك الينابيع
التي تتفجر تحت قنطرة الجسد
وشهوات المنجم الملحي
للرغبة!!
نعم
سوف أزيحُ ستائر الزمن الصلبة هذه
من تحت وطأة معاولك
وفيضانات
رغبتك
وبيدي هاتين سوف أغرس وردة حمراء
فوق حلييك الذي أخذ يتفرع إلى شمس
وأرخبيلات!!

نسيان أكيد

لنترك لرغباتنا الحارة
شكل أسنانها التي تلتهب
تحت ظهيرة مغبرة
لشمسٍ
واطئة!!
لنترك لصلواتنا الشائخة
كل تلك النضارة التي تُنتزع من صلابة
القشرة
الداخلية
للأمل
بجرافات الكبيرة سوف يتوقف النهار ذو الأيد

على نقا الجسد الكامل
للعالم!!
نسيان أكيد
يعرف كيف يمسح عن العين
تلك الدمعة اللماعة
لكل خطأ الروح
وكل ذلك العجز الفادح للجسد
هناك
وأمام كل تلك السفن المحملة بالأسرى
وعبر أنفاق الزمن
اللامرئية
سوف نتوقف أخيراً
أمام بوابة السماوات التي تعملُ
وبلا حارس واحدٍ
ليسهر على نسياننا الأكيد
وبعيداً
عن كل تلك الجاذبية الخائفة
للدكرى!!

مستنقع الرخام

في النهارات الباردة
كثيراً ما يللمُّ الليل عباءته الفضية
وينام تحت سريري
الذي يشبه الخرائط السرية للزمن
ليستمتع بأساطيره
وأغنياته
تلك الأغنيات
التي ينسجها العالم بيديه الرخاميتين

فوق طاولةٍ من قش

ونعاس

الآن

ماذا تفعل الريحُ سوى أن تتمشى على الجانب

الأكثر بطئاً من الرغبة

ماذا يفعل كل أولئك الغرقى فوق هذه السفن

سوى أن يتركوا أحلامهم

وصرخاتهم

التي تشبه الملح الجاف فوق مدار الجاذبية

لا يمكن لكل هذه الأرض

أن تنام تحت سقيفة العتمة

إلا وفي جيبيها قمر ضريّر

أيها القمرُ الأخضرُ

ألم يكن لك أن تجلس على الناحية الأخرى من الجسر

لتأمل الفضاء

بعين منجرحَةٍ؟!

تكاثُر

الفراغ الذي يتوقف على الجدرانُ

الزمن الذي يتكاثر على مخدات النوم وأحواض الغسيل

لينهش حويصلة العدم

العنكبوتات الضخمة

التي تعبث بأرجلها الهائلة

فوق أنشوطات الأسى

والندم

لا شيء

لا شيء يشبه تلك اليرقة السامة

التي تتكور بأفعوانيةٍ

على الحركة الأسطوانية للزمن
أية
آلهة تلك التي تتكسر بمنحوتاتها الرثة
وأغانيها
التي تشبه الروث الجاف
على الطبللة الإردوازية للأفق
كمن يعلك رثتيه
بأصابعه وأنيابه
هذا العدم الذي يبيض ويفقس على صنارة الريح
ماذا يفعل كل قارعي الطبول هؤلاء
في هذه التراجيديا اللاإنسانية
للعدم
أنا بحار وأعمى !!

قانون الجاذبية

حياتنا هذه
تلك التي تقع بين المرئي واللامرئي
بستان شائع
لصيدلاني لا يتقن حرفته
ولا يعرف الرحمة أبداً
ما إن تقع وببطء هذه التفاحة الأزلية
من أعلى الشجرة
إلى الأرض
إلا وينقطع ذلك الخيط الرفيع
الذي يربط مركز الثقل الكوني
بذلك البستاني
النائم
تحت قبة مغفرته؟!

دوال

الصاعدُ نفس الهابط
والهابط عين الصاعد
نفس القفل
الذي يغلق الباب يفتحه
الظل شريعة النور
والنور جوهر الظل
وحر كته
صورة الحجر تكمن في الحجر ذاته
كما تكمن صورة الماء
في الماء
اليد التي تمسك بالهواء
تفيض على الفكرة
والعين التي تبصر المادة
تتعثر في حقيقة العدم
أي فكرة هذه
تلك التي تُخضع العالم
للتماثل!!

الكلمات

الكلمات
تلك الوطاويط التي تطاردني
في آخر الليل
بعينين زائغتين
وفم أدرد
- ما إن يهدأ الظلام
وتخف الحركة
حتى يقف السكون على قدميه

الخشبيتين
مثل لاعب ضرير
لسيرك متنقل
وها هي الكلمات المدججة بالأفكار
الضحلة
والأغنيات الجمّة
تدخل غرفتي مثل طائر الحجل
رافعةً رأسها
العنفواني
بقبعاتها السوداء تارة
وقبعاتها الحمراء تارة أخرى
- القبعات السوداء
تشبه السجن
والقبعات الحمراء
علامة على الندم -
أيتها الكلمات
أخرجي من غرفتي الضيقة المعزولة
ورفرفي بعيداً عني
أريد أن أنام
بلا كلمة واحدة عن الفجر الأجير
في حراسة العنكبوت الأعزل!!
آه
من تلك الكلمات التي تنزو
على ثياب اللغة
ببقع
من ملاطٍ
وأرجوان.

جنكيز خان

الممالك التي من هواءٍ وقش
الأبنية العتيقة
والسجلات العسكرية
معسكرات الجند
ورواتب الحاشية
النساء اللواتي نمنَ في فراشي لليلةٍ
أو ليلتين
النياشين المعلقة على الجدران
والحوائط
مثل ذكريات مالحة
لجماجم الجند
وحراس البوابات
البلاد التي دخلتها ألف مرة
مثل دورات المياه
وما تركت على طرف حذائي
ولا ذرة واحدة من الغبار
السفن المحملة بالغلال
والأسرى
كتب التاريخ والجغرافيا
التي أعبئها في أجولة الخيش
والملح
العربات المكتظة بالتيجان
والعروش
والتي تجرها البغال
والحمير
عبر آلاف الأميال لتباع كمخلفات

لجيشي المنتصرة!!
المدن المطوية
والمدن المغلوبة
المدن الآسرة
والمدن المأسورة
هذه الإمبراطوريات التي لا تغرب عنها الشمس أبداً
والتي ما استسلمت لقياصرة قط
أو فاتحين سواي
ها هي الآن قد استسلمت لجنودي
وقواد جندي
بلا حربة واحدة
أو صهيل لفرس!!
السقوط المدوي للتماثيل العملاقة
والآلهة ذات السطوة والرنين
آلاف الجند الذين يتناثرون
عبر الفيافي
والصحراوات المترامية الأطراف
كوليمة زاهرة
للحيات
والعقبان
كل هذه الممالك التي فتحتها
من هواءٍ
وقش
يا لعبث العالم
والتاريخ
اللعنة!!
فليذهب إلى الجحيم كل هذا
المجد!!

كبير الآلهة

في تلك السنوات

كان يجلس كبير الآلهة على الأبسطة الصوفية

المحشوة بالضحكات

والقش

فيما كانوا - أي الآلهة - يتحدثون فيما بينهم برغبة قوية وخشية

عن انحلال الأجرام السماوية

والاحتباس الحراري

وتفكك قانون الجاذبية

والتشقق المفاجئ الذي أخذ يعترى

الجهة الشمالية لنظام المجموعة الشمسية

مما قد يجلب معه انهيار الكون

بأكمله

وفيما

كان يجلس كبير الآلهة

ممدداً رجله

في وجه بقية الآلهة

ونافثاً بخاره الكثيف كتعويدة خالدة

وفي لحظة من الضغينة المناوئة

والطيش

اقترح جلالته بإبادة كافة المخلوقات البشرية

- تلك الحشرات السامة -

التي لا تكف أبداً عن الصراخ

والجلبة

حتى يتمكن كافة الآلهة المبجلين من التفكير العميق

وتدبير شؤون بقية العوالم

والتي هي أولى بالرعاية

من كل تلك المسوخ التي لا تكف أبداً

عن الصراخ
والقتل
بينما اقترح ثالث
أن تتحول كافة الأنهار إلى دم
وصديد
حتى يهلك الحرث والنسل
وذلك الكائن القردي اللعين
والذي كان خطأً فادحاً
من الآلهة آنذاك
وإذ

كان النقاش محتدماً إلى هذا الحد
استأذن كبير الآلهة
في أن يذهب إلى دورة المياه العمومية
- التي تسمى الأرض -
لكي يقضي حاجته في الخلاء الرحب
فيما كان باقي الآلهة يباركون ربّ الأرباب
على فعلته التي صفقوا لها طويلاً
وعدّوها من بدائع صنعه!!

ساحة القديس بطرس الرسول

المرأة التي قد توقد الشموع كل ليلة
في ساحة القديس بطرس الرسول
من أجل أن يكون الربّ رحيمًا بها في ساعة النزاع الأخيرة
والتي اختفت من الكتب والتواريخ
وزوايا الأرصفة
والمعابد القديمة
وأصبحت تطوف في الذاكرة بلباس النسيان
والجزع

تعرف جيداً
أن رائحة يديها النيتين
تشبه عرقَ شجرة الكستناء الوحيدة
التي تقف صامدة في وجه الريح
وذلك رغم مرور أربع حروب دامية
وعدة شتاءات لم تترك سوى
أغنيةٍ بائسةٍ لأرغن قديم
في فناء الكنيسة
المعلقة
ولأنها تعرف الرب جيداً
ولا تطمئن مطلقاً إلى خططه
وألأعيه
ولا إلى ملائكته الذين يحملون في أيديهم
البلط
والسكاكين
من أجل كافة الخطاة والمجذفين
فقد اختارت في ساعات الندم
والحسرة
أن ترقع على ركبتيها الإردوازيتين
وكفلها التفاحي
أمام تمثال من الرخام الأبيض
للسيدة مريم العذراء
كاشفةً
للتمثال عن كل تلك الدموع
التي تنفجر وبضراوة بين الأوردة
والشرايين
وعاهدت السيد يسوع المسيح نفسه
على أن تهب حياتها كلها له
ودون أدنى ذرة - واحدة - من ندمٍ

أو شك
وذلك قبل أن تأخذ الحرب الأخيرة حبیبها
الذي لم تعد تعرف عنه أي شيء
ولما
لم يكن يخامرها أدنى شك
في أنه سوف يعود ذات يوم
مكللاً بالغار
والمجد
فقد ربطت على قلبها بكلماته الأخيرة
وأغنياته التي صاغها في ساعة الوداع
ودون أن تنبس ولو بكلمة واحدة
سوى تلك الدموع البليغة
بطعم الألم
والدم
والكلمات التي تنجس في الحلق
كالشوك
ورغم ذلك
فقد أخذت تطلق طيورها الليلية
الأسيرة
في الأرجاء كافة
في انتظار أن تعود تلك الطيور
وفي منقارها الأخضر
غصن زيتون
جاف
أو حتى تخبرها بكلمة واحدة عن رجلها المحارب
وإذا اشتاقت في ليلة من ليالي الشتاء الطويل
إلى دفء أنفاسه
وعمل يديه الحانيتين
وإلى حليب جسده الساخن

فقد ظلت واقفة أمام المذبح
لعشر ليالٍ
كاملةً

ودون أن يتسلل إلى قلبها الوهن
أو تنخر في روحها الوسوس
وظلت تردّد
وبلا انقطاع

أين أنت أيها الحبيب
يا من اصطفتك كلك لنفسي
كلماتك التي تركتها تحت لساني
مثل بضع زيتونات جافة
وعلى شفتي مثل حبة شمس
تعويذتي الخالدة
من السأم
والياس

أيها الحبيب النائم تحت جلدي!
في الليالي الحالكة مثل حَسَكَةٍ
رأيتك بعين قلبي
وأسكتك بمفردك
في منازل الروح
العالية

وفي ليالي الحصاد والصيف
أطلقت عليك نسائم محبتي
وأدخلتك

مثل فراشة مغوية بألف فم
إلى جنات جسدي
لتأكل وتشرب
حتى يولّى الصيف الحارق
ويأتي الربيع الرّنان

هناك
وعلى مصبات أنهارِيْ
وكافة أوديتي
جعلتك ترعى كالغزالِ
وطيور البر
وتتنقل من غصنٍ لغصنٍ
مثل حجلٍ إلهي
واصطفيتك - كلك - لنفسي
أيها الحبيب
أيها الغريب
يا رجلي المحاربُ
يا من جعلت لك من كلماتي
كأس زبيب وخمرٍ
حتى أخفف عنك وطأة الزمن
وضراوة النسيان
لا تقل إنك لا تعرفني
لا تقل إنك لا تسمعي
ولا تقل إنك لا تحديق في بئر روحك
المالآن بالزهر
والشمس ولا تراني
حدق
حدق جيداً
فسوف تجدني مثل عملة ذهبية من قرون ترنّ
تحت قمر مخنوق
ويشرقُ عليك وحدك
أيها الغريب
يا من أخذت العقل كله
وتجولت في كافة معازل الروح كالخطيئة المحببة
إلى أن تركت الجسد

يتلظى
في انتظار أن تهطل عليّ كافة أمطارك الاستوائية
وصبوات شهواتك
الحارقة
ماذا أفعل أنا بكل هذا الجسد
الذي فقد سيطرته واتزانه
بدون عمل يديك
اللّماعتين
ووقع أنفاسك
المدرية؟!
أيها الحبيب
أيها الساكن هناك بين الجنّات
وعلى مصبات الأنهار
يا كل لغاتي المفردة
ويا عنقود عنبّي الأحمر
لك
وحدك
سوف أهيئ سريري الذي صنعته
من القرّ
والحكايات
وسوف أنتظرك إلى أن تكتمل دورة أيامك
ولياليك
وأرى نجوم عينيك إذ تلمعان
في الأفق
مثل نجمة مختالة
أو قمرٍ
يخرج عن المدار
ويعود
ليقف أمام بابي

وتحت نافذتي
أين أنت
قل لي؟!
ولمّا سمع التمثال
تلك الدعوات الحارة
والصلوات القائمة
التي تخرج من فم السيدة كالسيل
أدرك
أن الصمت
والوقار
الذين يحتفظ بهما لنفسه
ومنذ سنوات بعيدة
بلا طائل
فما كان منه
إلا أن نزل عن قاعدته الرخامية
وتحول إلى طائر بجناحين أزرقين
وفم أخضر
وطوق السيدة
بشفتيه الخرزيتين
فيما كانت آخر الشمعات الثلاث التي أشعلتها السيدة لنفسها
لا تزال ترسل أضواءها الساهرة
هذه الأضواء
التي تحولت إلى خبز
وخمر
وكتل من دموع حمراء
وكان الرب نفسه قد بدأ يتحنّن وينزل من على صليبه المعقود
في ساحة القديس
بطرس الرسول؟!!

مرآة

أحياناً تستبِدُّ بنا المرأة
فلا نلبث إلا أن نعكس صورتها الملعومة
على كافة الأشياء
لتتأكد من نفسها
وأن ما صنعتها بنا
هذه المرأة
ليس إلا صورة الأشياء في ذاتها
إلى أن تظهر في آخر الليلِ
هادئةً
ومطمئنةً
في هيئة أفكار
وصور
المرأة!!

هذه التي يلهو بها الطفل
وهي تعكس شمسها البعيدة
ويحتفظ بها في ساعة الغسق والوحدةِ
كي يعيد رسم أفكاره
وأحلامه الغائرة
بعيداً عن الواقع والفكرِ
المرأة الرغبة
والمرأة الزمن!!

وداع المعنى

في وداع المعنى
أبدد المعنى نفسه
يقف الهواء على سن إبرةٍ
ويتعلق الضوء

بالشفة

ما ينحرف هو ما يستقيم كذلك
سلطة الماضي تكمن في الحاضر
والمستقبل هو حجر الزاوية
يا لهؤلاء البنائين
أجرح الأشياء
لأبدد الرغبة
أقترب من الصيرورة
لأنشد المعنى
العالم الهولي
والعالم الرمز
يسقطان في شبك الناصبة
إنه العقل
حيوان الوجود
المجرد!!

أغنية مرحة عن الليل

بتؤدة

سوف نرتقي درج الليل العائد
وكما هي العادة دائماً
سوف نتوقف قليلاً لنغني
على حجارة السماء الراسخة
وسوف نكتب على حوافّ الأنهار
الرائجة
بعضاً
من أغنياتنا الساذجة
وعاداتنا السيئة
أيتها الوحدة السامة

لا عزاء لي تحت كل هذه السماوات
ولا مغفرة لك
فوق كل هذه الأرض
النجوم الرصاصية الغامضة
والأماسي الزائفة
لكلماتنا الميتة
وصلواتنا العمياء
سوف تغتسل بالندم
فوق جدران الزمن
الصلب
ما من نعمة سوف تعمل
ما من كلمة أكيدة في نهاية الممر
أيتها الرحمة الإلهية
أين هي يدك التي تعمل
وبين كل هذا الألم
ما من عزاء أكيد
لهذا العالم!!

طائر الغبار

على هيئة طائر من الغبار
تقف الوحدة العزلاء
ممسكةً بذراعين خشبيتين
ويمنقارها الذي يشخب بالدم!!
ما الذي تريدينه أيتها الوحدة العزلاء
غير عينين نضاختين
وفم ينفث الحجر
على طبق من نار
ونحاس

أيتها الوحدة
يا طائر الغبار
توقفي بسفنك التي تشبه الندم
وسنابلك التي تشبه البخار
وعلى مرمى حجر من مسالك الروح الرّنانة
لكل هذا الوجود الإنساني الممض
توقفي
على قاع تلك الكواكب الغائرة للزمن
كي تعبر كل هذه الحشود الهائلة
بمراياها
التي تعجّ بالضحايا.

العربات ذات الجياد الخشبية للزمن

النفق الأزرق للجياد الميتة
فئران الروح الصدئة
صلوات العدم الأجير
فوق أشرعة الفجر الميالة
الدم الأخضر
لطائر الليل الفحامي
الصمت المقترح
لكنسية الشتاء المعلقة
لنبق
الليل مفتوحًا على نجمتنا
العارية
لنبق
الليل مفتوحًا
على كفل امرأة
تعرف كيف تُغرّر بالعشب

وتجعل القمر
يشهُقُ
على كأسِي الفخذين الرخاميتينِ
ودون
أن تبَدّد عنها
رعدة الهواء!!
لنبقِ
الليل مفتوحاً
على تلك القبل اللإنسانية
التي لا تعرف إلا طعم السنوات الجريحة
بطيورها البلاستيكية
وأنهارها المالحة
وبأياديها
المتلكئة المرحّة
ووعودها الأجيرّة
سوف تطرق هذه النجمة السوداء
نوافذ السماء العليمة
تلك النوافذ
التي تنحلُّ تحت عربة الزمنِ
ودون أن تندّ عنها
ولو
صرخة واحدة!!

أغنية إلى نفسي

لقد تعلمت الكثير من الحبّ
تعلمت أن أمسك الألم بأيّابي
وأن
أصرّ الماء في صرة

لقد صعدت إلى السماء ونزلتُ
وما رأيت أي شيء
لألف مرة قلت
أصعد إلى هذه الهاوية
وما جمعت سوى الحصى
والرمل
كان العدم يتفرّس فيّ بأنياه الفراسة
ويحك ذيله الطويل بخيالاتي المملحة
وأنهاري الغارقة
ويقف على بوابة أنفي
مثل ذبابة تطنُّ
لألف مرة قلت
أصعد إلى هذه الوردة
ولألف شمس
جمعت كل هذا الندى
كنت أصغي إلى الحصى
والرمل
تحت وابل من المطر
وكنت أجمع الشك
في سلة من الألم
لم تكن هناك أغنية واحدة لأغنيها لنفسي
- وذلك عبر الليل كله -
في فراشي الذي يمتلئ بالنمل والضفادع
كانت هناك الحياة الضرورة
والموت الضرورة
لقد مشيت في السكك التي تمتلئ بالدموع
والدم
كنت أنا والألم صديقين
في حياة مترعة

باليأس
لقد تعلمت الكثير من الحبّ
تعلمت أن أمسك الألم بأنيابي
وأن
أصر الماء في صرةٍ
فمن صعد إلى السماء ونزل؟

تعويذة

إلى هــن

أنتِ
أيتها المعزى الإلهية
أبدًا
لم تعرفي الصلاة إلا كندمٍ أخير
ولم تعرفي النوم
إلا كاستيقاظٍ خالص للعشب
رائحة ثوبك التي تشبه شمس الغابات
وطعم يديك المبقعتين بالتوت
وحليب الأيل الجبلي
شريعتك الغائبة عن
الآب
والابن
والروح القدس
لم تكن الحياة أبدًا بالنسبة لروحك الواثقة
إلا حقل أشواكٍ
وأرض حناناتٍ
أنتِ
الأكثر من فراشةٍ

والأعمق من قمر بشراشيب
كلماتك التي تخرج من بين شفئك
الطافيتين
على بحيرات الألم
والشوك
لم تكن سوى حضانات
أزهار!!
بيديك الطيبتين
كحمامتين سيدتين
كنت تنضجين خبزنا كفافنا
في جوف تنورك المنصوب دائماً
على أطراف الصحراوات
والرب
ولم يكن لك من أحلام تشغلك
سوى تلك الأحلام البائدة التي تخبئنها
في طرف ثوبك
وعلى أجنحة فراشاتك
التي تنبعث في الليل وعبر حركة جسمك
الواسعة تماماً
التي تطردن بها الأسى والوحشة
عن روحك الجريحة
دائماً
أعرف أن هذه الفراشات
سوف تتبعك من بلدٍ إلى بلدٍ
ومن مدينةٍ إلى مدينةٍ
مثل طائرٍ الإوز
لتقف - هناك - على أطراف أصابعك
مثل غابةٍ من الحليبِ والفحم

وعلى أعالي فمك
تنطلق دائماً
آه
من نظرتك الأجيّة
أيها النسيان الذي لا يعرف طعم الندم أبداً.

عمل الذاكرة

تلك الذاكرة التي تعمل مثل كراكات صدئة
وتتوقف في المحطات النائية
لأبراج الليل
لينزل منها الوقادون
وعمال الإنقاذ
وحاملو النفائس البشرية
والأساطير
ولتتزود بالطاقة اللازمة للقصور الذاتي
وبعيداً عن عوامل التعرية
هذه الذاكرة
سوف تتوقف كذلك
على حوائط الساعات
والعزلة
لتتذكر كل أولئك الذين فقدوا أرواحهم
ومعاطفهم
فوق أطواق النجاة العملاقة
لسفينة غارقة ترقد في الأعماق
وتنمو عليها قارات هائلة من الطحالب المجوفة
ونباتات الفطر
لتصنع منها نجمة أسطورية
لكلاب البحر.

عناكبُ

هذه العناكبُ المدوية في الفراغ والظلمة
هذه العناكبُ التي تأكل من لحم روعي ليل نهارُ
على مائدة العدم اللزجة
وتصفق بجناحيها البنين
فتساقط طورُ اللامبالاة المرحّة
فوق أطباق الصمت
الباذخة

هذه العناكبُ الليلية التي تسرح على أرضية الغرفة
وتملأ نوافذ النهار
بأسنانها البلاستيكية
هذه العناكبُ
سوف تجلس هي الأخرى
على الأرضفة المتأكلة لليل
لتأكد من الأحلام النحاسية
لطيور الندم
وهي تنسج بجناحيها الرخاميتين
وفوق كل تلك السكك
التي نسير عليها محاصرين بالآلم
والغياب
جمجمة الزمن المتدحرجة أبداً!!

ملاحظات وتعليقات

(1)

الطائر الأزرق ذو المنقار الذهبي
كثيراً ما يتوقف على باب غرفتي
ليتأكد من خلوها من الأحلام
وكثيراً

ما أسمععه وهو ينقُرُ في شرشف السرير
والمخدات

- إلا أنه

وعندما يأخذ الليل في الغناء فجأةً
وتبدأ ساعات الحائط في مراقبة الوحدة-
لا يملك هذا الطائر الأزرق
إلا أن يحلّق بجناحيه عاليًا
على هيئة قوس قزح
فيما أحرق في كل تلك الأحلام
التي تتساقط على الجدرانِ
وأرضية الغرفة
حتى لا تقع السماء على الأرض!

(2)

لماذا

لا يقف ذلك الطائر الضرير
إلا على عظم روحي
ولا يحرك رجليه إلا كالومياوات عند مطلع كل فجرٍ
فيذا ما أراد أن يجرب آلاته الحربية
ومعاوله المسننة
فوق المستنقعات الشاسعة
بعجلاته المطهمة بالدروع
والخفافيش الملونة
لا يلبث إلا أن يطير بجناحيه المنحوتينِ
من الرخام
والألم
وفي منقاره المعقوف رقبة طائرٍ أخرقٍ
ولا يشبه فصيلته الحيوانية
إلا في الضحك
والنسيان

ولا ينظر إلى الأرض إلا من خلال فوهته الحربية
وتلسكوباته المقعرة التي تخترق كافة الخلايا
الإنسانية
ومن فوق حصونه المدججة بالعجلات والنار
ليستطلع العالم كإله راسخٍ
من آلهة الصيد.

جلجامش

عن الأغنية الصامتة التي تغنيها اللذة
عبر مسالك الليل

1- حانة سيدوري

حينما فتحت سيدوري أبواب الحانة

ذات صباح خريفي

كان جلجامش الذي أتى لتوه من مدينة أوروك

ذات الأبواب السبعة والمسيجة بالذهب والفضة

يحمل على ظهره بقجته وأدوات صيده وقنصه

ومن خلفه ظهر أنكيكو ذلك الفارس الشجاع

ممتطياً صهوة جوادٍ أصهب

وإذ رأت سيدوري جلجامش بذراعيه المفتولتين

كعارضتين خشبيتين ملفوفتين بجسده الذي يشبه

جسد أسدٍ مندلٍ وبعينيه اللتين تطلقان الشرر

والحتف هتفت

جلجامش

لَمْ لا تدخل

هأنذا قد أعددت لك كل شيء

المائدة

وزقاق الخمر

شعري الطويل الذي يشبه قطعاً من الليل

سوف أجعله مخدّةً لرأسك الجميل هذا
جسدي الرطب الحلو
الحار
كرقائق الذهب
سوف أروّضه ليكون حوضاً لخيولك الصاهلة هذه
شفتي الحارقتان
كسلكتين من القرمز
والمفتولتان من العاج
وشقائق الضوء
سوف يكونا كأسَي نبيذ لشفتيك الإلهيتين هاتين
جلجامش!
خمرة جسمي الذي ما أعطيته لأحدٍ من قبلك
سوف أعطيها كلها لك
مفاتيح بيتي
وأسرار داري
سوف أجعلك خازناً عليها
كنوزي
وخواتم أصابعي
بكارة جناتي
وكافة لذائذي
سوف تكون ملكاً متوجّاً عليها
يا كل أنهارٍ التي تنبع من الجهات
- وعبر سواحلي المترامية الأطراف -
سوف تخوض فيها بمفردك
بدءاً
من القبة الواسعة لجسمي
وحتى اللجة الشاسعة لروحي
خذني يا قرصاني الجميل
بأصابعك خذني

بأسنانك التي تضعضع الجبلَ
وتخلخل مفاصل الروحِ
خذني
بشفتيك القرصانيتينِ
الجحيميتينِ
وريقك العذب
خذني
خذني ولا تخف
بكل تعب أيامك
وسهر لياليك
بكل يأسك
وأملك
خذني
يا جليجامش
أرض روعي التي لم يمش عليها أحد من قبل
سوف أجعلك تدورُها بين إصبعيك
كالرحي
وتعلقها في آخر الليل
كالمشاعلِ
على فرشة نومك
سوف أجعلك تهرسها بيدك القويتين
وتتذوق حليها الساخن
بشفتيك الجهنميتينِ
اعتصرني أيها الحبيب
وكما تعتصر تفاحةً ناضجةً
فكَّك عروة جسمي على مرأى ومسمع من شفتيك الرنانتين
كما تفكَّك حبال سفنك
الراسخة
التي تعبر البحار والمحيطاتُ

نفضني على ركبتيك السنديانيتين
وكما يفعل بأعواد الحنطة
حصادو أرضك
وجوابو آفاقك!!
خمر روعي التي أحتفظ بها ومنذ ألف من السنوات
سوف أسكبها تحت نعليك
كالدرانق
عصير أيامي
منفرطاً على أكمامك يا شمسي الحارة
ويا سواسني الميالة
شهواتي التي تتفجر من بين أعضائي كالنبع
حجزتها كلها لك
لتعبر عليها من غابة إلى غابة
ومن حليب
إلى حليب
بين غابات الحنطة والزيتون
سوف أجعلك تنام كملك
وأنا لك كوصيفة
وعاشقة!!
سأدلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى
لا تفتش عن سماوات أخرى يا جلعامش
غير هذه السماء لن تجد
لا تبحث عن أرض أخرى
يا رجلي المقيم
سوى هذه الأرض ليس ثمة أرض
الحياة رحلة بين موتين
يا جلعامش
والحب هو اللحظة الوحيدة التي تعزفُ الخلود

في الزمن
أرضي هي الخلود
والزمن
سوف أجعلك تزرع كل هذه الأرض
بأشجارك الملونة
وكافة أسماك البرية
حقولي الجافة
وسهولي المترامية الأطراف
سوف ترويه بمياه أبارك وأنهارك
التي ما لها من مثيل
وسوف تكون حصّادها الوحيد أنت
دارس حنطتها الأمهر
وقناص براريها المهيّب
وعلى ظهرك
سوف تحمل حربتك الوحيدة
وفوق ظهرك قوسك
وسيفك
لتحميها من كل متلصص وأخاذ
فإذا ما غابت الشمس
سوف تعود إليّ لأدفئك من برد الليل
ومن كل تعب النهار
من سمن روحي
وعسل قلبي
سوف أطعمك كل أيام حياتي
فعن أي شيء تفتش
يا درقة الروح الحادة
إلى أين تسعى يا جليجامش
إن الحياة التي تبغي لن تجد
والآلهة التي

قدرت الموت على البشرية
استأثرت هي بالحياة!
2- سيدوري هذه السمكة الذهبية وعيناها من الزمرد!
سوف أتذكركِ يا شفيعةُ
ومثلما تتذكر غابة السنديان العتيقة فجراً شتائياً
يخرج من تحت الأنقاض دائماً
وسوف أطوّق جسدك العالي بدين تشهقانِ
إذ تكشفان عن منابع اللذة في حرير النحاس
الذي يتوقف تحت أنقاضك الشاهقة
كم مرة يتعين على هذا النّحات البارِع
أن يمسك بأزاميله وأراغيله
لينحت كل هذا الرخام
الذي يشبه جسمك
أنتِ
أيتها اللؤلؤة الكبيرة
بدروعك الهائلة
ودموع عينيك اللتين تشبهان فحم الكمانات وعرق الماس
سوف أتذكركِ
يا سيدوري
أيتها المليكة المتوّجةُ
على الماء
والشمس!!
ومثلما يتذكر الله عاصفةً
سوف أتذكركِ
يا سيدوري
أنتِ
أيتها السمكة الذهبية بعينيك اللازورديتين
وقلبك المشع!!

ورقة التوت الأخيرة

آه

يا روعي التي تتفسخ من الألم
انسي أننا ذهبنا إلى البحر ذات مرة
انسي أننا تكلمنا بالأقدام
والأرجل
والأصابع

انسي ضحكة العين الخالصة
وتفتح الجسدين على نافذة واحدة
انسي الليالي العديدة التي أترعناها
بالشهوة

وعسل الحليب المر
انسي الكتابة المختلصة للنظر
عبر الهواء

الذي يقف مشلوحاً على طرف الأصابع
ومجرى الدم
ويترسخ في المخيلة
كالنقانق

انسي الشوارع التي قطعناها معاً بالضحكات
واحتكاكات الرغبة الشرسة
ونحن نتنقل على الأرصفة كعصافير الجنة
وعبر آلاف الأميال

ودون أن نستقل ولو دراجة واحدة
انسي المحارث التي تحفر في جسدينا كالمسامير
والبلط

ونحن نرقد في غرفتين
منفصلتين

وبيننا المصابيح المطفأة لقطط الشوارع الضالة

انسي الرغبات الكثيرة التي تركناها على الأرصفة للعشب
وهي تتقشر بحسرة
وآلم
وتفتش عن سفينة عابرة تحملها إلي المجرات
انسي السنوات التي عبأناها في أكياس الرمل
والحصى
ولم تعد سوى أشواك
وقنافذ
على شبكة الروح الضوئية
انسي الزمن الذي تركناه معلقا في الفراغ المحض مثل خلد أعمى
هناك في الشوارع
وتحت أقدام المارة
يتنطط
مثل قط مذبوح
بينما الشهوة التي قطفناها معاً وباليدين ترقد شاسعة مثل بحر
يا روعي التي تتفسخ من الألم
أرجوك
انسي كل شيء
انسي كل شيء!!
فما عدنا نريد مزيداً من الحياة.

أحجار
الغابة السوداء

منحوتات

منحوتة أنتِ من الندى والماس
صدرك خلاصة الحكمة التي لا تعرف اليأس
كلماتك ما لها من مثيلٍ خالصٍ
ماؤك الذي يخرج من بين الصلب والترائب يصنع راية من الأعاجيب .

هسيس

فتشت عن آثار نعليك بين الحصى
سمعت خطواتك وهي تنتقل بين الفراشات
كانت السحب التي تنفرش في الأفق
مخدة لنعليك الكريمتين .

صَدَفَة

في الليل أتقلب على فراشك الرحيم كالصَدَفَة
في الظلمة الغاوية كانت عصافيرك تملأ الأفق بالعسل والنسيان
فيما أشجارك التي تصطف على الجدران
تفرد شعرها للريح لكي تصنع لك مروحة من الصيف الكليم .

طيات

قومي أيتها الآخذه في النوم
فما زال عليّ الفجر بعيد ونحن في أول الليل
والنجوم تتلفلف بجسدك الذي ينام جنب النهار
وأنا في طيات حلمك أتلظى .

حجارة

في السماء التي تشبه الحجر الكريم
كانت النجوم تلمع والشهب تتراص إلى ما لا نهاية

فيما كانت الأرض تلثغ عريانةً
في رداؤها الذي يتلفلف بالدم.

أيقونة

أيتها المرأة التي تشبه الآس واللازورد
صدرك نافورة من حنانات
جسدك أيقونة لقديسين يقدمون الصلوات والأبخرة لإله من ذهب
بحثاً عن منجمك الذي يرقد هناك تحت القبة.

سماع

في صلواتي التي أنفقتها طويلاً أمام باب غرفتك
كان صدى أنفاسك يتردد عبر الأودية والمسالك
ورائحة شعرك تسمع من بعيد
أما عن عينيك فلؤلؤتان ومجرة وبحر.

أصوات

يا لطعم شفتيك الجهنميتين
يا لصوتك الذي يذكرني بالجنات والسحر
يا لشهيقك الذي يتفجر من الفردوس كالأنهار
يا لشعرك الذي يظلل الليل.

سلالم

على السلالم المتآكلة للفراغ الباهت
كان الزمن يسكن في خيمته اللانهائية
وعلى مزامير الأفق الجرداء
كنتِ تنسجين كلماتك التي تشبه العدم والنقانق .

لا يقين

بين الجنون والحكمة جسدك يقف عارياً
بين اليقظة والنوم عصافيرك تزين الأفق
بين اليقين واللايقين كلماتك بعدد الحصى والرمل
أيتها الطاغية الأخاذة أين هي ألويتك فنزع الدروع.

إيقاعات

الليلة الجميلة مضت بلا منغصات أو مطاردات ولم يتبق على السرير الأخضر
سوى رائحة العرق والمطر وقافلة صغيرة من الذكريات
لم يتبق من الجسد الجميل الحلو إلا السحر والأساطير
ولم يبق على الجدران سوى أغنية وحيدة بإيقاع مختلف هو الزمن.
ينابيع

فيما كان غناؤنا الذي يشبه حبّ الكواكب
فيما كانت لغة الأصابع التي تفرّق بين الحلم واليقظة
فيما كانت عصافيرك التي تخرج من الينابيع والبحر
فيما كان هلاك الجسدين - معاً - على طاولة من حنانات واردوز.

إوز

الشمس التي تطلع من المحيط وراء خط الأفق
مياه البحر الساكنة التي تتكسر على جسمك كالكهرومانات
ساعدك اللذان يلتفان حول جسمي كعصافير اللذة
مرايا أرجوانية لإوزك الذي يسبح في بركة الله .

ذهب

حينما وقفتُ وراءك في الكنيسة المثلثة عصر ذلك اليوم ورحت توقدين الشموع
كانت العذراء المقدسة تنظر إليك بعينين واثقتين ووجهه يشع بالرحمة
إذ ذاك رأيت دموع عينيك اللتين تنسلان من القلب
وأنت تتحولين إلى فراشةٍ ووجهك يلمع مثل غابة من الذهب.

صيد

على صليبك الأرجواني كتبت اسمي بأحجار الرغبة
على جسمك الذي يشبه خيطاً من الرخام والماس
تركت لجسدي أن يسبح بمفرده في البحيرة
أنا وأنتِ رحنا نصطاد السمك في الأعالي.

ارتعاشات

الرجفة التي تدب في الأصابع
الندى الذي يسري في الروح بدلاً من الخبز
انتظار الفجر على سن إبرة
أليست هذه هي شهوات جسدك الذي لا يفكر سوى في الفراغ.

ركوع

على طاولة المناوبات الليلية
كان ثمة عصفور يركع
فيما تأخذ الرغبة في الطيران والتهفّف
ما الذي يجمع الأبيض والأسود في المنجم.

سبل

إذ تتذكر المرأة سبل عشاقها
تترك لجسدها الذي يتمدد على الأرائك
أن يناقش الشهوة الطاغية بشفتين نجميتين
وفم يمتلئ بالحليب والبراءة.

الأغاني

هذه الطاولة التي تكتظ بالأشعار والأغاني
كانت بالأمس شجرةً وتحلم بالربيع

وقبلما كانت ترحل إلى النهر في الفجر
كانت تترك لأحلامها الراسخة أن تتمشى على حائط الموت.

حقد

قواقع فارغة
ترقد في الأعماق
ورغم ملايين السنين
تتطلع إلى الشمس بعين حاقدة.

تطلّع

بعينين باردتين
ينظر الرجل الواقف في النافذة إلى الشارع
فيما تهبط نجمة ضالة
على طرف قميصه.

آلهة

الآلهة

حتى الآلهة ينظرون إلى العالم من شرفته الواسعة
كثيراً ما يضحكون من هذه الميلودراما
التي تبدأ بالحياة وتنتهي بالموت.

وقف

نظراً لأنني من سكان هذا الوقف
وقفت ذات يوم أمام شاهدة قبر
ورحت أسجل أسماء بعض الراحلين
لم يكن هناك غير شجرة صبار تتطلع إليّ بعينين ذاهلتين.

هجران

أنتِ بعيدة عن جسمي تمامًا
لكن عصافيرك لا تهجر الغرف مطلقاً
في الليل يطلع وجهك السماوي كالقمر
فيما جسدك يعزف بمفرده موسيقا الغرفة.

مسيح

حينما تحدد في الوحدة بعينها الشرستين
أصنع لنفسي جلجثة وأصعد إليها درجة إثر درجة
وأنتظر حاملي السيوف والبلط
لأصنع من نفسي ذبيحة في مملكة الوطاء هذه.

نزوات

أغلقت الباب وقدت قميصها من دبر
ونادت على جسدها الذي يتحرش بقطيفة الهواء
فيما راحت تقول لنفسها وهي تتفرس عصافير الوحدة
تسكينيني يا امرأة .

برودة

هنا ، على البحر والرمل
أنا والأبدية نجلس كأصدقاء
تحت شمس باردة
ونطفئ الألم.

تحليل

أنفك طائر الليل الذي يحلق في البعيد
أصابعك شمعدانات وبلا نهاية

صدرك يصعد ويهبط على أصابعي كالتفاحات
يا لتلك اللذة التي تصعد من شوارعك.

استقالات

أستقيل من هذا الليل
أستقيل من كل هذا النهار
أنطفئ وأضيء على رمالك الساخنة
ألم تكن شمسك الرائعة خزان حنانات وملاعب صيف.

الأحد

اليوم أحد
وأجراس الكنيسة المعلقة لا تزال تدق في الأعالي
حسنًا ألا زال الرب يقف بمفرده على الجليظة
أذكر أنك كنت الوحيدة التي تصرخين بملء فمك : اغفر لهم يا أبي.

رواقية

مناطيد من ورق
وسماء نازفة
تلك هي حكاية يكررها الرواقيون دائماً
على ظهور حميرهم الوحشية التي تبتكر الألوهة.

سلحفاة

السلحفاة التي تنام على جنبها الأيمن
دائماً ما تتقلب في الليل
لكي تتأكد أن السماء في موضعها الآمن تماماً
وأن الأرض مرحاضها الغويط.
انزلاق
ما الذي يفعله النعاس الفضفاض

لرجل يجلس على كرسي متحرك وفي يده منجنيقاته وبكرات خيطه
وفيما ينظر إلى السماء التي تنزلق ببطء نحو البحر
تتساقط السنوات حواليه كالوطاويط وحَب السنت.

عكاكيز

فيما تتحرك كل هذه السماء القعيدة على المرآة
ليس هناك سوى عصفور وحيد
يحك جناحيه المتصالبتين بالأرض وينظر إلى الشمس الباردة
التي تتوكل على عكاكيزها في الظهيرة.

عماء

الحياة التي نحسبها عمياء وغير مجددة
كثيراً ما نضعها في الصناديق الجانية لغرف الروح
ونغلق عليها بالأقفال والمفاتيح
خشية أن يسرقها اللصوص من عنبر الليل.

تنقل

تنقلي.. تنقلي أيتها الفراشة العمياء
فعلى سربك الذي تصنعيه من خز وأرجوانات
سوف يأتي الشتاء بكامل آلاته ومعاوله
لكي يلف يرقته الشاهقة حول روحك تماماً.

خيوط

المجد لك أيتها السيدة
التي تجلس في باحة الدار ليلاً بمفردها
وهي تمسك بخيط إبرة ومغزل
لكي تصنع لأحلامها أغطية وبطاطين.

آثار

على الصخرة الإلهية قمر ينزلق
وآثار ثعالب تتشقق
ولم يكن هناك ثمة شيء
غير الهواء الذي يقف مصلوباً على سن إبرة.

مدي

موجة تروح
وأخرى تجيء
الصمت مدية تحز كبد الظلام
وها هو ذا القمر الصيفي يتنزه وحيداً على منحدرات الليل.

تحرر

الشمس التي تغيب طويلاً في البحر
وترقد هناك في الأعماق
في انتظار صباح آخر مضى
لتتحرر من أسر الجنيات والذهب.

قبور

ما الذي تفعله هذه الفراشة العمياء
سوى أن تظل طول عمرها تفرز رغاءها الشفاف
لكي تصنع لنفسها أخيراً
قبراً من الحرير الخرز.

غرقى

بأعلى صوتي ناديت
أيتها الحبيبة بالذات

ماذا يفعل كل أولئك الغرقى
بجسدك الذي ينهمر بين السماء والأرض كالقصة .

تأسيس

الشجرة الوحيدة التي تؤسسها عبر العالم
يقف عليها ألف طائرٍ وطائرٍ بصناعات ومواويل
ترى ماذا تفعل كل تلك الموسيقى
التي تخلفها وراءك على الطرقات كالرمل .

أكواب

سهرك حمي
وصلواتك أودية بعصافير ومهابط
ماذا تفعل نظرتك الحكيمة هذه
في كوب مائي الذي يندلق .

نخر

تحت نعليك يهتف الحصى
في صوتك رغبة جامحة وغسق
أيتها الفرسة النبوية
ألا تتوقفين أبداً عن الصهيل والنخر .

أقفاص

إذ مررت قرب جسمك الذي يشبه نبعاً من الصهيل
كان قلبي الذي يمتلئ بالأغاني والحكايات
يقف مصلوباً على منجمي صدرك الإلهيين
كأغنية يتيمة في قفص .

إشعاعات

السلام لك أيتها المرأة الممعة في القسوة
فلا الليل بكل أبهته وبساتينه
ولا النهار بكل عنفوانه وحججه
قادر على لمس جوهرك التي تشع هناك في الأعالي.

احتلال

عندما أفتح النافذة لا أرى غير صورتك
عندما أغلق النافذة لا أرى غير صوتك
أسأل نفسي أية أسلحة عنكبوتية تملكينها أيتها الواهة الموهوبة
لكي يحتل جسدك كل هذه المساحة بين السماء والأرض .

طاولة

أحياناً ما أخرج القمر على طاولة الليل البردانة
أحياناً ما أخرج السماء على مقعد من نحاس وقش
فيما أصعد خلفك كالمناطيد
لكي أمسك بأساطيرك العالية أو طيفك الذي يمر .

التصاق

خطوتك بمفردها فجر
يعرف كيف يفسر قانون الجاذبية
جاذبية الروح التي تعرف كيف تلتصق بالجسد والفم في إناء واحد
بشرط أن تكون عينك هي المدارات .

غجرية

صوتك ناقوس يرُنُّ
في فضاء العالم الحرب

ضحكتك التي تجلجل تكشف عن وجه الشمس العريانة
أي عجربة أنت في ثوب راهبة؟!

خاتم

النهر الذي تنزلين إليه مرتين في آنٍ واحدٍ
السماء التي تكتبين على جدرانها الشاهقة أسماء عشاقك ومريديك
الزمن الذي تلبسينه كالخاتم بين إصبعيك وتنقشين عليه بعض أغنياتك
كلمات مرحة لروحك التي تتأجج.

ترويض

المرأة التي تروض الغبار
وتنام ملفوفة بأغنياتها
في الصباح تفتح أبوابها لليل
وهي تكنس من على أبواب الدار أكوام العصفير القتيلة.

نحت

الزمن بآلاته الخشبية ومعاوله المسننة
يضرب على هاوية الروح الرنانة
ولا يترك عليها سوى بقع حبره الجاف
وأنيابه التي يختر منها الدم.

مرثية

نحن الذين على مشارف الموت
نربط كلماتنا على هاوية الريح
ونعلقها بحبال من النسيان الخالص
في رحلة قد لا نعود منها أبداً.

مناديل

صلاة واحدة تعرفها العاشقة تفاحات الرغبة
صلاة واحدة يعرفها العاشق عنب الجسد
صلاة واحدة تعزفها الريح
مناديل الوداع الفضفاضة.

عروش

أيتها المرأة : شفتاك من عنب وكرز
قولي لي أيتها الحكيمة في الليل :
لماذا يهرب القمر دائماً إلى عينيك
وكلما أراد أن يتخفف من عبء الجسد كله؟

اقتراحات

في صوتك دائماً ما تصرخ الرغبة
الرغبة التي تمتلئ بزهور السماوات
وزنابق الأرض
جسدك يقترح إعادة ترتيب العالم.

مدارج

في الطرق البعيدة وعلى مدارج الجبال والنمل
في الطرق الأكثر صحواً لمنحدراتنا الرحبة
سوف يتوقف طائر الراقوف الأزرق
ليحكى عن عنف الساعات ومائها العنكبوتي الأسود.

هموم

خصلة من شعرك
ونظرة - وحيدة - من عينك التي تتركبها على الطرقات

مثل معصم يد أو ساعة استوائية
رجل محموم يحمل هموم جسده.

محارة

محارة فارغة وتسكن الشمس
إنها الهاجرة
سوف أحكي لك عن غربة الساعات التي تتوقف عن الدوران
لكي تتأمل غيوم شمسك.

خوف

ثمة نافذة وبيت
وطائر يقف بالوصيد
ورجل يركن دراجته التي تصعد الهواء بعجلاتها الأربع
على سقالةٍ من خوف.

وسادة

تكشفين عن وسادة الزمن
أنت أيتها الرغبة التي تكتظ
مساكنك العالية
زجاجة وشمس.

شيخوخة

في سنوات الرغبة والجنون
كنت أخبئ كل هذه النجوم في جيب
الآن وبعد أن تقدم بي العمر
أصبحت أظأ كل تلك السنوات بقدمي.

الطريق

علام يدلنا هذا الطريق
إن لم يكن على عدد أنفاسك التي تخضّر في السكك
مثل قمر جريح
فوق ساقية من ألم.

صداقة

الألم والمعرفة صديقان
ما إن نشرق في فتح كل تلك النوافذ
إلا ويتشقق الجلد وتتساقط الأسنان
ولا يبقى هناك سوى الهاوية التي تجدف.

أغنية

كلّك جميلة يا حبيبي كلّك جميلة
شفتاك تحت نقابك وعيناك حمامتان بريتان تهدلان في الأفق
خصرك عصير كواكب ووسوسة حلي مسبوك
جواهرك لا تشع سوى بالليل والناس نيام.

شسوع

ليل الرب شاسع ولا حد له
مسكونة هي خطواتك بإيقاع الصحراوات
الزمن إناء فارغ ولا مقياس له سوى نظرتك
أنت وحدك من يسكن الغابة.

عنكبوتات

في النفق المظلم للعالم
في الفضاء الذي يحتوي على جسدك ويمتلئ بصناعات نعليك

يتأهب الفراغ بأجنحته العنكبوتية
لكي يقبض على أسماكك التي تتقافز .

متاهة

من أي مكان تنبع عين الماء
التي تتفجر خلفك وأنت تسيرين في السكك كالفراشات
وها أنتِ ذي مثل طائرٍ يأتي من الشرق
ولا أثر لخطواتك سوى المتاهة.

فخذ

ترسمين على فخذيك رأسي نهد بعدة فهود صغيرة
فيما عشبك البري ينمو وبغزاره
على منحدرات جسمك الجبلية
يا لهوائك الذي يكتظ بالإنثم والبراءة.

ترميم

نحن الذين ولدنا فوق ضفاف الأنهار
وتحت أسقف بيوتنا الواطئة كنا نقرأ عن العشب
كيف يرمم كل هذا النهار
وكيف يجعل من فم الليل أغنية جافة.

يرقة

حتى الشمس التي نصنعها بأنفسنا وتجلب لنا الدفء
تقف هي الأخرى مصلوبة فوق جبل الألم المدنس
الذي يخرج من أفواهنا الجريحة
مثل يرقة تنفصص .

رفرفة

هذه الطيور التي ترفرف فوق رأسي بالليل
وهي تحمل في مناقيرها الذهبية صلواتها الجامحة
وأغنياتها التي تستخلصها من التراب والعدم
أعرف كيف أهدها وهي ترقد بجانبني في انتظار لحظة المفارقة.

أبراج

من يقول إن هذه القبرة
كانت تسكن في أعلى برج من أبراج هذه الشجرة
التي ترقد مقطوعةً
على شفا جرف هار.

جدران

المرأة التي تحدّق ملياً إلى الجدران
كثيراً ما يصيبها اليأس الرنان وهي تقف عارية أمام زجاجة اللذة
فيما تترك لجسدها المليء بالحكايات أن يتذكر
كل أولئك الغزاة الذين مروا من تحت كل هذه الجسور.

صورتها

نجمة طائشة بلا شك وبلا نوافذ
تلك التي تقف شاخصةً في كبد السماء
سوف تأتي الشمس هذه المهرة البرية
لتسترد صورتها من المرأة دائماً.

قارة

رمل في المحارة
يتذكر وعلى قلق كل تلك الأيام الجانحة

التي كان يرقد فيها في الأعماق
وهو ينتظر دمة أكيدة حتى تتشكل قارة اللؤلؤ.

طينين

لم يعد أمامه في هذه الكأس
غير ذبابة تطن
هكذا مضى أغلب الوقت
وهو يغرق السماء بين إصبعين من أصابعه.

فريسة

شجرة واقفة تخربش الريح بأصابعها الخمس
على سقالة من ريح
وها هي الأوراق تكتب تاريخ سقوطها على الأرض
ولم يبق أمام تلك الشجرة إلا أن تنام تحت حدقة النسيان.

نقش

نحلة الموت
بمعاولها الصلبة
تهدم جدران الزمن
ولا تترك سوى نقش بارز على فوهة قبر.

سفر

أيتها السماوات
كوني رحيمة بنا
فلا الموتى يريدون أن يناموا
ولا الأحياء يرغبون في السفر.

جدل

هكذا

وجدت نفسي فجأة

أتأمل الحياة

من شرفة الموت.

نزوة

في الليل كانت العصافير تهبط في السكك

والشمس تمسك بيديها الغرينتين حجراً أحمر

وتحك به كعبيها البرونزيتين

لتمسك بشفتيها سمكة الماء التي تنزلق!!

مراعي

بيتك الذي تحرسه الغزلان وترعي فيه الآيائل

برج بابل الصاعد فيه كالنازل

والنازل إليه كالصاعد

وأنت غارقة في الغي.

ربوة

كلما خرجت من غيمة أهتف

صه صه أيها العبير

كلما دخلت في غيمة أهتف أيتها السواقي توقفي عن الألم

وجه حبيبي أحمر وأبيض ومعلم بين ربوة.

قضم

أقضم الفراغ

أرخص الزمن أمامي مثل تل من البطاطس

وأنكش الحوائط المجاورة لروحي تماماً

بعدة أعواد من السنط.

شمعدانان

على باب الكنيسة المجاورة
ثمة شمعدانان يشعلان الهواء
وإذ أفتح الباب كان السيد على الجلجثة يقف متبوعاً بالفراشات
والمرأة التي تغسل القدمين تصنع من الدموع جوقة من العصافير.

انعكاس

العالم مرآة
تعكسين عليها شمسك
فيما يبقى لظلي أن يقف في العراء الطلق ككناس وأعمى
وبعيداً عن نطاق الجاذبية.

أنت

نظرة واحدة من امرأة غربية
أججت مشاعري
ذكرتني بعينيك اللتين خبأتهم في ظل فراشة
على شاطئ النهر تلك الظهيرة.

رغوة

من على أصابعك تخرج الفراشات جائعة
من على صدرك يخرج الربيع الذي يتجول في الحقول بأبهة
من على شفئك الكرزيتين تكتسب الشمس رغوتها
فماذا لو كشفت عن بقية الينابيع.

فقط فجر

لا أريدك لي
لا أريد جسمك الذي تزينينه بالشهوة

لا أريد بيتك الذي يمتلئ بالعصافير
فقط أريد شمسك التي تشع دائماً في الليل .

الفأرة

ذات ليلة كنت سكراناً
فأجلست القمر على ركبتي
وقلت للأرض : ها أنت ذي أيتها الفأرة العمياء
لم يعد غير فأسك التي ترنُّ أنا حطاب في متاهة غابتك .

حياتي

حياتي مدببة مثل حجر مسنون
أحياناً أربطها في حبل غسيلٍ
مثل طائرة ورقية
وأقول لها حلّقي في الأعالي أيتها الفقمة الورقية عبر اللاشيء .

انفراد

كثيراً ما أقطع الليل بمفردي
حتى أصل إلى جزائره الغربية البعيدة
هناك حيث لا تقبل الشمس
ولا يمكن للقمر أن يدس أنفه .

جسور

بين جزر ومد
تقع الأرض المشتركة التي تفصل ما بيننا
وكل منا يطير طيوره الجريحة
حتى تتقابل مسرعةً على جسر الرغبة الهش .

برودة

انتظريني أيتها المرأة العاشقة
فسوف أجمع بعض الحطب و القليل من الزيت
لأصنع لك عشاءً من اللذة الساخنة
لا تمحوه برودة المواسم.

مطرة

أيتها المطرة كم مرة أتيت إلى الأرض
وفي ثوب عاشقةٍ
أيها الزمن النقال
كم ركبت أحصنة من خشب.

نرد

عندما كنت ألعب النرد أنا والوحدة
كانت الجدران تلتف حولي وتلتصق بأصابعي وهي تصفق
و ذات مرة اكتشفت أن الجدران نفسها أخذت تمارس اللعب
فيما أنا والوحدة في غرفةٍ جانبية نتجادل حول فلسفة الشك.

الثلاث سمكات

الليلة، الليلة فقط وبعد عدة ظهيراتٍ من الجوع
تناولت عشائي أخيراً كان عبارةً عن حصوةٍ من ملحٍ مجروش
وسمكةً من نشارةٍ وفحمٍ
وعدة أرغفة من طحالب وفطرياتٍ فوق طاولةٍ من حصي.

حرائق

أوقدوا البحر للسفن كي تمر في المضيق
فلم يعد على رصيف الميناء غير أغنيةٍ يتيمةٍ وقمرٍ ضريب

هذه الأسطوانة من الغاز ما نفعها
إن لم تكن لإشعال الحرائق الصغيرة في هذا العالم.

غيث

وضعت يدي في جيب بنطالي الخالي من الهموم
كانت السحب الطليقة في السماء
تلعب الثلاث ورقات على أرض الطبيعة العتيقة
وهي تغني جادك الغيث.

أمنية

أهو كثير عليّ أن أرى الشمس تنام إلى جوارى
والقمر يسبح على طرف سريري
بينما النملة التي تقطع الجدران طولاً وعرضاً
تبحث عن حبة قمحٍ معلقةٍ تحت سقف الظهيرة.

تناقض

بيدك يا موسى ينشق البحر ويغرق جنود فرعون
وبيدي ينشق الماء في الزجاجة
ولا أمسك سوى بالقواقع الفارغة وحصى الليل البردان
هلموا هلموا يا حراس الأساطير.

تخطيط

بخاري يصعد إلى السماء
وأنا جالس إلى طاولتي أطارد الغيوم
ثمّة طيورٌ ترفرف بأجنحةٍ من خشبٍ
وأنا العق بقية الطبق ، طبق السمك الذي خططوا له.

تزود

سهر الرماد في المدفأه
وأخذت قافلةً من الحجيج تزود للرحلة
ولم ينته الخزاف بعد من عمل يده
ولم يعد في الإبريق سوى ماءٍ جاف!!

سنابل

شجرة صحراوية وأغنية بردانة
يتعانقان - معاً - في الهواء الطلق
ربما جمعتهما الضرورة العمياء أو الصدفة المدوّخة
وينتظران بلهفة أن تتفتح أزهارهما على سنابل الرغبة.

عزاء

أصابع صغيرة وتطلب العزاء
على أرضية الغرفة ذات الملاءات الرثة
فيما كان يقف الغبار فارداً جناحيه الثعلبيتين
في محاولةٍ أخيرة لإصلاح الأسلاك الكهربائية حتى تسلك العتمة.

استلهاهم

نفس البيانو في الغرفة المجاورة
نفس الأصابع التي تركتها السيدة ذات الإشارب على النغمة
نفس المعزوفة التي ما زالت تحلق في سماء الغرفة
مثل طير يتيّم ويُسْتَلْهَم!!

ثرثرة

في البار القديم جلس أصدقاؤني القدماء يفكرون في الكأس الفارغة
فيما أخذ كل منهم يبحث لنفسه عن سماءٍ أخرى

غير أن أحذية المارة في الشوارع المجاورة
أخذت تتسع لأرواحهم التي كانت تضيق.

خزف

يا له من منظرٍ عتيقٍ
السماء تندلق في كوبٍ ماء
وساعة الحائط التي تتكتك منذ سنواتٍ
لا تزال تمارس نفس المهنة.

غثيان

انتظروني قليلاً أيها الرفاق!!
ريثما أجفف الزمن وأمسح له يديه المتسختين بالشهوة
وبعدها سوف نخرج معاً إلى المقابر التي تقوم هناك على أطراف الصحراوات
حتى لا يفكر هؤلاء الموتى أبداً في الشيخوخة أو يشعروا بالنسيان.

حوارات

عند الظهيرة تجلس قبرةً على صباح مدخنه
وتفلي ريشها المتنفش واحدة فواحدة
وفيما تنظر إليّ
يقف هواء الشجر عارياً.

تغير

أمس زارتنى المرأة التي كنت أحبها في المنام
والتي لم أرها منذ ما يقرب من عشرين سنةً على الأقل
كانت تقف ملفوفة بالضمادات وأنا أخوض في الوحل حتى الركبتين
لم يكن البيت بيتنا ولا السرير الذي مارسنا عليه الحب له نفس النكهة.

ذكرى

لماذا أتذكر أمي الآن وبعد كل هذه السنوات
لماذا أقول لها الآن: صباح الخير يا أمي أيتها السنونة الطيبة
وأنا أعرف أنها ترقد هناك في مقبرة القرية
بلا عظامٍ أو حتى فساتين جديدة.

بكاء

في موانئ عدة اشتغلت حملاً بقرشين في اليوم
كنت أرفع الطوب من الصبح حتى آذان العشاء
وأصعد سقالة لا يغني عليها سواي
في الميناء استثمرت رغبتني في البكاء حقاً.

عطالة

عيني معطلتان
ساعة اليد معطلة كذلك ، وكذلك أجراس الكنيسة المجاورة
والراديو معطل
واليوم أحد.

حَجَلَة

لم يكن هناك أحد في الشوارع المجاورة
سحبت ظلي الذي كان يتبعني مثل كلبٍ
وجلست على صخرة صغيرة أمام بوابة النهار المخلعة
ورحت ألعب أنا والظل لعبة الحجلة.

سلاسة

أريد أن أكتب الشعر مثلما أتكلم
ومثلما أصب الشاي في البرّاد الأحمر أو مثلما أتنفس الهواء وأمارس الجنس

ولم يكن ينقصني أي شيء في هذا الصباح الرائق
سوى بيت واحدٍ من الشعر.

دون كيشوت

إنها ساعة الرمل
تلك التي يدون عليها الزمن أخطاه
وندون عليها - نحن - كذلك لحظات السأم واليأس
ألم يكن دون كيشوت على صوابٍ دائماً؟!!

اعتكاف

في لحظات الطفولة البعيدة كنت أفق أمام الجامع الكبير عصر كل يوم
لأتلقى حسنةً من يد الله التي تعمل في الخفاء دائماً
ورحت أمسح دورات المياه والميضات وأحرس أحذية المصلين وعكايزهم
ولم يكن ينقصني إلا أن أصعد إلى السماوات بسلمٍ.

اعتراف

تُرى
لماذا قال السيد وهو على الجلجثة إيلي إيلي لم شبقني
ألم يكن يعرف أن السماء مائدة من ورق
والأرض كرة من المسامير؟!!

غيظ

على رأسي وضعت قبعتي
ولبست معطني الوافي من المطر ورحت أتوكأ على عصاي
فجأة لم تمطر السماء
وطلعت الشمس.

واقعية

رأيت صورتني في إحدى الجرائد اليومية مرميةً على الأرض
والمارة يدوسون عليها بالأقدام
فقلت أي جدوى من قراءة ماركس وهيكل والقديس أوغسطين
وماذا يفعل نيتشه في غيبوبة كهذه؟!

بلاده

في كل يوم أذهب لأفتش عنك في السكك
نفس السكك التي تعرف خطواتنا جيداً
والحانات التي سكرنا فيها حتى الصباح
حتى السرير الذي نمنا فيه لم يعد يتذكر أي شيء.

ثامار

ثامار

هذه المرأة اللعوب

التي أشعلت النار في جسد يهوذا ووقفت على الطرقات تنتظر
ماذا يفعل الخاتم في إصبعين من الحليب لا يجيدان سوى حرق اللذة.

رعشات

على الطرق الجبلية الصعبة وقفت تنتظر عاصفةً
هبت الريح وكنست ثيابها بأسنان قويةٍ
جسدها بمفردهِ
وقف يرتعش مثل صنارةٍ.

عطش

تعال !! انظر إليَّ يا حبيبي
أنا في الصيف

أنا واقفة على الطرقات كمنحلة غريبة
دخلت بستاناً من الزهور دون أن تبل ريقها.

خزّاف

يداك صنعاني وكورت جسمي وكورتا روحي
أنت صبيتني على قلبك
يداك كورتاني بالليل والنهار مثل حبة حنطة
متى تفرغ أيها الخزّاف من عمل يدك.

صلصال

يدك مبلولة بعجين الأمس
وأنت في ثيابك الزرقاء
تنشفين اللذة بلسانك الأرجواني
ساعدك يرفعان عبء النهار.

مماحكة

أتجادل مع الهواء في المبردة
أتجادل مع الشمس في الظهيرة وأقول
هذا الصانع أبداً لا يتعب
ولا تتعطل ساعته الميكانيكية!!

حليب

حين وقفتُ ثامار على الطرق أخذت تعجن الهواء في صفائر
وتجلس على الأرصفة مثل نعجة تشغو
في انتظار أن ينتفخ الهواء بالرغبة
وتضج الأرض بالحليب واللذة.

سالومي

سالومي التي تخلع ثوبها الأزرق وتدخل إلى عرشها في الليل
لتتعري بحرية كاملة أمام رأس يوحنا المعمدان
كانت تعرف أن تاريخ العالم يصنعه الجسد الإنساني
على طبقٍ من اللذة العتيقة.

المجدلية

ماذا قالت المجدلية بعد ما غسّلت قدمي المسيح الداميتين بدموعها الخضراء
وبعد أن شبعتم تمامًا من اللذة واندلقت الخمرة على الأرض
هل كانت تفكر في الثالوث المقدس
أم في جدل التاريخ حول الآب والابن.

مصاهرة

دينه تسهر طوال الليل
ويعقوب في القفص
وسوائل اللذة آتية من زجاج
شكيم وحمور يرغبان في مصاهرة العدم.

مراودة

خاتمك قالت
وعصابة رأسك
عصاك التي في يدك وخبزك الذي في مخلتك
حتى أخرج من ترملي وأصير معزتك!!

زهر

لم تجز غنمي ، لم تقطع عني مياه أنهارك
أنا ضريبة على السكك

وأنت كأسّي الفارغة التي لا يلعب فيها سوى الذباب الأحمر
سرتي ملآنة زهرا.

صوى

لم نخرج من هذا الطريق ولا من سواه
لا توجد علامةٌ واحدةٌ أو صوى
صحراء واسعة وبلا نهايةٍ
أهذا هو كل ما نملك في هذه الرحلة.

وصف

حرة أنتِ كنجمَةٍ على المحيط
صلبة كلؤلؤةٍ تخرج من الأعماق
لينة كطينةٍ من صلصالٍ
هكذا رأيت صورتك التي على السحب.

امراتان

دينه، ثامار
شجرتانٍ ضاربتانٍ في اللذة
عصواهما اللتان تستخرجان الماء من ينباع
تُسقيانٍ من عين الرغبة.

بقع

أشعلتُ شمعةً وحيدةً وجلست في الظلام كي أراكِ
لم تكوني هنالك أبداً ، كانت ضحككتك التي ترنّ في الوحدةِ
وصدرك الذي يلعبُ النرد فوق طاولةٍ جسدي العطشان
فيما يدالكِ تتركانِ على قلبي بقع حبك الناشفة.

أخبار

في البناية المقابلة
تقف امرأة وطفل
الطفل يلعب بالفراشات
والمرأة نفسها فراشه.

العدراء

أيتها العدراء المقدسة
ألا تتوقفين قليلاً عند ناصية الشارع
لأسألك فعلاً هل حدث ما حدث
ولماذا ابنك بالذات وماذا كان يفعل يوسف النجار أنثذ؟!

عوالم

تراكتورات، كولوخزات، رأسمالية، إمبريالية
فاشية، اشتراكية، حربان عالميتان
- 70 مليون من القتلى، 100 مليون من الجرحى -
فلماذا كل هذه الأساطير حول رجل واحد مات منذ ألفي عام؟!

أسطورة

سبع بقراتٍ سمانٍ
وسبع بقراتٍ عجاف، زليخة، المرأة المصرية اللبؤة
تلك هي الحكاية العبرانية القديمة ليوسف مع فوطيفار
ليت أن الإسماعيليين لم يبيعوه في بر مصر.

نحات

يستطيع أن يعمل نحاتاً
ولكن لا خشب لديه أو ملاطٌ

فلماذا يحاول أن يصنع منحوتةً من الهواء المحض
لامرأة تتجول عاريةً في الحديقة ليلاً.

لهاث

على الرصيف المقابل جلست امرأة
وتعرت بكامل ثيابها
الفخذان ، والردفان ، والسرة
في المقهى كان ثمة كلب يلهث.

حساسة

تحسست راحة اليد
مررت يدي على السرة والردفين والقمر المنشق
تفتحت عناقيد الشهوة على الجدران
حتى أورقت كافة النوافذ.

أناي

أناي التي تنام إلى جوار
تستيقظ في الصباح مغتسلةً من الهموم
وتجلس قبالي على المائدة لتقاسمني الخبز والملح
صانعةً على الدوام حواراً غير متكافئ.

نيتشه

لماذا أحب نيتشه سالومي ، ولماذا هذا الاسم بالذات
هل كان نيتشه يكره يوحنا المعمدان إلى هذا الحد
أم أن سالومي التي تعرت أمامه ليلةً بكاملها
لم تكن تجيد سوى العزف على آلة الكمان والجسد.

شراع

في الحياة التي نحيها يوجد الكثير من الحب
والكثير من الجنون كذلك
أنا وحدي أقف في العاصفة
مثل شراعٍ مثقوبٍ.

تحديق

حدقت في اتجاه الريح
وفي اتجاه البحر
كانت الكلمات تخرج من الفم مثل الطيور الهاربة
والفراشات تأتي ميتة إلى الشوارع.

خبز

لم لا يكون هذا النهار كسابقه
الشروق ، الضحى والغروب
وأنت لا تأتين أبداً
في الطريق خبز يحترق.

وقوف

لم تأت هذه الفراشة أبداً لتحط على بابي
غير ذلك اليوم
أعرف أنك التي أشارت إليها
أن تقف أمام منزلي.

تململ

على قبر بلا مشاهدة
يحط غراب أسود

صبار على صبار
وفي الداخل عظام تتململ .

إغواء

أركلي الباب بقدملك العاجيتين
خبئي في جيب بنطالك الرمادي قمرنا الأخير
اتركي ثديك ينتفضان كرمانتين بريتين
بين راحتي يدي المعلقتين على عناقيدك المتشابكة .

وداع

في النهار الأخير لعملية الصلب
لم يطلب المسيح أي شيء سوى كأس صغيرة من الماء
وطبطب على كفل المجدلية بيديه الحنونتين ولمس شعرها الأسود
ولم يلق نظرة واحدة إلى أمه التي تحترق .

أفلاطون

في كهفه كان أفلاطون يرى العالم مقلوباً
الأرض في السماء ، والسماء في الأرض
وعلى طاولته المستديرة وأمام رقائقه كان يعلم تلاميذه
أن نظرية المثل أسطورة مستعارة من فن النحت .

شمعة

شمعتان ، ثلاث شمعات
طاولة من خشب وإردواز
والمغني الضربير يقف غريقاً في غرفة من غبار .

فجر

ذات فجر
أخذت أتجول في شوارع القرية بمفردي
كانت البيوت مقابر
ولا ضحكة واحدة ترن على الطرق.

تجوال

صفصافة ماثلة على البحر
وبئر ماء يجف
وحدها الشمس تغسل ثدييها بيدين عارفتين
وتتجول عارية كسمكة على السكك.

إستراتيجيات

من يقول إننا لم نلتق عصر ذلك اليوم
ألم أصنع من جسدك قارات وموانئ
ومن شفتيك العنابتين غرفة لممارسة الحب
ومن صدرك الرحيم ملجأ للإستراتيجيات.

ري

قبل أن تغسل المجدلية قدمي المسيح الداميتين
كانت تعرف أن جسدها غرفة مؤجرة لكل عابر سبيل
وأن حقلها الواسع شسوع الصحراوات
غرفة صالحة للزهور واستنبات كافة الحكايا.

78 / 10 / 18

في 78 / 10 / 18 ماتت أمي بسرطان الرئة
ورحت أمشي في السكك مثل كلبٍ أعمى

ومن يومها وأنا أصرخ إلى الربّ بملء فمي
لماذا أعطيتنا جرة معطوبة.

فلاسفة

نيتشه، أفلاطون، شوبنهاور
سقراط، هيدجر، كيركجارد، كانط
غزاة الشمال أولئك الذين حاولوا اكتشاف قارة السماء
أو إشعال النار فيها، ألم تكن هناك مكنسة في يد الله؟!

الماوراء

منذ أن تم صلب المسيح قبل ألفي عام والعالم هو العالم
والبشرية في كل يوم تفتش عن مسيح جديد
لكي تعلق عليه شماعة أخطائها
وكان الزمن يمشي إلى الوراء دائماً أو ينأى خارج المقهى فارداً ذراعيه.

جيرة

أمام القرن في الدار الكبيرة
كانت أُمّي تشعل الحطب وتعدّ لنا الخبز
ولم تكن تكلم أحداً
سوى جيرانها من عرائس النار واللهب.

دأب

ذات يوم صنعت لي أُمّي دميةً من الخشب
ومن يومها وأنا أعمل نحاً للفراغ
وفي لحظات الألم والضوء
أبحث عن آلهة مكسورة.

دراجة

ركنت دراجة الهواء
ورحت أصعد سلالم البيت درجةً درجة
لم يكن هناك غير جدّي الذي يجلس أمام الدار مثل جذع نخلةٍ قديم
وفي يده مسبحته التي يحصي عليها سنوات عمره التي تساقطت كالأسنان.

نشاره

تُرى أين أنت يا حبيبتني
وفي أي فراش تنامين حاضنة طيورك الزرقاء
أنا أعرف أنك تقدّمين جسّدك ذبيحةً لكل عاشق
ألم تكوني في يومٍ مجدّليتي.

حدّاة

لعبة التواطؤات الدولية، صابون الغسيل المبرمج، تزيف العملات الورقية
ملايين الجوعى والمشردين، الأصولية الجديدة، والمحافظون الجدد
عمليات الإبادة الجماعية، والانتقام الرجعي للرأسمالية المتوحشة واقتصاد السوق
ألا يكفي أن نحمل عبء الجسد كله.

إصرار

على الفخذ البرونزي المسبوك كشجرة اللوز
أخذت المرأة تدق الوشم للرجل الذي تحبه ولم تشأ أن تقول له الوداع
أو أن تمارس الجنس في صالة الجيمانيزم
فقط لكي يظل الجسد على حالةٍ من الوعي.

صباحات

في صباح جميل كهذا لا أجد ما أفعله
سوى أن أجلس على الرصيف المقابل

وأمدد رجلي في الفراغ الغويط وأتودد إلى الهواء المناوش
وأقول لنفسي :
ها، ها، ها لا جديد تحت الشمس .

قأقأة

في الشوارع المقفرة
تكس المصابيح العتمة من على جلابيب الليل
ولا يتبقى على الأرصفة سوى غربانٍ سود
تقأقئ على كل نائمة .

النوافذ

في إحدى كتبه قال العلامة محيي الدين بن عربي العالم خيال
أدركت هذه الحقيقة وأنا أفتش في صندوق أمي القديم ، كان ثمة خلخال
وعقد من الكهرمان الحجازي ، وطرحه زفافها التي أكلتها العثة وبضعة أدعية
وخاتم الزواج وضحكتها التي تركتها على النوافذ وشالها الأخضر .

مستوطنة

يا سيد كافكا ألا تجلس قليلاً معي
لنشرب الشاي في إحدى هذه المقاهي، أو ندخن الشيشة حيثما اتفق
ولا تقلق بشأن العالم أو وحدة الوجود
ولنضحك قليلاً على الدودة الهائلة ومستوطنة العقاب هذه .

لعب

قطط الفراغ التي تلعب معي الدومينو على نفس الطاولة
وتشاركني الوحدة والأطباق والملاعق
الشوك والسكاكين، الأغذية، الشراشف
وفي آخر الليل تغلق كافة النوافذ وتبدأ في الغناء فجأة وهي تعلق أصابعي .

جميزة

هناك، عند الساقية المهجورة كانت تقف شجرة جميز راسخة
ل طالما صعدنا فوقها وغينا، وأكلنا من ثمرها المعطوب وركعنا تحتها بامتنان
وكتبنا على جذعها الغليظ أجمل الأشعار لحبيباتنا الجميلات النائمت
الآن، تقف هذه الشجرة مثل حارس أعمى قبالة فنار معدوم.

حيوات

في سنواتنا الناشئة كنا نجمع الحطب والقمامة من على الجسور
ونجفف القواقع النيئة حتى نأكل عظامها، ونصطاد السمك بالشص من النهر
وننقى اللطع من على أوراق القطن المصابة، وكنا نسخر من الموت المجاني
وهو يمشي في شوارع القرية كاللص ونحن نحتضن الحياة بمجرد النظر.

غناءات

كثيراً ما صنعنا من أعواد الحطب والبوص أغنياتنا البسيطة المجوفة
وصنعنا بأنفسنا هذه الموسيقى التي تتسق مع لون جلابينا
الموسيقا التي تخرج من الهواء لتصنع الهواء
وهي تخرج من أفواهنا كالذهب الحار في حلقات ودوائر.

استحالات

كم أتمنى أن يعود بي الزمن إلى الوراء
لأجلس قليلاً على العشب مثل ذئب بري
وأتمرغ على الأرض العطشى، وأشم رائحة الطين في الفجر
وأشرب من يد الليل البردانة القليل من الندى حتى تنتصف الظهيرة.

أميرة

أميرة!! يا أميرة، كحل عينيك أغراني بالذهاب خلفك في السكك
صوتك ما زال يرن على شباكي في الليل

حتى تحولت إلى نجمة لا تطلع إلا لي
حوّلي عينيك عني فهما قد غلبتاني.

أنثى

بيدين صلبتين وجسدٍ منهمر تقبض أنثى العنكبوت
على فراشات الجسد الجامحة
وفيما يتفحم الجسد في حفرة الجسد
ولا يتبقى من غشاء الروح سوى الهيكل تخرج الوردة منزلةً.

قلوع

هللوا يا ، هللوا يا
سوف يبحر الجسد من مرافئه الصغيرة المجهولة
ولا يلقي بقلوعه العملاقة ومراكبه إلا على سواحل اللذة
وذلك بعد أن ينقي شجرته العالقة من الأساطير.

اندحار

صورتك نازلة على الدرج وفي يدك الكمان
يتعطل أمام عينيّ
إليك تتطلع نفسي باشتياق فيما هي تصغي إلى موسيقا جسمك ذات الجلبة
وأنا أتلصص على ردفيك الكوكبيتين
والحس عرق إبطيك كالدرقة.

منازلة

أيها الموتُ الرنان فلتأتِ وقتما تشاء وعندما تريد
في شكل جعرانٍ أسود ، أو حتى سحلية جبلية
فلقد تركت لك - على المائدة - بيضتين فاسدتين
وأقل من 70 كيلو جراماً من اللحم المخلوط بالنفايات.

تعليمات

أحبب قريبك، لا تشتهِ امرأة جاركَ
أدر خدك الأيمن، لا تقتل، لا تزني، لا تسرق
اعطه الثوب كله، ملكوت السماء أضيق من ثقب الإبرة، طوبى للغرباء
هذه هي تعليمات المؤسسة، ومن يومها والعالم مملوء بالخرءاء.

اختراعات

أخترع وردةً، وأخترع بيتاً وأصير خزافاً
أخترع نافورة حمراء
وأجلس إلى ظل الشمس
تنبهي إلى عمل الساعات.

شرح

في الزمن
تأتي الأشباح متراكضةً فيما تمسك بين أصابعها بمزامير الوحدة
وعلى طاولات المجاز والفحم
يقف النهار مصلوباً.

أنا

أنا من يختلس النظر إلى الظهيرة
أنا من يحمل فوانيس العتمة ويمتلئ بالشك
أنا من يرقب ولوج الليل في النهار، وولوج النهار في الليل ودون أن ينتبه
ومع ذلك أظل أصفق لطيور العدم الهرمة وهي تعبر الأنفاق السرية لليل.

ترنسندناليزم

ظهيرة الغد، ظهيرة اليوم، ظهيرة الأمس
كلها أوانٍ من النحاس المستطرق التي تعكس السماء بنافوراتها اللازوردية

فيما تكتب على حجر الصوان والملح ،
جبالك أعلى من الموج
موجك أعلى من السماء ،
سماؤك أعلى حتى من جبل الموسيقى.

خرزة

إذ يقف النهار غريقاً على بابِ غرفتي أقول له:
أين هي امرأتي أيها المراوغ اللص؟
أين هي فراشاتي الليلية التي تقف مبلولةً على صخرة المدى؟
لا شك أنك تحمل في طيّ جلابيبك خرزة الروح الهرمة
التي تفتح لطبور المحيط حدائق النسيان.

الظل

الظل يسمع
وينحُتْ
أما الأشجار
فتنام عاريةً
في انتظار عمل المكانس.

نحر

كثيرة هي الوطاويط التي تنحر في مؤخرة الرأس
وتنام على المخداتِ مثل عمل الطحالب
كثيرة هي المصائر المجهولة
التي تمسك بالفراشات والضوء.

خزفيات

بين الفخزين اللدنيين يسكن قمر السماء

فيما تتناثر النجوم تحت نعليك أيها الطائر الخزفي
جسدك طاووس ويعشق العزلة
دعيني أتجول بمفردي بين حدائقك أيتها التفاحة.

تغلغل

صغيرة هي أحجارك التي ترصعين بها صدرك الجميل هذا
أريد أن أظل في إحدى هذه الغابات
وأَتغلغل في داخل المسام
حتى أشرب من عبير كراساتك.

أطياف

القواقع التي جمعتها هناك من أعلى الشاطئ ووضعتها على السلم
كان هنالك الفراغ الذي ينصب شبكته الدمعية المجوفة
لاصطياد كل تلك الفراشات التي راحت تواصل الغناء بعينٍ منجرحه
بحثًا عن خيمة هائلة كانت تسكن هناك على شاطئ بحر.

عجائز

أدعية العجائز
وهن يتذكرن رائحة الموتى
- قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات -
كن يتأملن رائحة الزمن بيده الخشنة.

أيتها النائمة

استيقظي أيتها النائمة تحت الفجر
فعلى فراشك الوثير جمعتنا الصدفة العمياء ذات ليلة
فاكتشفنا أن الجسد بحد ذاته بحر وما له من محيط
أوله كآخره وفيه كل السفن غرقى.

متاهة إبراهيم

ترى

لم كل هذا الليل

لم كل هذه الغيوم

أنا وحدي أسير في السكك التي تختلط بالرمل

أقطع الليل في النهار

وأقطع النهار في الليل

لا نجوم لي فتلمع في الأفق

أركض باتجاه البحر ولا أمسك بغيمة

أتوكأ على عصاي لأهش بها على خياناتي

أحياناً

يخيل إلي أن هذه العصا ثعبان

وأحياناً أهش بها على مخاوفي المتراصة مثل جبل

وتنمو على وجهي مثل فطر بثأليل

وجهي الذي خددته السنوات

وأهلكه الحر و القر

لم كتب عليّ - وحدي - أن أواصل السير

في السكك التي لا تنتهي

أما آن لهذا الحزن أن يتوقف

أما آن لكل تلك الغيوم أن تنقشع

أما آن لكل هذه الغربان التي تزق في أرض روحي

أن تبتعد

ليعود لي هدوئي

وتلمع شفتي مثل قصبة

لماذا خرجت من أرض أور

بلا كسرة واحدة من خبز

أو جرة صغيرة من ماء

أخرج إلى هنا

إلى بلوطة ممرا
ومن بلوطة ممرا إلى أرض جاسان بمصر
ما هذه الأحلام التي تعشش في الرأس كالوطاويط
والنمل
وتمشي على جدران خيمتي كالسحالي
ما الذي كان يتربص بي طيلة كل هذه السنوات
كان أبي آزر يحرق الأرض
ويزرع الشعير
والقمح
وفي الليل كان يضمنا إلى فراشه
مثل دائرة من الحب والنوى
وعندما يفرغ من عشائه
كان يحكي عن الزمن
وآلهته الرائجة
كان يضحك بملء فمه ويقول:
أنا صانع الآلهة الوحيد
في أرض نينوى
وأور !!
أمي كانت تحلب الأغنام والنوق
ولا شيء - يجمعنا في آخر الليل - سوى الحكايات
والنبيذ
كانت أرض أور
تفيض باللبن والعسل
لم يكن ينقصنا أي شيء
وكانت الحياة تسير مثل عجلة إغريقية
ببطء
ولكنها تسير
ولم نكن نخشى من الآلهة أي شر
كانت الآلهة قريبة منا

تنام تحت أسقف بيوتنا الواطئة
وترقد في حظائرنا مع الماشية
وفوق أسرتنا المصنوعة من الطين والقش
لم تكن تكلفنا أي شيء
سوى قطع الأحجار
ومجموعة من المسنات
والمناشير
وفي ضوء النهار الجاف
كان يجلس آزر أبي لينحتها بعناية وحنق
في فمه أراغيله
وبين شفثيه بضع أغنياته التي يطيرها
كاليمامات
والظل
ما الذي حدث يا إسحق
ما الذي حدث يا ساراي
أيتها الزهرة البرية الجميلة
وأين أنت يا هاجر
أما كنتِ تسكنين هناك في وديان مصر
بلا هم واحد
أو حتى منغصات
ما الذي جعلني أتركك هناك
في كل هذه الصحراوات عارية هكذا
بين الوحوش الضارية
والظمأ القاتل
عن أي شيء أبحث أنا الغائص في المتاهة حتى النخاع
لم أعد أنام بالليل
وبالنهار أتصلب مثل قشة
كم عانيت وأنا أقطع هذه البرية القاحلة
التي يضل فيها النجم

وتغرق فيها الشمس في المجرة
هل يكون ما أراه وهمًا
هل يكون ما أسمعه تهجيس شيطان
ما الذي حدث يا ساراي
ليس في جعبتي سوى الصخر
والحصى
في فمي تسكن الوطاويط
وتحت رأسي تنام الكوابيس
كالقطط والسحالي
أحيانًا
وأنا أجتاز الصحراوات
أضيق من روعي في الواقع
كانت صرخاتي تتصاعد إلى سقف السماوات
فلا تصل إلى شيء
أريد أن أثقب جلد الأرض
أريد أن أمسك بكل هذه المتاهة من الرمل بين أسناني
وأطوح بها إلى العدم
أن تكون لي القدرة اللازمة
لأكسر حجر السماوات كالرحى
أريد أن أفرك النجوم بين أصابعي
لأذريها على المنحدرات
والأودية
أن أددش الجبال السامقة
في بوتقة
بقبضة من حجر
أن أطحنها تحت قدمي
مثل حبة من خردل
وأتركها هناك في المستنقعات
لتجف

لَمْ هذا الهلاك
أريد أن أوقف حركة الأفلاك هذه
فلا تسمع أو ترى
لا تدور أو تهتز
أن أطفئ الشمس بيمينني وبنفخة من شفتي كالسراج
أدفن القمر
في غيابة
كثيراً ما راودتني هذه الأفكار
أن أدفنكم في قلب هذه الصحراوات
أنت يا إسحق
وساراي أمك
العاقر
العقيم
أتخلص من كل هذا الذي يشوش عليّ أيام حياتي
ويجعلها كالبصل
واللفت
ويعوق مسيرتي نحو التحرر الكامل
والخلاص
خلاص روحي
وخلاص نفسي التي تتآكل بلا يقين واحد
أتقدم لكن إلى أين
فكرت أن أتخلص من كل ما أملك
لأعود إلى العدم مثلما جئت
أتخلص من أغنامي وإبلي
وأجلس على صخرة اليأس الرّنان هذه
لأنتظر قدري
ومصيري
قدري الذي يتربص بي مثل شص
وينتظرنني هناك على أعلى المنحدر مثل هاوية

وذلك
بدلاً من أن أقودكم هكذا
وعبر برية الهلاك والمر هذه
وفي كل مرة
كنت أصاب بالجزع والنسيان
مثل أعواد الخروع الناشفة
وأكياس الملح والندم
كيف يمكنني يا إسحق
وبعد كل هذه السنوات
أن أقطع شعرة واحدة من رأسك أنت
أنت الذي انتظرتك لسنوات
وسنوات
مثل كبش أطلس
أو غيمة تمطر
كلت عيني من النظر
وأذني من السمع
وتقلقلت صخرة روعي
نحو المنحدر
وهأنذا أقبض على اللاشيء
لا أسمع سوى وسوسة العدم تملأ روعي
قلبي مثل حجر
وروعي حقل أشواك
وغيوم
لم كل هذا يا إسحق
وماذا أمثل أنا في هذا العالم يا بني
لم يكن يشغلني أي شيء
سوى أن أنتظرك أنت
مثل فراشة برية
أنت يا إسحق

كنت أتشقق مثل رملةٍ بائسةٍ
وأطارد كوابيسي الليلية بأسى بالغ
وصُراخات
وكانت أمك مثل هذه الفجاج
عذبة
وحارقة

هل يطرح الحسك عنباً
هل تتفجر الأنهار من الصخر
هل تخرج فراشات الضحى من العدم
رحماك أيتها الآلهة الكسلى
أين غلبتك يا موت
أين شوكتك يا جحيم
أحياناً
كنت أضحك وأقول:
أنتِ يا ساراي أرض ممحلة
وبلا شجرة خضراء
أو حتى خبيزة
ناشفة!!

لم أكن أبصر في كل هذه الصحراوات الكليلة غير الظمأ
والموت الذي يطاردني كالخفافيش
أرض حيات
وسحالي
وحين يَحِنّ الليل كنت أقارن بين أمك
وهذه الصحراوات يا إسحق
ثم أجلس أمام باب خيمتي مثل عاطل عن العمل
أنظر إلى تماثيل آزر أبي
بأيديها الضارعة
وشفاهاها اليابسة
أقدم لها الخبز فلا تأكل

أقرب منها الماء فلا تشرب
وباحترافاتٍ
وتعزيةٍ
كنت أصلي لها صلواتي التامة
فلا يستجاب لي
ما هذه التماثيل يا أبي؟؟
لم تكن تبصر أي شيء
ولم تكن تسمع أي نداء لي
هل أنا ذرة من الغبار يا إسحق
هل أنا ورقة ناشفة
وعُصافة
تحملها الريح حيث تشاء!!
كنت أبكي
وأبكي
إلى أن تخضر لحيتي مثل فرد
وأشعر أنني مثل نافورة تغلي
فلا يغمض لي جفن
وفيما ساراي أمك تغطّ في النوم
مثل عطاءة موحلة
كانت تستجمع الأحلام بين فخديها
كالياقوتة
إلى أن يطلع الليل من الليل
والنهار الأبيض من الفجر
وكنت أنكش الرمل بأصابعي
إلى أن يجف حلقي
ومن فرط اليأس يا إسحق
كنت آكل الرمل كالنقائق
وأمضغ الحصى تحت لساني
كأجنحة الجراد

والقش
إلى أن تنطبخ غابات من الفطر
والطحالب الوارفة
فوق شفتي
أحييك أيتها الصحراوات المتقشعة
أيتها الأيدي العبثية للفراغ اللانهائي
أيتها الصلوات المقدمة إلى العدم
واللاشيء
أنتِ
أيتها الطرق الملتوية
والمتاهة الضارية
لمدخل الجحيم حقاً
أرفع يدي لأحييك بقسوةٍ
في الوحدة
ومنذ سنوات
وأنا لا أبصر سوى طائر العدم الرجيم هذا
وهو يخيم عليّ بأجنحته الهائلة
ومناقيره اللاتعدّ
وهو ينقر أرواح آبائي
وأجدادي
تلك التي تظهر وتختفي مثل قططٍ مقوسةٍ
في الفراغ اللانهائي
لم أسمع سوى أغنية واحدةٍ
ومن فم امرأةٍ بشهواتٍ تتردد
عبر الأودية
والمناقي
وعلى مصبات الأنهار ومجري المياه
كنت أرى الموت جاثماً
وهو يرقص بخفة

طائر
أعمى
كنت أبصر الضوء وهو يطير في السماء كالمنافير
القمر في انبزاغه
وهو يتلصص على الأرض
بخياناتٍ
وحصى
النهار وهو يتلكأ على قفا الليل
بشموعه التي لا تنطفئ إلا تحت قدمي
مثل نمل باردٍ
ماذا أفعل في رحلة الجوع والنسيان هذه
تلك الليالي الطويلات التي أكلتني فيها الحمى
بفمها العنكبوتي
وأرجلها المخاطية السيالة
ماذا أفعل في دوامة البحث المتواصل عن القوت
والجراد
تحت الأشجار الناشفة
والمستنقعات؟!
ما الذي أفعله هنا وفي أرض الكنعانيين القاحلة هذه
لقد تركت أور بأبنيتها الشامخة
ومجراتها
بألقتها المنحوتة من الحجر والصخر
بنسائها الأسطوريات المغسولات باللبن والعطر
على أرضها الموشومة بحليب العصافير
والنواقيس
لقد تركت ذكريات طفولتي
وأحلام سنواتي الضالة
ماذا أفعل أنا
بأشجاري العالقة في الذاكرة كالشهيقة والزفير

بأيامي التي أحملها فوق رأسي كالبقجة
أور الكلدانيين
بشوارعها المستقوفة باللذة
والتضرعات
ونسائها المتشحات بالشهوة
كالجنس
ويتلاعبن بالظل
والشمس
كإناث الخيل
والسمك
أين ذهبت كل هذه الصلوات التي كنت أمارسها
عبر الألم
واللذة
مربعات الكسل
والظل
ساعات الضحك
والنسيان
لم أفكر لمرة واحدة في كل هذا الهلاك الذي يحيط بي
كالشعابين
والغبي
وأنا أعبر من مفازة إلى مفازة
ومن بئر ماء
إلى بئر ماء
كنت أحمل جرتي كل صباح
وأنا أعمل في بيت أبي كالدوايب
إزميلي على كتفي
وطعم الملح البارد
فوق شفتي
كالنشارة

وعبر برية السماوة المهلكة بما يكفي
كنت أحمل حربتي
وقوسي
لقاء ما يجود به على الحظّ
فمرةً أصطادُ أرنباً برياً
ومرةً
ألف شبكتي حول رقبة وعل
أو ظبي
لم أكن لأنكسر أبداً
في جعبتي
كانت ترقد الأحلام إلى ما لا نهاية
لم يكن شغل رأسي أي شيء
سواك أنتِ
أنت يا ساراي الجميلة
وكنّت
مثل ثمرةٍ ناضجة
ومحرمةٍ في نفس الوقت
إلى أن يجمعنا سرير واحد في آخر الليل
لنجف
أو تهدأ عربات الرغبة التي لا تتوقف عن الدوران أبداً
كنت أرى أملك يا إسحق
وأطلع إلى ساقبها الرائعتين مثل بحرٍ
ساقبها اللتين تشبهان حديقة الخمر
وذراعيها المنحوتتين
من الماسِ
أطلع إلى فخذيهما اللدين اللذين يأخذان باللب
إلى صدرها المنحوت بعناية صنّاعٍ ماهرين
من الرخام
فيتشتت العقل

ورغم كل ذلك كنت أسأل
ما هي الحكمة في كل هذا يا ساراي
ولماذا أنت عاقر وعقيم إلى هذا الحد
ولماذا تشبهين في نومك
كل تلك الصحراوات اللعينة
أيتها الإوزة الجميلة
هل هي لعنة آزر الذي تمردت عليه
وتركته هناك يعاني الشيخوخة
والعجز
تركتُ له آلهته المنحوتة من الحجر
والنحاس
وهربت إلى الصحراوات مثل جرد
ساراي
لماذا تحولت إلى تمثالٍ من رخام وإردوازٍ
وبلا حس
لماذا أصبحت أرضك خربة وخاوية
حتى بلا شجرة لبخ
ما هذه اللعنة التي أصابتنِي هنا
وفوق هذه الصحراوات الناشفة إلى أن تشققت
فلتذهب إلى الجحيم كل هذه الأحلام
والرؤى
إسحق
ساعدني على النسيان
ساعدني على أن أقف على قدمي مثل حصوة
متآكلةٍ
بين أطلال نينوى
وزقورات بابل
ساعدني على أن أكون نغمة أخيرة
فوق قيثارات أور

وعلى بوابات بعل
ما الذي حدث
ولماذا تركت هاجر في الصحراء مثل بطة بريّة
بين غابة الوحوش
والضواري
أأنا صنعت هذا بيدي يا إسحق
كيف استطعت أن أفعل كل هذا الخراب
الذي يزلزل جدران نفسي
ويهد بنيان روحي
أية خيانة لامرأة تعلقت بي
لأتركها هناك في الفضاء الطلق بلا شفقة واحدة
أو حتى رحمة بولدها الرضيع
إسماعيل
أين إسماعيل الآن يا إسحق
روحي تحجرت
ونفسي ملآنة مُراً
كيف استسلمت وطاوعت أمك يا بني
وتركت ولدي البكر
ليحبو هناك على الرمل
مثل صبارة
بلا حبة واحدة من قمح
أو قربة من ماء
أنا
ما تركت لهم سوى جزازات من ردّة
وبقايا ما في جعبتي من آلهة
لا تغني ولا تسمن من جوع
أي كائن أنا
إسماعيل ولدي وقرة عيني
ياقوتة القلب

وماء النظر
هل هي الغيرة القاتلة يا بني بين ساراي العبرانية الشرسة
وهاجر المصرية المطيعة
أهو عمى البصر
أم تلك خيانة البصيرة
إسماعيل ولدي الذي تبللت به شفتي للمرة الأولى
لحظة أن أحسست أن العالم حي
مثل شجرة توت
وأرجوانية
للمرة الأولى يا إسحق
كنت أحس معنى الأرض
والشجر
والنبات
معنى النهر والقمر
معنى الماء
والظل معنى الليل والنهار
كيف يمكن لهذه الطبيعة الصامتة أن تنطق
وأن تتكلم
كيف يولد الشيء من اللاشيء
للمرة الأولى أحسست أن أرضي تنتفخ بالماء
أن جراب أيامي لم يعد خاوياً أو خرباً
غنيت ورقصت وطربت
أمسكت بقصبة غنائي وغنيت
كان يمكن لي من أجل إسماعيل أن أواصل التعب
والكدح المَرَّ إلى أن أجعل الصخر يخضر
أن أحمل الفأس فوق كتفي
لأشق زند الأرض
بحثاً عن الخبز
والملح

وها هي هاجر!!
هاجر التي تركت كل شيء من أجلي يا إسحق
أرضها وأهلها
ناسها ولغتها
حكاياتها وشوارعها
ذكرياتها التي داست عليها
وجاءت معي هنا
لتجف على الرمل
لتواجه الصمت
وقسوة الواقع
لا

لم أكن أحمل في جعبتي أي شيء
رأسي كانت معبأة بالأساطير
والخيالات
قلبي كان مليئاً بالأفكار والخرافات
التي تبيض وتفقس في الأرحام
كالفرشات
والبراغل
كانت كل هذه الأفكار تعمل في رأسي كالمسامير والشوك
وكنت أسأل نفسي يا إسحق
من أين أتينا
وإلى أين نذهب في نهاية الرحلة؟
الرحلة التي تبدأ من الميلاد وتنتهي بالموت
وما هو النهر الكبير الذي يضمنا في النهاية
أهو العماء الذي يبلع في جوفه كل شيء
وما هو المصير المشترك لكل هذه الكائنات؟
وأيّن تختفي العوالم
التي تظهر لتختفي وتختفي لتظهر؟
استنجدت بكل شيء

استنجدت بالسراب والأحلام
كلمت الحصى
وناديت التراب
توسلت إلى كل الآلهة المقدسة
من عشتار إلى بعل
آلهة نينوى
وكهان بابل العظام
ولم يحدث أي شيء
ما هي نهاية الرحلة يا إسحق
أهو الموت يا بني
تلك الحشرة اللعينة التي تقف في الحلق كالشوك
وتنام في المخيلة
وتطأطئ الرأس
وترقد تحت أرنبه أنفي كالبراغيث
والنمل !!
لم كل هذا القدر يا إسحق
هناك أرض تنبت العسل
والدهن
وهناك أرض تنبت الحسك
والشوك
أهو القدر بالضرورة يا إسحق
أم هي البصيرة العمياء
لكل هذا الكون
وأين تكمن المشيئة التي لا تفهم
ولا تبرر
أحياناً
كنت أتطلع إلى النجوم في الليل
وهناك أمام باب خيمتي
أرى القمر بازغاً

والسماوات تتلأأ بالشهب والضوء
تأخذني الرعدة
وأَتَغَشَّى
أسهر إلى أن تطلع الشمس وتضيئ الأفق
صدي كل هذه المجرات لم يكن ليصل إلى
إسحق
ماذا وراء كل هذه الأكمة
وماذا يحجب الأفق؟!
من بئر إلى بئر
كنت أقفز مثل طائر الحجل
ومن فلاة إلى فلاة
كنت أهرّ كعظاءة
في يوم من الأيام نفد الماء مني يا إسحق
وتطلعت إلى السماء ذات الحجب
وتحت قدمي
كانت الشمس حارقة
وتلمع
والصحراوات تغلي تحت قدمي كالمهل
ولا من طريق آخر لأسلكه
لا أعرف أين يكمن الماء لأصل إليه
أيقنت أني هالك
لا محالة
اشتد الظمأ بأمك يا بني
توسلت إلى عشتار
وبعل
لم يحدث أي شيء
بكت هاجر طويلاً وتمرغت على الرمل
ولم تقل أي شيء
كان الموت يفتح أفواهه الألف

ولم نكن نملك أي شيء

سوى سفّ الرمل

والصمت

لماذا أقصيتنا يا إبراهيم من أرض أور

كنا نعمل كالمجاديف

ونأكل خبزنا

كفافنا

بلا خوف أو مجسات

لماذا أتيت بنا إلى هذه الصحراوات المخوفة يا إبراهيم

والفلوات التي لا تنتهي يا ابن آزر

هل أتيت بنا لتغرقنا في كل هذا السراب

الذي يبتلع كل هذه القفار

أم أتيت بنا لتقتلنا هنا وفي قلب هذه المتاهة

هل أتيت بنا لتجففنا كالبصل

والطماطم

وماذا يدور في رأسك أيها السيد الطفل

لقد كان هناك الفرات الذي يسيل بالسّمك

والعسل

وكانت هناك كل تلك الأرض

التي تمتلئ بالشعير والحنطة

وكان هناك ذلك الضحك

الذي يكلل حياتنا بالنسيان

ألم تكن كل تلك الآلهة التي يصنعها آزر

أجدى ألف مرة من كل أفكارك المجدبة هذه

ورؤاك التي تشبه السراب

والعدم

ذلك السراب الذي يملأ الصحراوات كالرمل

وأحمله تحت إبطي

كالخرزة

عن أي عزاء أبحث لنفسي أنا إلى جوارك
أيها السيد القاحل
وعن أي شيء تفتش أنت أيها الفقمة
لقد تزوجتك لأنك ابن آرز صانع الآلهة
والتمثيل
قلت لي:
سوف تزهر حياتنا مثل أرض بسوسنات
ونخيل
وسوف تجدين في عيني نعمة وبراً
والآن
هأنذا أموت كالفران
والسحالي
وسط هذه الصحراوات الموحشة بلا أنيس
أو رفيق
بلا عزاء واحد
أو حتى أمل
أمشي وراء رجل آفل
ولا يعرف أين تقوده أقدامه
في كل يوم يحدثني عن أحلام كالمسامير
والقش
ماذا فعلت أنا
لكي أمشي وراءك في كل هذه السكك
وعلام تبحث أنت طيلة كل هذه السنوات
أنت جديب ومملح
يا إبراهيم
خذ من خشخاش الذاكرة ما تروي به ظمأ نفسك
آه
من روحك الغليظة كالصخر
والحنطية مثل حميض

وقروحات
اجعل كل هذه الصحراوات تنبت لك المن
والسلوى
امش فوق كل هذه الأرض
إلى أن تنبت لك السماء عنباً وزهراً
سوف يجف حلقك
وتتورم قدماك
ولن تصل إلى شيء
أيها الخالد في الوهم
هل تكون حياتنا يا إبراهيم بجحيم كل هذا السراب
الذي يتراءى من بعيد
اللعنة!!

لا

ليس هذا فحسب
لقد نسيتني من أجل هاجر
تلك المرآة الـ ...

هاجر

جاريتي التي زوجتها لك
ورحت تلتصق بجسدها مثل علقة
وتعمل على جسدها مثل طاحونة
مخددة

وبكلايات

لم ينفصل جسدك عن جسدها قط
كأنما كانت - هي - البئر لك
وأنت النبع دائماً لجسدها العطشان

وتركتني

نعم تركتني في قلب هذه الصحراوات إلى أن تعفنت

هاجر

أمتي المطيعة

وجاريتي الشفافة
لقد أعطاها لي الفرعون
ومنذ أن أعجب بسوسنات جسدي
ورأى أزهار بشرتي
وشعري
ولمس يديه المبصرتين فستقات نهدي
وشرب من حليب أنهوري
وراح يعمل في مثل فرن
بآلته المجوفة
ووتره المشدود
كالصلب
ألم تقل له أنني أختك يا إبراهيم
وأنا فراشتك البرية
وناقتك الغراء
شمسك الخضراء أنا يا إبراهيم
وسقيفة نفسك
لماذا قبلت أن تقدمني إليه كالذبيحة
ليشرب من خمر شفتي
وليرتوي من ماء صدري
في كل ليلة كان يركبني مثل عربة مطهمة
وأنا أصهل تحت قدميه
مثل فراشة تجار
ألم تقل له أنني أختك يا إبراهيم
وأنا فرستك النبوية التي حملتها من هناك
من أرض أور
وعبر براري الكنعانيين تبعتك
وأعطيتك نفسي مثل أرض بمواثيق
كنت لك الظل
والندى

كيف طاوعك قلبك يا إبراهيم
وكيف جرؤت على استحلال جسدي هكذا
وتركت أرضك
وبترك
لفرعون مصر
يشرب منها كيف يشاء
ويزرعها وقتما يريد
لم فعلت ما فعلت يا شقيق نفسي
آه

لقد كان لي ملك مصر
وهذه الأنهار تجري من تحتي
أكداس الذهب والفضة تتحرك بإشارة واحدة من يدي
ألف وصيفة ووصيفة تحت أمري
وطوع بناني
أصبحت عشيقة الفرعون
وأميرة نفسه المفضلة
صار الفرعون كالخاتم بين إصبعي
وأنت
لم تكن تعباً أو تهتم
كل ما كان يشغلك إبلك وأغنامك
حنطتك

ومحصولك الوافي من الشعير والنخل
ذهب مصر الذي سرقتك لك
لتكده في خزائنك
شاهدني الفرعون وأنا أسبح هناك في النهر
كنت مثل سمكة برية
وجسدي يلمع كالفضة
شفتي تستطلعان الشمس
وشعر رأسي يسبح على الماء

مثل زهرة اللوتس
ساراي
لو شئت لجعلتك ملكة وإلهة لكل هذا الشعب
هكذا قال الفرعون لي يا إبراهيم
لو أردت لأجلسك إلى جوارى على العرش
وأطعمتك بيدي
من جرة مائي أسقيك
ومن خمرة أرضي أروى حدائقك باللبن والسكر
هذه الشمس التي تشرق
أنت
والنجوم التي تلتهب في الليل لي
يا فضتي وذهبي
يا فراشتي البحرية
أبدأ
لا توجد امرأة في كل أرض مصر تضاهيك أنت
إيتها المعجونة بأصابع الآلهة السومرية
وصلوات بابل المقدسة
يا أجمل بنات أور
من خلال شفيتك تنبجس أنهار خمر وعسل
على شراشف جسدك الفذ تنطلق مزامير بشهوة
وكمانات
وفي الليل تهتف فراشات بأغنياتك
يا أرجوحة القمر والشمس
الاقتراب منك جنة بأنهار من عسل مصفى
والابتعاد عنك
جحيم بأفاع
وضواري
حين ألمسك بيدي هاتين
يقف شعر رأسي على كالمسامير

ويتنفض جذعي
مثل غابة من ليف
يا لك من طاغية
إذا أراك أهتف
لا أقدر على السكون أيتها الموجه
وإذ تبتعدين عني ترتبك مفاصلي
وتتخلع عظام نفسي
وأقع في الخلط
يا شفرة الجنون والنعمة
أنت أيتها الحورية
على عرش نفسي لم تجلس امرأة مثلك قط
لو شئت
لصنعت عرشك على الماء
وأجلستك على مراكب الشمس
بين مركبات فرعون
أيتها المزهرة أبداً بين النجوم
يا ابنه عشتار
ويا أخت جلعامش العظيم
لم يا رجلي الحبيب فعلت ما فعلت
كنت أحبك أنت
أيها الصحراوي المتلفح بالرمل
والعقبان
كنت أسرق من خزائن الفرعون وأعطيتك أنت
من غلال مصر
كانت خزائنك دائماً ملاءى
ومن قطعان الماشية أعطيتك فوق ما تريد
يا شقيق نفسي
من غنم الفرعون كثرت لك قطعانك
وأعطيتك المزيد

والمزيد
من أرض جاسان أقطعتك أجود الأرض
إلى أن أصبحت السيد الأجل
والرجل المطاع
وبالليل
كنت آتيك حفية لأتلصص عليك
ولأجلس تحت قدميك
كالنبته
كنت أشتاق إلى حليب جسدك المر
يا إبراهيم
كما تشتاق كل هذه الصحراوات
إلى الندى
كنت رجلي وسيدي
في رحلة السنوات الصعبة
والصحراوات المهلكة
كنت أدرك أن كل ذرة من جسدي
تنطبق على كل خلية من جسدك أنت
وفي الليل
كنت أناديك بأعلى صوتي
أيها الحبيب بالذات أين أنت
وما هو مكانك فنطلع إليك
أين هي شمسك لأشمر عن ساعدي
وأقطف خيوطها بيدي
ساعدني أيها الأمير الصحراوي أنا أسيرة وعبد
على أي صخرة تجلس أيها السماوي
مثل حبق
وعلى أية مزامير تعزف أغنياتك
شجرك يظل علي
يا غصن زيتوني الأخضر

ولا عزاء لي سوى الطلح
أين أنت
يا صانع الحب والنوى !!
حتى عندما كان الفرعون يقلبني بين يديه كالعجينة
ويطوي جسدي تحت فخذيه
كالإسفنجة، حتى
عندما كنت أتاوة من اللذة
وأصرخ بأعلى فمي
مثل فراشة ضالة
فوق أرض مراوغة
كانت روحي كل روحي ترفرف حولك أنت
أنت يا ثلتي ومجدي
كنت أنظر إليك في سقف الغرفة مثل فراشة تحترق
وأنت تحرق في بعينيك
العسليتين
الجهنميتين
وشفتيك المشققتين بالرماد
والرمل
كلما كان يدعك جسمي بأصابعه الخمس
وأتوجع من الرغبة
كنت أشعر بأصابعك تكلمني
شفتك تلتف حول سرتي وتهبط إلى قاع روحي
كانت بطني مثل لؤلؤة تلمع
وجسدي يتشمم رائحة جسدي كالصندل
وأنفاسك علامة على المداومة
ماذا فعلت بك يا رجلي الحبيب
لتفعل بي ما فعلت
قلت لي
إن الفرعون

سوف يمنحك أشجاراً
بدلاً من حدائقي الناشفة
سوف يزرع جسدك يا ساراي بالشعير
والحنطة بدلاً من الحسك
والشوك
أنا رجل بلا بذور
ولا فاكهة
أرض روحي خراب
ونفسي ملآنة تعباً
أعرف أنك سوف تثمرين كما تثمر الأرض الصالحة
أنا رجل معطوب
فقط تحتاجين أنت إلى الدفء
والكلأ
أرضك لينة وخصبة ولا تحتاج سوى بضع حنانات و قطرات
في جراحي لم يعد هناك أي شيء
ولا حتى عشبة ناشفة
أنا قارة غارقة و بلا سماوات أو حتى سحب
كافة قربي مثقوبة ومركونة على الطرق
ليس في مقدوري أن أمنح جسدي ما يريد يا ساراي
طوال ستين سنة
وأنا أكدح حول جسمك مثل فلاح بابلي
بلا محاريث أو حتى أدوات صيد وقنص
كنت أعمل على بئر خربة
وساقية معطلة!!
ولم تكن بطنك تريد أن تنتفخ أبداً يا ساراي
أنا بئر جافة
وأنت صحراوات قاتلة
وعطشى!!
مطري لم ينزل على صحراوتك قط

فلماذا لا يأخذك غيري
لم لا يزرع بساتينك سواي
أنت
أيتها الأجمة
والدغل
بفأسه
ومحراثه
بأدوات صيده
وقنصه
إن كان ذا يدين مدربتين
وعود صلب
يستطيع أن يشق تربتك الصخرية هذه
أن ينحت هذه القشرة الجافة التي تعلو وجه أرضك
وأنهارك
أن يغرس قمحه وكواكبه في نفس الوقت
فقط عليه
أن يفترعك بمحراثه القوي
ليحيي كل هذه الأرض
حتى تنتفخ التربة
ويخرج الحب والنوى
أرض جسمك التي تشققت
وكان أن فكرت في إله الآلهة
فرعون مصر
وهأنذا يا سارايتي الجميلة أعيش فوق هذه الأرض
كالملك
أخذت كفايتي وفوق ما أردت
وأنت
ترفلين في الحرير والقرز
متوجة تجلسين على عرشك وجسمك

كأسطورة
وحرورية
بيضاء مزجاة
وثرورة
تذكرى يا ساراي أيام الجوع والموت
تذكرى تلك الصحراوات الملتهبة التي أتينا منها
ضائعين
ضالين
كانت الأرض تغلي تحت أقدامنا كالمراجل والمهل
وتلتهم سنواتنا الرثة
كالحبق
الصحراوات
التي كانت تنخل عظامنا كالمناخل
تذكرى
تذكرى
أيامنا التي أطلقنا فيها العنان للشهوة والحب
كانت أرضنا مالحة
ومياه آبارنا
جافة
وقائظة
أنت أعطيت جسدي وأيامك للفرعون
وأنا أعطيتك عرش مصر
تخلصنا من قسوة الرمل
ووعورة الزمن
تخلصنا من طائر العزلة اللعين
وسراب الصحراوات المر
تخلصنا من بندول القدر المكفهر
وأحلامنا الجافة
كالزلط

والحصي
وكما أصبحت سيداً ولي أرض
أصبحت أنت ملكة
بتواريح
وترجمانات
ساراي
ماذا تريدن أبعد من ذلك
أي أحلام لك لم تتحقق يا ساراي
صورك
منحوتة فوق معابد أور
وعلى بوابات طيبة
ومنف
لك يسجد كل من فوق هذه الأرض
باعتبارك ابنة الآلهة
وكهنة مصر
تحت إمرتك عجالات بدروع وألوية
من مدينة أون
وحتى قلب طيبة
تذكرني يا ساراي
أنك ما جئت من أرض أور
وسط الصحراوات المرعبة
والوحوش الفراسة
إلا من أجل أن أزرعك في أرض مصر
أرض الفراعين
والسحر
بماذا نفعتنا كل آلهة آزر
وتماثيل كنعان
ونوارس نينوى
وزقورات بابل

ماذا أعطتنا أساطير جليجامش
وحانات سيدوري
آلهة السومريين
والبابليين العظام
بماذا نفعتنا عجائب نينوى
ذات الألواح
والكتابات المسمارية
هنا في أرض مصر كأنما يولد العالم للمرة الأولى
كان من الممكن أن نظل هكذا إلى الأبد يا ساراي
عريانيين
جائعين
بلا ثروة
أو مجد
الآن
كل هذه الأرض رهن إشارتك أنت
كهنة فرعون
ومعابد أون
وصوامع آمون
لك
أنت وحدك يقدمون الصلوات والأدعية
باسمك ترفع القرايين
وجهك على كل عملة
وصك
كل كاهن في أون لا يفتتح صلاته إلا باسمك
أنت
أيتها النرجسة الفريدة
يا كنزي الحبيب
ويا لؤلؤة العالم
كل وصيفة لا تنال بركتها إلا إذا ركعت تحت قدميك

وقبلت أطراف أصابعك
ماذا تريدن بعد كل هذا من رجل عاجز
كهل
لا فعل لي أو قوة إلا الخرافات والسحر
أحياناً

ما يتراءى لي عالم غير هذا العالم
وأرض غير كل تلك الأرض
وسماوات أخرى
غير كل تلك السماوات
أنا أبحث عن رוחي
وسط كل هذا الركام
والفوضى
كفى

كفى يا ساراي الجميلة
أنا ضائع بين آلهة آزر وآلهة المصريين
الأفكار تعمل في رأسي كالجواميس الهائجة
والجعارين
النطاطة

أنا الباحث عن شيء ولا أعرف ما هو
أفتش عن الحقيقة وراء كل هذه الظواهر
الظاهر لا يعنى الباطن أبداً
والباطن لا يكون شكل الظاهر كذلك
الحيرة تأكل رוחي
والشك يملأ قلبي
أنا ضائع وأهوي في الفراغ
لا يقين تحت قدمي لأمشي عليه
ربما

أعود ثانية إلى الصحراوات التي تمثل خيال الظل
وظهيرة المغترب

تري
أين أنت الآن يا هاجر
هاجر التي لم أطأها سوى مرة واحدة فقط
وأخذت بطنها تنبج
مثل الكمثرى
وتتقشر مثل تينة
إسحق
إسحق
ساعدني يا بني
لساعات في الليل وأنا أجلس على فراشي
أقضم الفراغ مثل ثمرة حامضة
روحي تتفحم
ونفسي تتقشر كسرطان جلد
وثأليل
على العاصفة أئوكأ
وفي فمي لا تسكن سوى الضغينة
والمرارات
في رأسي تدور مدن بطواحين
وتنتقل أفكار
وتتقلب جنازات
على باب خيمتي تنطفئ سماوات بكواكب
وتزلزل أرض برواسي
وأعمدة
ثمة صلوات تختلط في قارورة نفسي
وتملأ خراب
أيامي
كيف أضع السكين على رأسك أنت يا إسحق
لم هذا الحلم الذي يتكرر ويتكرر إلى ما لانهاية
أن أذبحك بسكين

أي شيطان يعبث بي
ويضللني في السكك
إسحق
يا زهرتي البرية
ويأكل تعب أيامي الغليظة
إسحق
كيف أرى دمك وهو يسير على الطرقات
وبالأودية يختلط
هل يمكن لدمك أن يتجلط تحت قدمي
كالأغربة
والوطاويط
ثمة ثعابين تزحف على أرض روعي
فوق منحنيات طائفة
ودروب منفكة
ووحوش بأنياب وأظافر
تزار بضرارة
في المناطق الأكثر نأياً للإنسانيتي المنسحقة
أرى أشجاراً تتقصف
لم أكن نائماً إذ ذاك
رأيت النجوم تهوي في البئر
وتتعلق بعمود خيمتي
قمري يسقط في المحاق وشمسي تتكسر
إلى آلاف الشظايا
كلاباً تنهش عظم روعي الصخابة
ألف أسد يزأر على بعد شبر
من نفسي الضالة
ما هذا الذي أراه يقف متربعا على قاع جمجمتي
هل أخطأت يا إسحق حين تركت أرض أور
وتهت في البرية مثل ندم

بأنياب
وكلابات
أتكون هذه النهاية يا إسحق
أم لعنة آلهة أبي آزر
لماذا تركت ورائي كل شيء وهربت إلى الصحراء
عن أي شيء أفتش
وعلام أبحث وسط هذا الركام من الذكريات والقصص
أي هاجس شرير جعلني أضيع فوق تلك الأرض
كلما أحاول النوم يا إسحق
يلمع النصل تحت جفني كالوتر والقشة فوق الماء
أسمع صدى الموت
يرن
في قاع حنجرتي
ألحس دمك بشفتي
وألمس صدى السنوات كالشفرة
أشباحك تطاردني فوق مخداتي
كالقطط الشرسة
وأمسك بيدي سكينتي مثل فأرة نادمة
وتتنطط
ثانية يلمع الصوت
اذبح إسحق
اذبح إسحق
هل يكون ذلك جزاء ما صنعت بإسماعيل أخيك
هاجر
فلذة كبدي وسقيفة روحي
أهي لعنة تلك المرأة تتساقط علي
مثل طائر أعمى
لماذا تركت هاجر في العراء هناك
في أرض كنعان

بلا عائل واحد
أو حتى رفيق
لم فعلت ما فعلت وطاوعت أمك يا إسحق
أنا ورقة ساقطة
وغصن شجرة منكسر
أنا متاهة الرمل
ولا جذر لي
وأشم الوجد بأنياي
أسند اليأس بقامتي لئلا يتراجع
وأطارد المتاهة مثل بقعة
لم كل هذه الرؤيا الآن يا إسحق
وبعد أن كبرت
وعجزت
بعد أن رأيتك بأم رأسي
وتشممت أنفاسك التي تشبه ورقة الحياة
قل لي:
ماذا أعمل هنا في قلب هذه المتاهة الشريرة يا إسحق
عين واحدة تترصدني
عين آزر
شمس واحدة تنطفئ تحت قدمي
شمس أمك
كلمة واحدة أحفظها عن ظهر قلب
الموت
شجرة واحدة أغرسها أمام شباك بيتي
الحرية
لم أملك فأساً واحدة لأعمل خطاباً عند أحد
ولم أشرب من جرة جيران قط
أين جوهرك يا صحراء
أين كلماتك يا رمل

أين شوكتك يا جحيم
وأين غلبتك يا موت
أسأل لم تغرب الشمس كل يوم
ولم يشرق القمر كل ليلة
ألم يتعباً أبداً
ألم يتوقفا للحظة
لم تتوارى النجوم والأحلام خلف السحب والدجنة
وفي الليل
أتكوم أمام خيمتي كالنسانيس والبوم
بعمل يدي غرست وأكلت
وهأنذا في شيخوختي لا أجد غير الرمل
والدم
أحياناً
كنت أقهقه مثل حشرة
وأتلوى على الرمل مثل قنفذ
أجفف أوجاعي بالضحك
والنسيان
إلى أين نحن ذاهبان يا إسحق
ألكل ذلك نهاية
وما هي نهاية القصة؟؟
في أرض أور
كانت هناك الخمر والنساء
كانت هناك الضحكات الرنانة
والأماسي التي تمتلئ باللذة
في الأعالي ليس ثمة شيء
من الجالس هناك خلف كل هذه الأشياء
الشجر والرمل الجبال والأفلاك
الحياة والموت
الحشرات والحيات والطيور والأزهار

السحب والكواكب
كل شيء يذهب ليعود من جديد
ولا جديد تحت الشمس
وهنا
وفوق هذه الأرض
لا أجد سوى اليأس والموت
وفئران الحقل
في أوقاتي الكثيرة
وحيث كان يشقني الضجر إلى نصفين
كنت أكلم الحجر والصخر
ولا يتردد في حنجرتي سوى الشوك
وأزهار العصافات
حين نزلت من أرض أور إلى أرض مصر
ساومت
وساومت
عملت مهرجاً في حاشية الفرعون
قدمت أمك وليمة لأعشاب البحر
أطعمت جسدها للكهنة
وكل أصحاب السلطة في مصر
قلت لهم : هاكم خبزي فكلوه
وهذا زرعي فاحصدوه
حديقتي مشاع لكم
وجسدها
لكل راغب
لم فعلت ما فعلت يا إسحق
والآن انظر
هأنذا وفي نهاية الرحلة أرى إني أذبحك
وبعد أن كبرت
واستويت

أأذبحك أنت يا إسحق
أي قدر شرير هذا الذي يتربص بي مثل لص
ويعبث بمصيري مثل ورقة
وتتدحرج على الأرض
حلم واحد يتكرر كل ليلة
أمام عيني
في يدي سكينتي
وأنت ترقد تحت قدمي مثل نبتة
وأنا أحز رقبتك
مثل كبش
دمك يسيل على الأرض
كالبرك
والوحد
وأنت ابني
فلذه كبدي
لا تفعل شيئاً أو تقاوم
ترقد مستسلماً لكل تلك القسوة اللامبررة
وكل هذا الشر
لم أفعل أنا بيدي هاتين ما لم يفعله أحد من آبائي
لم كل هذا الشر الذي يسكن في الدم
ويعشش على الأرض
مثل حوت بأنياب
ومخالب
ومن أجل أي شيء قطعت تلك الرحلة اللعينة
من قلب أور العاصية
إلى أرض كنعان الشريرة
بلا ربح واحد أمضي حياتي
خساراتي هائلة وبلا حد
لقد جئت في الوقت الخطأ يا إسحق

وما جنيت أي شيء
الميلاد مثل الموت
والبداية تعني النهاية دائماً
ولا جديد تحت كل هذه الشمس
باطل الأباطيل
الكل في العتمة
والظلمة جاثية
شمس تجنح إلى الزوال
وأخرى تتأهب للطلوع
الليل نفس الليل
والنهار نفس النهار
لعبة واحدة ومتكررة إلى ما لا نهاية
أي هدف
وأي غاية لجهد الإنسان الضائع
تحت عجلة الموت
قبلي قرون مضت
وبعدنا
قرون أخرى سوف تأتي لتخضر من جديد
يا لها من مسرحية بالية...
وخالية من الهدف
والهاوية تتربص
هل ثمة شيطان يتربص بي عند كل منحني
وتحت كل قنطرة
وجسد
يتلمظ
في النهاية
لماذا روعي ضائقة يا إسحق
وتشعر بالسأم واليأس
أنا ما اخترت هذه الحياة بيدي

ولا جئت إلى هذا العالم بمحض إرادة مني
فقط

الحياة هي التي اقتادتنني يا بني مثل كلب
كان من الممكن أن يكون أبي حداداً
فأكون حداداً بدوري

كان من الممكن أن يكون خزافاً
فأكون خزافاً بدوري

لم كتب علي أن أكون ابن صانع آلهة
وتماثيل

لم تظهر هذه الصورة أمام عيني وتترسب في المخيلة
أن أذبحك

كيف أسلمك إلى الموت يا إسحق
وأنت

لم تعرف عن العالم أي شيء
ولم تر العالم بعد
أنا ممزق يا أسحق

قلبي يتكسر مثل طبق من الخزف
إلى ألف قطعة
وقطعة

هاجر تموت في الصحراء
ولا أعرف أين هي

ولا ما هو مصير إسماعيل ولدي البكر
ربما يكون الآن جثة
أو في بطن ذئب

لم طاوحت ساراي أمك وفعلت بها ما فعلت
أنتكون تلك النهاية يا إسحق

أم هي لعبة آلهة آزر
اهدأ

اهدأ يا أبي

فلكل شيء تحت السماوات وقت
للحب وقت
وللموت وقت آخر
للضحك وقت
وللبكاء وقت آخر
للتذكر وقت
وللنسيان وقت آخر
الكل في المتاهة
والهاوية تتربص بالعالم
أين غلبتك يا موت
أين شوكتك يا جحيم!!

حلم البحار الأعمى

...وأنا

الذي كنت أفكر في الحياة دائماً
كشيء زائدٍ عن الحاجة تماماً
أكتب أطناناً من القصائد الفارحة
وأمزقها عبر النافذة
هناك

ومن خلال الروح التي تنتشط مثل فأرٍ في مصيدة
في زاوية الفم ما يشبه القطط الميتة
في المعدة

ألم بحجم الميتافيزيقا
بين الأسنان هواء محبوس بطول سكة حديد
ماذا أفعل - أنا - إذا كنت لم أقرأ سقراط لحد الآن
وعلام يبحث أفلاطون خلف عربته المعطوبة هذه
والتي تجز الحياة من رقبتها!!
روحي مريضة بجذ

وفي قلبي غثيان بحجم الكرة الأرضية

بي

ألم في الرأس من ضراوة الحياة

هلم بنا لنجلس على طاولةٍ أخرى يا صديقُ

فكل الطااولات مشغولة كما ترى

الكل يريد الحياة

والكل يهرب من الحياة

والأحلام تتصاعد في الرأس مثل مفرزةٍ لجيش مهزومٍ

أو عملة ذهبية مزورة

والموت

هذا الجنرال الأعمى ينزل بسقاطاته الكبيرة

ليبتلع السمكة في الشصّ !!

شاعر

مجرد شاعر!

شاعر عبقرى

شاعر مجنون

شاعر تافه

مجرد شاعر

يرى الليل من خرم إبره

ويحبس الزمن - على الطاولة - إلى جواره في أنبوبة غاز

شاعر ذو مزايا مزدوجة

يعمل بائعاً للأبقار بالنهار

وفي الليل يكنس النجوم من على طاولات المقاهي

ربما

لا ينال شيئاً من هذه الحياة

بعد أن صارت مثل بهيمةٍ لا تعنيه أصلاً في شيء

يجلس إلى مكتبه بالساعات في انتظار أن يسمع مكالمه هاتفيه

من أحد ويتخيل نفسه بحاراً ليصل إلى قارات أناي
من تلك التي يتخيلها العقل أو توجد على الأطالس
يتخيل نفسه رجل ساعاتٍ يصلح العقارات المعطوبة
ويعرف كيف يضبط الزمن
وقد يتخيل نفسه - أخيراً - سفينةً شراعيةً تدور
بين المجرات والكواكب
بعد أن خرجت من نطاق الجاذبية فلا تلاحقه الهزائم
أو يعتوره الجنون
وبعد أن يفرغ من كل ذلك تماماً
يجلس إلى مكتبه بالساعات في انتظار أن يسمع مكالمَةً هاتفيةً
من أحد
أن تأتيه كلمة
مجرد كلمة أجيرة من تحت عُقب الباب
عليها بعض التجاعيد
وقليل من حبات العرق
وربما يفكر
في أن يعيد ترتيب أوراقه القديمة
عن السكك
وأبناء الشوارع
وبائعي العرق سوس
وكراسات اسبينوزا عن اللاهوت
والسياسة
وكتاب الموتى في جبانات مصر القديمة
هل البحر بعيد عن هنا
هل الأرض فعلاً ذرة بين المجرات
هل السماء واطئة إلى هذا الحد
لكي تنام قلعة جرامشي
أمام بوابة مقبرة؟!

عربة كانط المحملة بالأخطاء دائماً

لا تسخروا مني يا أبناء الكلاب والقطط
فحياتنا الوسخة هذه لا تشبه إلا غرفة إنعاشٍ
أو بصلة مدوّدة!!
كلماتنا التي كنا نحسبها مقدسةً
أو شبه مقدسةٍ
لا تصلح لإيواء فردة حذاء فوق سطح زريبة خنازيرٍ
فقط
نتوقف تحت الأرصفة الغائبة عن الوعي
وأمام المستشفيات العمومية
من أجل أن نتقاتل على حفنةٍ من الهواء
الذي يشبه الروث الجاف
أو طبقٍ من الفاصوليا
في الحذاء الإنساني الواسع
في الطرقات الراسخة للمدن الرحبة
نطارذ الذباب
والسحالي
كالقطط الجائعة
وننام أمام الصيدليات العامة كمخلفات حربٍ كونيةٍ
أو كمتسولين عظام
من أجل حقنة ماكس فورت!
ماذا نصنع في هذا الوقت من الليل
سوى إصلاح المواسير المعطوبة
للإنسانية المعطلة
وانتظار طاقة الإخفاء
على عربة كانط المحملة بالأخطاء دائماً
هلموا
هلموا

يا أبناء القطط والكلاب
من قبل أن تمتلئ الصحراوات بالجثث
في مقابر الصدقة الجارية
سوف نلتقي الليلة وسكان الكواكب
المجاورة!!

مقهى ريش

في السماء الأقرب من راحة اليد
في الدورة الدموية الأعمق من الكلوروفيل
في العين
الأبعد من حدود السماء الراسخة
في البنطلون الأقرب إلى من الأنف والأذن والحنجرة
في الفوط
المعلقة على المشجب الخلفي
للفراغ
في هذه الحياة الوسخة التي أعرفها عن ظهر قلب
أجلس لأتأكد
أن العين لا تزال في مؤخرة الرأس
- وتعمل بكفاءة عشرة عمال نظافة
على الأقل -
وأن القلب ما زال ينبض في السترة الخلفية للزمن
في السماء الأقرب من راحة اليد
أجلس لأتأكد
أن الرصيف المقابل للعالم ما زال يعمل
بكفاءة سترة إنقاذ
- وكما هي العادة دائماً من السابعة صباحاً
وحتى العاشرة ليلاً
مثل صيدلية عمومية -

أن القمر بفوانيسه الكبرى
وانشقاقاتِه
بمربعاته
ومثلثاته
لا يزال يدخن الماريجوانا
فوق صحراء الربع الخالي
ماذا أقول عن نفسي التي تنزعج من اليود والبوتاسيوم
ورائحة السياسة في العالم الثالث
التي تشبه البول المجفف للماعز
والأغنام
عن المجازر الجماعية والفردية
في النجف
وكربلاء
ما الذي يمكنني أن أقوله عن التآكل اللاإرادي
للإرادة الحرة
وتفكك الوعي الكوني
للأنثروبولوجيا
عن هذه القطط التي تنام في المخيلة
وتخربش في الذاكرة
وتبخلق من النافذة مثل أفعى استوائية
أو كسقاطة لحقل محروق
في منزلٍ مجاورٍ
ماذا يمكن أن أقول عن نباتات الظل الحارقة
والتي تعمل بالغاز الطبيعي
وتنام تحت سقف بيتي كالمخدرات
وهي تصعد وتهبط كالإسفنجة المكرّبة
فوق قارات جسمي غير المترابطة بالأساس
ولا تتوقف
عند هبوب أية عاصفة أو تشققاتٍ تحدث

في الطبقات البنكرياسية الأعماق
للعالم!!
ما الذي يمكنني أن أقوله عن الليل الذي يخاف من الليل
وينعس في المخيلة كالوطاويط
ويقامته هذه
الأكثر ثقلاً من جبل ببراكين
ما الذي يمكنني أن أقوله عن الهواء الذي يخرج
من البنايات المجاورة لروحي تماماً
كالأثداء
المتغضنة لامرأة في السبعين
وهو يشمخ عبر الأنف
والذاكرة
فيما أصابعه الحمراء المدهونة بالنفايات وخبث الحديد
والكربون المشع
تنطبع على الحوائط
والجدران
مثل أشباح والت ديزني
ماذا أقول عن الأمل الذي أعبئه في برطمان
من النوستالوجيا
وأنا متأكد من وساخته تماماً
بعيداً عن الأحبال الصوتية
ومدائن الغبار هذه
في السماء الأقرب من راحة اليد
في العين اللّماعة الأبعد من حدود السماء
أجلس لأؤكد!!
أنني ما زلت هنا
في قلب العالم
وعلى هذا الرصيف بالذات
وتحت تلك النجمة

الواطئة

وأمام كل هذه الحياة الورقية المعطلة
والكائنات الضالة
أجلس لأشرب البيرة المثلجة
ثلاث مرات - على الأقل - يوميًا
من يد فلفل بفوطته الصفراء
داخل مقهى ريش
ذات عصرية مهربة!!

ذاتي

أكتب عن ذاتي المحطمة
ذاتي المفخخة التي تعبت من المصل واللقاح
من الانتظار القلق
على المحطات
والأرصفت
وفي قلب الدواوين الحكومية!!
أكتب عن ذاتي التي أحملها معي مثل طفلٍ معوّقٍ
أو جهاز لقياس الضغط
وأضعها في مظروفٍ مغلقٍ
ثم أعلقها على حبل غسيل
وأتركها داخل أول عربة قطار يصادفني
وعلى أقرب مقعد
لتسافر
إلى أين
لا أعرف؟!
لَمْ لا أجازف بحمل ذاتي هذه خارج نطاق الكرة الأرضية
وأعمل على تشغيلها كوقادٍ
وأصم

لا ينظر إلى ساعته التي تتكتك من البرد
أو يفكر في الموت بالأساس
لَمْ لا أحبس ذاتيتي هذه في غرفةٍ جانبيةٍ
بسته محابس
وأربعة جردانٍ
وأخرج إلى غير ما وجهةٍ
ربما أصداد وعلاً
أو أطارد فراشةً
- ولم لا أبحث عن عملٍ
أن العاقل عن العمل دائماً -
أو
لأتلصص - مثلاً - على امرأةٍ تفوح منها
روائح الصندلِ
والعبير
فوق سطح مجاوزٍ
وهي تكشف لي عن ساقها
عن عمدٍ
وسبق إصرار
لَمْ لا أتوقف أمام عربة رش حكوميةٍ لأستحضر
في ذهني صورة المراعي
وكل تلك الأمطار التي تسقط عمودياً في الرأس
لَمْ
لا أجلس أنا وذاتيتي معاً على رصيف الحياة
الخالٍ من المارة تماماً
وندلق على هذا العالم الخرب
جردل نفايات
ربما
سيحلوا لي أخيراً
أن أترك ذاتيتي المفخخة هذه

أمام بائع روبايكيا
ودون - حتى - أن أطالبه بالثمن!!

صانع الأقفال

ربما،

كان يتعين عليه أن يتوقف فوق هذه الحجرة أو تلك
ليكتب عليها آخر كلماته التي تشبه الزكام
ويخطها عبر الريح والآخر
وربما، كان يتعين عليه كذلك أن ينزل النهر مرتين
ومثلما فعل هيراقليطس من قبل
وداخل فقاعة صابون
لكي يغسل الجسد الملائن بالقروح
والدبابيس
ويغسل الروح كالحجرة
في الماء الضحل
حتى لا تتبلل أو تبلغ سافية الرمل
هل تذكر حكاية أيوب بغتة
أم صراع الملاك في أرض كنعان
مع النبي يعقوب؟!
لا

لم يكن يكلم أحداً أو يحاول أن يقترب من أحدٍ
فقط

كان هذا هو شأنه دائماً وكلما أراد أن يصنع أحد الأقفال
أو يسن المفاتيح
لأن الصمت الذي كان يعتوره وكان يخبئه عن المارة
وصانعي الأقفال
هو وحده الذي كان يحلو له أن يصنع منه أفكاره
المطرزة بالمسامير

والتي تشبه الجواسيس الهائجة
في سوق الثلاثاء
وكلما جنّ عليه الليل
ورأى القمر بازغاً!!

صورة وصفية

أنا

وكلاب الشوارع والليل
نلعب - السيجة - على الرمل
فيما كان البحر ذلك العجوز الأخرق يتنزّه بمفرده
على الشاطئ
وها هو ذا القمر السهران
ينزع أرديته البردانة عن أشجار الكافور
والسلق
والبيوت القديمة
والليل
ويقف بصندله المعوجّ
لكي يجفف ماهيته التي أخذت تتآكل
بفعل النسيان
والظماً
في طبق من الكرتون الجائر
ويقشر سنواته التي لا يتذكرها
على أديم السماوات والأرض
وها هي ذي خنافس الليل السوداء
تنزو
على جلباب الطبيعة
التي راحت تتشاءب.

الموسوعي

أنا

الموسوعي الأعمى

الذي يجدل الهواء ليطلع على سلالمة العالية الرفيعة
درجةً إثر درجة

من أجل البحث عن فردةٍ حذاءٍ ناشفةٍ
أو حتى زاوية خربة ليقيم عليها بقية النهار
أو ينام تحت عرشها

في هذه الوحدة الشرسة
أمسك بمزولة الشمس المصنوعة من خشب الديانات
العتيقة

وعربات اللذة الخاوية
لكي أذريها عبر المقاهي والأرصنة
كتذكّار أكيد على غيبة الوعي الكوني للخلايا
وانزلاق قمر المحاق الأسود
على زلاجة الأنساق العمياء للعدم
وفوق كل تلك الأرض التي تمتلئ بالطحالب المتوحشة
والأحلام الممغنطة
للزهور الاصطناعية السوداء
أين أنت يا شوارع الليل الفخمة؟!
الحياة من منظور أرنب
أكتب عن حجر الرحي والشمس
عن الحياة الإسطقس
والحياة الضرورة!!

اليوم

أفرد ذراعي عن آخرها
لأكشف عما في قانون الجاذبية من تناقض
أو لأتبع الخرائط السرية للعالم الهولي

والعالم اللامرئي
للسلاحفِ
ماذا فعلت في كل هذه الحياة
ماذا أفعل أنا في كل هذه الحياة
سوى أن أزّر ياقة قميصي في الليل
وأفرد شعر رأسي الذي يشبه سلسلةً جبليّةً
فوق أصقاع خنفسيةٍ
ميتةٍ
وأقول لنفسي:
تف على هذا العالم
تف على هذه الحياة التي تشبه جردل نفاياتٍ
باذخ
فوق صفيحة زبالةٍ
محروقةٍ
هناك في الجحيم دائماً ما يكفي من الوقت
لكي نحكي عن هذه الحياة الفقمة
والحياة الشريرة
أنا الكائن القردي الضخم
صاحب العوينات
والميتافيزيقا
لا شيء يشبهني في هذا العالم
سوى أنفي الذي يتمخط عبر النافذة
والهرمنيوطيقا!!

حجر الأفاعي

تُرى
ما الذي تفعله هذه النملة العمياء
وهي تسير في خطواتٍ منتظمة حيناً

وغير منتظمة حيناً آخر
سوى أن تتوقف هنا أو هناك أمام عجلة الحظ السيئ
على حجر ناتئ
تحت قوس السماء الواطئ دائماً
والمنحرف أبداً
وهي تصعد وتهبط مثل قطعة فلين تطفو
فوق تل من النفايات الشاهقة
والعدم المحض
لكي تتأمل ملايين الأفكار والخطط المدروسة
واللامدروسة في نفس الوقت
عن كل تلك الرحلة اللعينة التي تقطعها سيراً على الأقدام
من مطلع الشمس إلى مغربها
فوق حجرٍ يكتظ بالأفاعي.

كمال سبتي

في الزحام الأخير للمربد السابع رأيت وجهك
الذي يشبه عربة إسعافٍ معطوبة
وبصعوبةٍ بالغةٍ بادلتك التحية
كانت كلماتك التي تخرج من بين شفتيك
مثل العصافير الجريحة
فوق أشجار الكمون
والطلح!!
وعلامات الدمع ترسم على وجهك كشرايين دجلة المحمصة
والتي أنهكتها الغزوات
وجثث القتلى من المغوليين
والرعاة
وحاملي البلط والسيوف
ولم تكن تملك وقتها أية كلمات سوى الصمت

تلك اللغة - الأثيمة - التي تعرف كيف تروضها جيداً

بين شفتيك

أو تبددها في الهواء الضحل

عبر الفراغ

والعدم

ثم تنصبها هناك في العراء الطلق مثل خيمة الراعي

ومن خلال أصابعك التي تنز بالدم والحجارة

وكانت دموعك تنزل قطرةً إثر قطرة

وكأنما هي المداد الحي الذي سوف تكتب به مراثيتك الأخيرة

لبغداد الجريحة

هذه المدينة التي سقطت دائماً في الأسر

وخلعت ثوبها الأرجواني لتلبس شارة الحداد والحدود

وتعصّب رأسها بشالٍ من الكشمير الموصلي

وزهرات النيلوفر

التي تنمو وبغزارة على جبال مندلي

وحاج عمران

فيما عصافيرك السوداء

- والتي تحاول أن تنشّد الراحة في لحظات الجحيم والقصف -

تقف على كتفيك كشارةٍ أخيرةٍ لجنود المظلات

الذين يهبطون في الفجر

وعلى أعينهم رائحة النخل

لتلتقط نظرة أخيرة من ندى الليل

أو من ماء دجلة الذي لوثته السنايك

والخيل

وفيما

كنت تضحك أنت وبضراوةٍ بالغةٍ من حاملات الطائرات الأمريكية

التي راحت تصبّ الجحيم

والموت

في قلب العاصمة العاصية بغداد

ولم يكن يشغلك في ذلك الوقت سوى دجلة الكليم أبداً
ذلك النهر الذي ينبع من السماء دائماً
ويصب هناك تحت تمثال أبي نواس
وفي داخل خان مرجان
يبحث لنفسه عن مستقرٍ ومستودع
أو عن عشيقَةٍ تعرف كيف تصنع الشاي العراقي
لجلجامش العظيم
بعد رحلته المرهقة الشاقة وهو يفتش عن عشبة الخلود
كما تعرف - وفي الآن نفسه - كيف تقشر القنابل العنقودية
من على جسدها الحيّ
الذي ملأته الدمامل والتأليل
وسط كل هذا الخراب
الفادح!!

مجاز مرسل

في أذني تهتف فراشة ضالة
على باب بيتي يقف سائق سيارة إسعاف ليسأل
عن هذه السيدة التي تقطن في الأعالي
وتقيم بمفردها مع حيواناتها الضالة
وقططها المميّة
على النافذة
ثمّة سلك شائك وبضع سيمفونيات
لا تزال تراوح مكانها على الرخام الأبيض
للعمّة
وعلب الصفيح
فوق حصيرة الأمس البالية أتردد قليلاً في فتح الباب
ريثما تدق الساعة الرملية للزمن
على شرفة صندلٍ معوج

ليس في بيتي أي شيء كي أخاف عليه من اليتيم
سوى مؤخرة تلك المرأة التي صنعها سلفادور دالي
من بقايا أقمشة الكتّان
والبفتة البيضاء
وهناك
القليل من ذكرياته الشائنة.

صباحية إلى ف.ع

صديقي
الذي يعبر الشوارع والقطط
في الليل
ويجلس على المقهى
مثل شيخ في السبعين
ولا يعير انتباهاً لأي شيء
سوى دخان سيجارته الزرقاء
وقططه المتوحشة التي تتناسل في الفراغ
والعتمّة
فيما شبّح قطار يأتي من بعيد
من قلب الضواحي
ليعبر أمامه
وعبر نافذة بيته
قاطعاً الزمن
بمذراته الخشبية التي تجفّف الشمس
مثل سكة حديد
صديقي هذا
رجل قفازات
ومشائق
ولا يعمل إلا وفق جغرافيته الخاصة

وفوق ساعة ميكانيكية
معطلة دائماً!!

ساعة الحائط

في الرنين الأجوف لساعة الحائط
يجلس الزمن - فوق كرسيه المعتاد - ليتذكر أن ما قطعه من مسافة
لا يكفي بالكاد لكي يتزحزح مليمترًا واحدًا
من على مقعده المعتاد
أو من على الحائط اللازوردي للسماء المزركشة بالنجوم
وأن أرنبًا صغيراً - من النحاس والفضة -
يمكن - له - أن يحمل في رأسه من الأفكار والخطط
ما يكفي لكي يجعل الأرض كلها
تقف على سن إبرة
وها هي السماء
تنفجر داخل إطار سيارة
فارغ!
وتريق كلماتها الفارحة على الأرض
تلك الكلمات التي تتقاسمها القطط والكلاب
فوق فوهة فارغة
لقينية
من سلاحف
وكهرمانات!!

ربات الشعر

ماذا تفعل ربات الشعر الآن
سوى أن تجلس القرفصاء في ركن جانبي من المقهى المجاور
لكي تدخن الشيعة
أو تمضغ حشيشة الماريجوانا في الليل

في ذلك الوقت
الذي يمسح فيه النادل عن عينيه ذبابة الثاؤب الهرمة
وهو يمتخط في كم قميصه الساتان
أو يفرك سيجارته السبارس
وقد ارتكن إلى جدارٍ من الصفيح
والآجر
أو ليصنع لنفسه كوباً من الباذنجان المخمل
واللفت
وإذ ينظر - النادل - من خلال الباب الزجاجي للمقهى
يكتشف أن الغيوم التي كان يراها عبر النافذة
والعالم
تكدس هناك على طرف الطاولة
كالعصافير الجريحة
وها هي ذي عربة إسعافٍ هائلة
- تعبر الأفق بسرعةٍ جنونيةٍ -
مخلفةً وراءها على أرضية الشارع
ذلك الرنين الأجوف لرجلٍ كان يحتضن السماء
في علبة كبريت
فيما كان اسخيلوس العظيم
بحزم حقييته المملوءة بالدود
والعناكب
ويركب عربة قطارٍ من رمادٍ وقش!!

التجربة

في ذلك المسلخ البشري الذي صنعه الرومان
حول بحيرة طبرية
وقفت العذراء مريم ذات مساء
بشالها الأخضر

وشعرها الدؤوب
وهي تنظر إلى السماء الواسعة بعينين داميتين
وشفتين ترتعشان من الفزع
والرعب
وذلك من خلال فجواتها الإسفنجية الدافقة
وحجارتها التي تتساقط على الرامة
كالشهب
والمُهَلْ
وإذ أبصرت نجمة الصبح اللماعة
ظلت تهذي:
إلهي
سيدي
خذ هذه الكأس عني
ما عدت أحتملُ
أرجوك
وبينما كان المصلوب يقف وحيداً على الجلجثة وهو يصرخ من شدة الظمأ
والحر
كان الجنود الرومان يكيلون له السباب والشتائم
ويمطرونه بالحرايب المستنّة
والْبُلْطُ
ويدقون المسامير في الرسغين الأبيض
ويكللون الرأس بكسرٍ من الزجاج
والشوكُ
فيما كان ملاك الرب الحارس ميخائيل
ينزل من السماء الوسيعة - ذات الحُبْك والمصاييح -
على سلالمة العالية الرفيعة
لينظر إلى كل تلك الجلبة التي تتصاعد
من تحت
وحول بحيرة طبرية

ومن هناك
وفوق هذه الكرة الصغيرة المعلقة في الفراغ الضخم
وقفت امرأة لتقول:
إلهي
سيدي
خذ هذه الكأس عني أرجوك
ما عدت أحتمل
يا صاحب البستان
والشوك.

عصا الراعي

عندما تكتب عن النقط والحروف التي تتعالى بداخلك
لتشكل وفي نهاية الأمر طبقاً اسطوانياً
من الكوايس
والفحم
ولا يتبقى أمامك وفي مخيلتك
سوى غبار الزمن بوحوشه المتضررة جوعاً
ونباتاته الفراسة
وتترك لرأسك فرصة سانحة للاستواء جانبيّاً
على الأقل
بحيث يمكن لك ومن خلال النظرة الأجيّة هذه
أو تلك
أن تنظر إلى كل تلك السماوات باتساعها الراسخ
وهي تضم كافة القواميس التي خلفها وراءه الربّ
في مكتبته العمومية
وبأدوات صيده وقنصه
والتي ترى فيها الغزلان الجريحة جنباً إلى جنبٍ
مع كافة اللدائن اللاإنسانية للبلدان المتفحمة

والمدن المحروقة
والأسلحة الجرثومية الفتاكة
والقنابل العنقودية الفسفورية
مع أعشاب البر و البحر
وسرطاناته الهائلة
عندئذٍ
لن يكون هناك أمامك سوى مجموعة من النجوم
الناصعة
المترامية
والتي تقف على مرمى حجرٍ
من يأسك الكامل
وعنفواناتك
فيما شمسك التي أخذت تشيخ بالفعل
تقف مثل عصا الراعي !!

مصائر ومصائر

نعم
سوف يضمنا الموت في جوال قماته الضخم
وهو يلعن تلك الوحدة الشرهة التي يقضيها أثناء
نوبته اليومية المبكرة في الحراسة
والظل
فيما ينفث دخان سيجارته الوحيدة
من خلال منخاريه اللذين يشبهان
عربة رشٍ
أو سفينة إنقاذٍ
وها هو ذا
يقف شابكاً ذراعيه العنكبوتيتين
على شاهدة المقبرة الواسعة

التي تسمى الأرض
وهاشاً
في الوقت ذاته عن وجهه السيراميكي
ذبابة الزمن
الجعدة!!

الأرغن في كنيسته ويعمل وحيداً
أنا الذي أكتب الشعر بلا شفقة من أحدٍ
أو غطاءٍ صالح للروح
سوف أباغتكم بعجلاتي المطاطية
التي تعبر السماء من جهةٍ إلى جهةٍ
بدون شهقةٍ واحدةٍ
أو رنة زفيرٍ
سوف أجلس على الكرسي الذي صنعه لي أبي
من الرخام والآجر
وأروح أذرع السماء جيئةً وذهاباً
بحثاً عن ملاذٍ آمنٍ
أو ملائكةٍ طيبين
وحورياتٍ
من ماسٍ
وأرجوانٍ
وهن ينتصبن في الفضاء الواسع
مثل عرائس الكروم المخضلة بالندى
وفوق بحيراتٍ من عسل مصفى
وأنهارٍ من خمرٍ ولبنٍ
وتحت المذاق نخل
ورمان
يغنين أغنياتهن التي تُسعد القلبُ

وتملأ البدن بالدهشة
وسوف أنقلّ قدمي بخفة طائر أعمى
من هوةٍ إلى هوةٍ
ومن متاهةٍ إلى متاهةٍ
لعلّ أعرّ أخيراً على الجحيم المنقعرِ
أو تلك الجنة الموعودة
لأفتح ما بها من غرفٍ غرفةً غرفةً
ولأجلس فوق نمارقها المصفوفة
ساعةً أو بعض ساعة
وأصطاد فراشةً بريّةً
تعمل لصالحٍ وفي نهاية الأمر
أما

إذا لم أجد أي شيء هناك على الإطلاق
فسوف أضع إحدى يدي في جيبي
وأصفرّ منفرداً - في الخلاء الضحل -
كالضالين

وسوف أعود لأقطع السماء ثانيةً
من ناحيةٍ مغايرةٍ
- على عربةٍ من قشٍ واسطرلاباتٍ -
وأطلع جيداً على الأرض
هذه الثمرة المعطوبة
ذات الأبهة
والرفشِ

ربما أعرّ على تلك الشمس
التي تقيني عبء كل هذا الليلِ
أين أنت أيتها الأفكار التي تنقّر بمناقيرها الفولاذية
فوق هضبة الرأس العجوزِ
ماذا صنعتِ بسائقك الملكي
وإلى أين مضيتِ بي

أَوْ جَنَحْتُ
أنا الذي أحمل في داخلي أكثر من جحيم واحدٍ
وربما الآلاف المؤلفة
من يوحنا المعمدان
فوق جبل الرب المسكون بالمردة
والشياطين هذه
وأمام بوابة أورشليم
مدينته العاصية
الزانية القلب
أنا الذي أكتب الشعر
بلا شفقةٍ من أحدٍ
أو غطاءٍ خالصٍ
للروح!!

القرين

شددته من أذنيه
وعلقته في سافية الرمل
أرخت له الحبل - على الغارب -
وقدمت له المنّ
والسلوى
أطعمته السكاكر
وأرشدت إليه الكوابيس في الليل
سلطت عليه قطط النهار الجارحة
وجواميس الليل
الصحابة
وقلت له: فلتذهب إلى الجحيم إذن!!
أجلسته على المائدة إلى جواري
وجعلته يسكر حتى الصباح

أوقفته معي تحت الشبايك
وحوائط الليل المبطنة بالرعب
مشطت له شعره الطويل تحت شمس الظهيرة الفضة
وقدمت له كل ما في جيبي من عملة ورقية
وجلبت له فوق ما يشتهي من النساء
والرزق
هددته بالقتل ذات مرة أو إلقائه من النافذة
لكي يدوسه المارة بالأقدام
إن هو حاول إعاقتي أو التشويش عليّ
وأخيراً أمسكته من رقبته وقلت له:
يا أخي
اتركني وشأني أرجوك
أريد أن أنام
فأخرج لي لسانه وقهقه قهقهةً
مميتةً
ذلك الأشيب العجوز!!

إيليا في العاصفة

ضائقة - هي - نفسي التي بين جنبي
على جيبي يتعفّر الحصى
ويتبلل الماء
بالليل
في أنفي رمل بأشواك
ومزامير
كلماتي لا تصعدُ إلا على سقالةٍ من مياهٍ جارحةٍ
وفي جوفي تسكن الوحوش النطاطة
والزواحف التي لا تسير إلا على أرضٍ
بمسامير

في الطرق التي بلا رحمةٍ أمشي
وأمسك الشمس من أطرافها
لماذا بلوتني أيها الأب الإله
يا صانع الرحمة
والعدل
ألم تكن يدك الرحيمة تصنع خلاصاً للعالم
وبنفسك تسكن وحوش الغاب
في الطرق الخاطئة دائماً
ما تزل قدمي
وتعثر نفسي التي بين جنبي
هواؤك زلزلة للمسكونة
وأرض ميعادك
دم
ومعاول
على من تقوم صلواتك
وفي أي وادٍ تسكن يا شبيه العاصفة والظل
أن تكن الشمس
فنبصرك في الظهيرة
وأن تكن القمر
فلتبسط يدك على الليل
مياه أنهارك ساكنة
وبحرك بعيد الغور
ومياه روعي آخذه في الهلاك
أين هي الطريق
قل لي
في مساكن الظل العالية
تجرعت ثمرة البكاء حتى اندحرت
وفي قلب العاصفة
أمسكت بشرائر الألم

انجرحت نفسي على الصخر
وتدللت رجلي في الخطأ
حتى تحولت إلى عمود ملح
في مساكنك العالية أنهار خمر ولبن
وفي مساكن الأشرار
طغيان
وظلمة
قل لي:
أين هي الطريق حقاً
وأين يسكن النور
يا صانع الرحمة
والعدل؟!!

درب البرابرة

إلى
إيمان زكريا
وكفى

كل ذلك لا يهم

لا يهم أن أعيش أو أموت
المهم أنني قد مررت بهذا الشارع أو ذاك
واشتهيت هذه المرأة أو تلك
ذات مرة
لعبت - أنا والقمر - لعبة الاستغماية هذه
خلف بوابة قصر مهجور
أدخلت النجوم إلى بيتي
وغسلت لها رأسها الملائن
بالدمامل والقمل
ضحكت أنا والوردة خلف بستان شائخ
كطفلين عاشقين
وعلى مرأى ومسمع من النجوم
بكيت ليلةً بكاملها فوق ترعة مهجورة
ودون إذن من الضفادع
رقدت على الأرض المبلولة وأدخلت يدي
في سُرَّتِها
حتى قهقهت
وكشفت لي عن سروالها العجوز
صعدت إلى كافورة ناشفة
في الظهيرة القوية
وغنيت فوقها لألف عام على الأقل
فردتُ صدري للريح وقلتُ :
انطلقى يا سحابة باتجاه الموسيقى
طبطبتُ على رأس أُمي مرتين وقبل أن تموت
سرقتُ سنبلة من القمح من حقل جارنا المناور
وشويتها على المجرى الدمعي للخلايا
وأكلتها فوق حصيرة مجهلة

توضأت بالفجر
حتى نامت الشمس في حجري
وقالت لي :
أرجوك
احك لي بقية الحكاية
عن الليلة الأخيرة في حياة النبي سليمان
وكلب أهل الكهف
وعليقة الطور
وما الذي قاله يوحنا المعمدان
على نهر الأردن
أمام جسد سالومي الجميلة
أنا المسافر الأبدي في الدروب الوعرة للعالم
رأيت الليل يمشي بجواري في السكك
ويتنطط على المعابر
وخلف البوابات
وينام معي على الأرصفة في البرد
وعلى نفس المقعد يتناول طعام إفطاره
ويترك لي بقية من خبزه الحافي
وبعضاً من علب السجائر
وعصير الليمون
والتي ألفها على الرسغين الأبيضين
لفلكك الدوار
أنا الذي رفعتُ صوتي بالغناء
إلى أن أزهرتُ الميتافيزيقا
فوق الجدران
والقواميس
لا يهم
لا يهم بعد ذلك
أن أعيش أو أموت.

الراعي الصالح

لقد أتيح لي
أن أرى السماء وهي تتفسخ مثل ورقة كرنب
أو مومسٍ تنعظ
أن أرى الأرض وهي تتنقل من قارةٍ إلى قارةٍ
مثل كرة من البلياردو
وهي معلقة في رقبة فأر ضال
أن أنعس قليلاً على العشب المبلول
وفي فمي فراشة ضالة
وقدمي تغوصان في الوحل
أو في عين الشمس الحمئة لا فرق
أن أرى الميتافيزيقا وهي تتنفس هواءً مجروحاً
فوق صينية من اللحم الإنساني المفروم
على الرصيف المقابل
للعالم الحي
والعالم الميت على حدٍّ سواء
ودون أن تشعر حتى بالضجر أو اليأس
أن أرى البحر
وهو يدوس على أمعاء صديقه الرمل
عارياً
ووحيداً
بقدميه الصفيحتين المتوحشتين
ولا يعود إلا بسرّوَالٍ جاف
وبضع سمكات في الفم
أن أسمع حبات الكركم وهي تحدق إلى رأسي المشجوج
بفأس الزمن الباردة
وبعينين سوداوين تطلقان شرراً
أو حتفًا

لا يهَمُّ
أمام مئذنة ملطومةٍ
بسبع سنابل سوداءٍ
وخنفساء جاحدة
أن أبحث عن المستقبل المنظور أو اللامنظور
فوق رقعة شطرنجٍ
لا يحرسها سوى الكلاب والقطط
وكرتونات العدم الراسخة
من فوق أسوار البورصات العالمية
وبالوعات العولمة الواسعة
واققتصاد السوق
وحشرجات رأس المال في الزكائب العالمية
للخرابِ
أن أؤرجح الريح على ساقين خشبيتين
بجوار قمر ضال يفتش عن الليل في الليل
خلف عربة روبايكيا
وفي يده زكية من الجماجم المهروسة
في مدرسة الذباب الأعمى
أنا مر بي الزمن الضائع في حديقة الخراتيت هذه
في رحلة مكوكية ما بين الأرض والسماء
فوق خرائب التاريخ النارجاني
وأسس الجغرافيا المشروخة
أنا سائق العربة الخرقاء ذات العجلة الواحدة في هذا العالم
والتي يقودها الجنون من المساء حتى الصباح
ومن الصباح حتى المساء
من فرط ما استهلكْتُ من خساراتٍ
على المقاهي الباردة

وقطارات الضواحي الليلية الجافة
وفي فمي
عدة أرغفة من نحاسٍ
على ساحل الجحيم المنتظر!!
ما الذي تريدون - مني - أن أفعله يا أبناء الأفاعي
في مدرسة الخنازير الوسخة هذه
سوى أن أقدم لها المن والسلوى
على طبق من أركيولوجيا البطاطس
واللفت
وبضع سيمفونيات رائعة بحجم نباتات الزينة
والدم الذي يسيل في السكك
ويغزو النوافذ
تحت سماءٍ لا ترى
أو تسمعُ
أو تحسُّ
لتجلس عليها وفي نهاية اليوم الفائت لكي تمصّ القصب
أو تقزقز اللب
من فوق رؤوسنا
أو من تحت بطانياتنا المهددة بالتلفِ
نحن نشارة التاريخ
ومخزن الجغرافيا العتيد!!
ما الذي تريدون - مني - أن أفعله أنا العاقل عن العمل دائماً
والفائض عن الحاجة أحياناً
سوى أن أجرجر السماء من بنطلوناتها الخلفية المرقعةِ
إلى حقلٍ مجاورٍ
من الأسلاك الشائكة
وألفها في بطانية من خراء القطط والكلاب
لأشعل في فمها النيرانُ

وأبيعها - هناك - على الأرصفة
والمعدات
مثل بيضة فاسدة
أو مخلفات حربٍ كونيةٍ قادمةٍ
أنا الراعي الصالح
لكل هذا الألم الإنساني المضاعف
والذي يجري على الأرصفة
ويتنطط في عربات الطوارئ
وغرف العناية المركزة
ولا يبصُّ على العالم
إلا بعينين زائغتين
وقلب لا يعمل إلا على طبقٍ
من النوستالوجيا
لقد استهلكت أمعائي في الضحكٍ لحدّ البكاء
وفي البكاء لحدّ الضحك
لا فرق
لا فرق
كل ذلك تحت شجرة سرو ضريرةٍ
في حراسةٍ الريح المعتوهة
وأمام صندلٍ معوجٍ
إنسانياً
أو لا إنسانياً
سوف يمرّ هذا اليوم
كالיום السابق عليه تماماً
ثم لا شيء
لا شيء
لا شيء.

الضمير معلقاً على جذع شجرة

سوفو كليش

اسخيليوس العجوز

أفلاطون المناور الأبكم الذي تلقى تعليمه الأساسي في مدرسة الإسكندرية

أفلوطين الهرُّ الأشيب للعرض والجوهر

شكسبير المناور وصاحب السونيتات الأغرّ

هيراقلطس الأعمى

رامبو الجوّال الأبدى في بنسيون التاريخ

سينيكا الأخرق

صاحب الحانة الوحيدة

في مزبلة روما

تلك على الأقل

هي المعالم الرئيسية للحضارة الغربية أو قل

هي النغمة الأساسية على صفحة البيانو

في سيمفونية الغرب الحديث

1- بيتهوفن الأشقر الأصم

2- سبيلبرج العبقرى المتعجرف

والذي يكره أمريكا في الصباح

ويحب البيتزا المحشوة بشرائح الهنود الحمر

في المساء

والحارس الليلي للنمل والبعوض

في محلات المكادونالدز

الأمريكية

3- يهوه

ذلك الإله الجبار القاسي والذي ترك

شعبه الأثير

في العراق

والبرد

لمدةٍ لا تقل عن أربعين سنة
في صحراء قاحلة
ومتوحشةٍ
تسمى سيناء
وحين وعدهم باليمن
والسلوى
كان ذلك على حساب تلّ من الجماجم
والجثث فوق صحراء لا تعرف الرحمة أبداً.

رجل بينطلون مرقع

هأنذا

أكتب أغنيتي الأخيرة تحت مصباح شاحب
ويمتلئ بالكوابيس
أفتش في السماء الزرقاء عن غيمة وتشبه الحليب
أشبك صنارات الوحدة في سمكة البوتاسيوم
وأعد السنوات المجذبة على طرف منجل
حتى الحروف
الحروف التي كنت أحسبها ذات يوم صديقتي وتشعر بالحرية
والكلمات التي كنت أرصها في جيبتي وتحت مخداتي
في غرف النوم
لتؤدي لي تحية الصباح كل يوم
صارت هي الأخرى مشابك وفلايات
خذي شعب المرجان هذه أيتها الريح وارحلي
ارحلي عن هذه الأرض المملوءة بالمطبات
والحفّر
فلم يعد هناك سوى مقبرة واحدة
تضم الأرض والسماء جنباً إلى جنب في بنطلون مرقع
صه صه

أيتها الأشعار يا عدوتي اللدودة!!
ما عاد بي إحساس أو حتى رغبة في الفعل أو الالفعل
تحت مقود هذه السماء الملطومة
يقف رجل وحيد بينطلون مرقع
وفي فمه فراشة ميتة
وعلى كتفيه ترفرف طيور العدم
الهَرَمَة!!

نم أيها الليل

نم أيها الليل

نم

فلا يد هنالك لتطرق الباب
ولا مطرقة بين يديك لتنعس على بابها
في انتظار أن يفتحوا لك النوافذ
فقط

ثمة نجمة سهرانة تكتب بأسنانها اللامعة
توارىخ عزلتك
أنت أيها المنجمي
المنحني على كلماتك مثل ناسك عجوز
يتأمل السماء وهي تتفكك
فيما يخلع الليل آخر أرديته الصوفية
وكلماته

ليلقي بها إلى الهاوية
ولا ينتظر ولو سمكة جانحة في فم الشاطئ
ليلقي إليها بتحياته المعلبة
ومواويله التي تشبه الزلزلة
نم أيها الليل

نم
في حرامك الصوفي
على ضوء المشاعل التي يوقدونها لك
حتى لا تجنح بك السفينة
إلى شاطئ يكتظ
بالأفاعي والقطط.

يا لسخونة الأمطار

كثيرة هي البحار التي لم أزرها في الليل
كثيرة هي السكك التي لم أمش عليها بمفردي
لأغني أنا والقمر كصديقين قديمين
كثيرات هن النساء اللواتي أحببتهن واخترعتهن
حتى انجرح قلبي
وانبثقت الدموع حارةً
وحارقةً
حتى من النخاع الشوكي للخلايا
كثيرة هي الأحلام التي ظلت تطاردني
لأكثر من خمسين عاماً على الأقل
حتى تفصد الحزن من المخيلة
كثيرة هي الليالي المفعمة بالأمل والنعمة مثل خلية من العسل
وحينما حاولت أن أقرب
لم أجد غير سلة من الإبر
كثيرة هي الخيبات التي لاحقتني وملأت جلايبي
حتى النخاع
وتفرعت على الطرق مثل جميزة ناشفة
وعندما كنت أجوع
لم أجد غير خبز الدموع المحمرّ

يا لسخونة الأمطار التي تعمل بداخلي
ومنذ أن ولدتُ !!

وداعاً

وداعاً للكلمات التي أحبها بعمق
للموسيقا التي تمشي على قدمين حافيتين وتنام على العشب في ساعة الظهيرة
للزمن الذي يركض على قارعة الطريق ولا يتوقف إلا أمام بوابة مقبره
للحياة التي تقف على بوابة فجر ولا تستنشق إلا رائحة المستشفيات
وغرف العناية المركزة
للعصافير التي لا تغني إلا على بوابة السجون والمعتقلات
للطيور التي تعزف الضوء بمفردها على عجلة الأبدية
للأنهار التي لا تلبس إلا قبعة البحر وتساfer
في عربة روبايكيا
للتماثيل التي تستقبل من العتمة وتتفرغ للظهيرة
للسيمفونيات التي يكتبها الزمن
على رقعة من نحاس معقوف
ولا يتركها إلا في الميادين العامة
وغرف الولادة المقفلة
وداعاً لفانتازيا الألم
وحكاية الضفادع الأريستوفانية
وداعاً لكل تلك الحيوانات المرئية واللامرئية
والتي أشبكها خلف ظهري لأعلقها هناك
على جبل غسيل لتجف
أنا المسافر الأبدي في القطار الدولي السريع الذي يقطع الزمن
من أقصى نقطة في المخيلة
إلى آخر قطرة
في المحيط !!

عين ترqb

في الظهيرة

لا توجد كلمات

فقط

عين ترqb

وظل !!

في حديقتي تولد الريح سوداء

هذا الجسد ينبت كأسطوانة أعلى الردفين

ساقيتك معطلة

وأنا أكنس كلماتي من على الطاولة التي فرت من الجحيم

قمر وحيد

يقف في الظلمة

بأصابعي البردانة هذه لا أعرف كيف أكتب عن الأمل

والبحر

عيني تعرفان جيداً أين يكمن الفجر المبقر

صدري لا يتسع إلا لقيثارة

وشمس

والآن يا حبيبي

ماذا يفعل كل أولئك الطغاة

بشراسرهم التي لا تخدش إلا ضحكة الفجر

الميالة ؟!

أنا مشجوج بفأس

تعال

لنلعب الحجلة أيها الظل

تعال أيها السلحفاة لنرقص سوياً رقصة الفالس الأخيرة

أيها الألم العجوز لا تبتئس

وتمدد بجانبني على نفس المقعد المجاور

لا لتقرأ العالم كطبيعة صامتة وكفى
وإنما لتأمل الحياة
من شرفة الموت
وحتى داخل المسام الأرجوانية للضوء
سحقاً لهذا الألم
أنا مشجوج بفأس
من قمة الرأس
وحتى سلسلة الظهر
ماذا أفعل في هذا الوقت من الظهيرة
العدوة
أه يا سيمفونيتي التي لم أكتب منها سوى نوتة فارغة
على شريط سكة حديد
لإحدى قطارات الضواحي!!

سمكة الله

على بعد خطوة من الأبدية يقف البحر الأبيض المتوسط
وهو يحمل السماء على كتفيه
مثل سلة من المحار والرمل
فيما تقف السماء العجوز شاخصة
وهي تحديق إلى البحر بألاعبه التي لا تتوقف
وموجه الذي يشبك الزبد
في صناراته الملونة
وأراغيله
وهو يزق على السفن التي تبحر إلى الأعماق
ارجعي
ارجعي
أيتها الملتاثرة
يا سمكة الله!!

كافة المرايا

على باب بيتك تركتُ كل شيء
الحكمة والجنون
اليقين والدهشة
الأمل واليأس
عصاي التي أتوكأ عليها وأهش بها على سنواتي الضالةِ
وفحم عذاباتي المحمر
ذكرياتي الحسنة والسيئة
والتي أحملها على كتفي مثل ورمٍ مجفف
أحذيتي القديمة
ومنقولات الشامخة من الخراء والآجر
وطرزان آتى المجوفة
أبيات شعري المنقوشة على الحجر
كشجرة بازلاء ناشفة
كلماتي المفحمة على السكك والشوارع
كأحشاء مومياوات منسية
صلواتي التي أسردها كل ليلة على الكلاب والقطط
وفي كل مرة أوسدها عتبة دارك
التي ترقصين فيها بمفردك
ولا تسمحين حتى ولو لظلك أن يتبعك
أيتها المنكوشة الشعر كالسبايا أيتها المحظية الجريحة
وأخيراً وعندما يئستُ
رحلت أخرجُ قدمي مثل ذئب عجوز يبحث عن وليمةٍ باهظةٍ
بين صحراوات يأسٍ
بمواويلٍ
فيما راحت شفتك السفلى
تنغص عليّ كافة المرايا

ارفع عني هذه الكأس

يا أبتِ

ارفع عني هذه الكأس

أريد أن أنام

أريد أن أحلم بعصفورٍ واحدٍ على شجرةٍ وحيدة

بشمسٍ تتسع للجميع ولا أحد

بنهارٍ في فمه غيمة

وعلى كتفيه أغنية

وقوسٌ !!

من يمرّ من هنا ولا يبالي

من يدرك عمق الكلمة ولا تتسع أنهاره للضوء

من يسمع كل هذه الضوضاء

ولا يتلفت

على بواباتك اللانهائية يقف العالم مثل قوس قزح مشروخ

على رئة البحر في صندلٍ معوج

أيها النهار المنطفئ المضيء تعال إلى جانبي

ثمة صحراوات تتمدد وبغزارةٍ في داخل فمي

في أمعائي أربطة جافة ومصباتٌ أنهار بأسماء

وأنا أغوص في السراب بنعلين من شراب

وكوابيس ضارية

ارفع عني هذه الكأس أرجوك أريد أن أنام

وأنا أحلم وأسترسل

أنا حصانك الأعمى فوق رقعة الشطرنج

المجلوة هذه

لا تجعله ينتحر على قمة جبل من النمل

ومثل جرح مفتوح أسهر

وتئن !!

بقرة

وهكذا

كانوا يدعونها (هـ . ن) في ليالي الظمأ والنسيان

وأنا أدعوها في الملمات

بقرة الله!!

انتظرت ألف سنة ولم تأتِ

فقط

وفي ذات ليلةٍ مُرّةٍ أجهشتُ بالبكاء

فقررتُ أن تزورني في المنام

وتترك عليّ وسادتي الغارقة في الدموع

ضحكتها الخضراء

والتي لا تزال تعمل إلى اليوم

ودون حتى أن يمسخها بشر

أنت يا بقرة الرب الرنانة

أريد أن

أتحسسك

لا أن أتحسس عليك

في فمي ضحكة

بقمر

رائف بهجت

ربما

تكون في أحد الشوارع الجانبية الآن

وأنت تفتش في جيب بنطالك الخلفي عن قرش صاغٍ واحدٍ

لتذهب إلى بيتك الذي في شبرا في آخر النهار

أو تشرب القهوة بالحليب والنعناع

على طبقٍ من الفضة

وتتكئ برأسك الممتلئ بالكوابيس والأفق

على جناح فراشةٍ واثقة
أو ربما تكون الآن - وكما عودتنا دائماً - في إحدى مقابر الصدقة
والتي تقف خارج القاهرة كطابور طويل من جنود
المماليك البحرية وقبائل المغول
والتي نسيها الزمن كمخلفات حرب كونية
لتسهر هناك وبمفردك طوال الليل على رصيف السكك الحديدية
في انتظار أن تلحق بقطار السماء الأخير
أو لتعلق في كمّ سترتك البنية زهرة اللوتس
والتي تركها لك أمل دنقل في مدخل أتيليه القاهرة
وأنت تحمل تحت إبطيك شمعتك الوحيدة الأخيرة
والتي ستسهر عليها بمفردك وأنت تقرأ
الأعمال الكاملة لمارميه والحلاج وكذلك ابن عربي
فيما يجذبك رامبو التعس من كم جلبابك
ليأخذك إلى البحر في نزهة خلوية
لترى الشمس وهي تحتضن السماء بكلتا يديها المعروقتين
وهو يغني تحت قبة السماء الراسخة ويقول لك:
تلك هي الأبدية أيها الممتعض!!

أنا من يخدع الليل

متى نكتب عن كل تلك الصحراوات التي تترامى
بداخلنا إلى ما لا نهاية
عن العطش الذي يجرح الشرايين ويجفف الأوردة
عن الندى الذي يتحول إلى فحم وكمانات
عن اليأس الذي ينمو على الحواف دائماً كأمطار استوائية
عن الشمس التي تتفحم بازدراءٍ وتعزية
أمام صباحاتنا المغطاة بالخديعة واليأس
لا، لم يكن كل هذا الذي أريد أن أقول
فقط أريد أن أخترع وردة وتشبه الأمل

أنا من يخدع الليل
حتى عن بصيرته .

في العام 1945

هناك

وفي مخبأ تحت الأرض تماماً
وعلى بعد عدة سنتيمترات من البحر
وبضراوة لا مثيل لها يقبع ذلك الجندي المسنُّ روميلُ
بحذائه البوت
ونظارته الشمسية السوداء
وبالطو المشبع برصاصات الإنجليز والأمريكان
حيث تخيم العناكب التي تزحف ناحية البحر
لتعود وفي آخر كل ليلة وهي محملة بكل تلك الجثث
الطافية في مياه العلمين وفي جوف الأبيض المتوسط
لا

لم يكن الغبار هو سيد الموقف تماماً
ولكنها كل تلك البسالة المطفأة العينين هناك على شاطئ روميل
حيث يتجول النسيان بحرية
وهو يبذل ثيابه الوسخة بالمجنزرات
والدبابات
والكمادات الواقية من الغازات السامة
ومن خلفه يقف العام 1945
كشاهد ضريع
على قيامة الدم
والموت
ولا أثر لوجود السيد
حتى على الطرق !!

هَلِّلُويا

هَلِّلُويا

لقمرك الذي يتلامع عبر الصحراوات في الليل

هَلِّلُويا

لشفتيك المدرعتين بالحليب والسكر

لأنفك الذي يسكر بمفرده على مائدة الأرجوان

لنهديك القاريتين

لسلسلة ظهرك التي تخرع النعمة

لكلامك الذي يسهر على طاولة من ماس وحنان

لشعرك الذي يتوج الريح على سلم الأبدية

لخطواتك التي تتلاعب مع الفراشات تحت شمس الظهيرة القوية

هَلِّلُويا

ليديك اللتين تمسكان بعكاز الحكمة

وتجرح العطش

لسلامك الذي تخبئه الأنامل على شجرة الطبيعة الحية

ولا يعمل إلا من خلال جسمك المضيء

هَلِّلُويا

لأيامك التي تخرج من إطار الزمن المدجج بالساعات

إلى زمن آخر لم تعرفه الساعات

لصهريجك الذي يطفح بالعسل واللذة

وكلما يريد أن يتنفذ تجرحينه بنظراتك الحكيمة

أه يا آخر عناقيد الليل

من عنقك الذي يترجرج على اللؤلؤ

وحليب البنفسجات !!

الليلة

الليلة سأستقبل الحياة بشكل آخر يليق بالحياة

حيث تتمدد السماء إلى ما لا نهاية فوق سريري

والأرض أدرجها إلى هذه الناحية أو تلك
من الجسر
سأجلس إلى جوار صفصافة عجوز
على شاطئ ترعة قديمة
وأغني عن المطر والشمس
عن أبي الذي أخذته الجندرمة
ومات مقتولاً في السجن
عن أُمي التي لا تعرف شيئاً عن القراءة أو الكتابة
ولكنها تكلم الله جهراً وأمام التنور
ولا تفتش عن عليقة موسى
أو تعرف شيئاً عن طور سيناء
عن شعر امرأة أضمرها طيلة الليل تحت ثيابي
وأذهب بها بعيداً عن حكمة البحر
وفي آخر الليل أنزع عنها ثيابها القطنية
وأقول للسماء الراسخة
أيتها السماء
ماذا تعرفين عن الوحدة
وشرب الشاي بالنشارة فوق بوارج
الصهد!!

ها أنت ذا

ها أنت ذا تسهر لوحدك
مثل هذه الحشرة أو تلك
تطارد الأرضة التي تعلق جلابيك
وكشيء زائد عن الحاجة تماماً
تطرد الذباب عن جبل غسيلك
الذي تنشر عليه كلماتك المألحة
وأغنياتك التي عفا عليها الزمن

تلعب النرد
أنت والوحدة التي تقاسمها الوحدة
على أرضية الشوارع الرثة
وتمسك بخيط الشهوة
بين صناراتك التي تعلقها على سقالة الهواء المُلغم
لتتحول وفي نهاية الأمر
إلى طبق اصطناعي فوق ترعة جافة
لا يلعب على أرضيتها سوى السمك الميت
وملايين الضفادع البرية
فيم تقول للبوص الناشف
أين أنت يا صديقي
الغريق؟

الزمن الكفيف

في سلة جانبية وضعت الزمن مثل طائر الرّخ
وقلت للطبيعة
اجلسي أيتها الطبيعة العريانة فليس غيري وغيرك
من يجلس القرفصاء على هذا المقهى
أو في شوارع الوحدة والنسيان هذه
في سنواتنا المليئة باليأس والضعينة
سوف نرّص حجارة السماء الواطئة هذه
في علبة كبريت
أو أنبوب بلاستيكي
لنصعد عليها في أثر فراشة ضالة
تقف هناك عند بوابة السماء الراسخة
ولا تجد هناك من يطبطب على كفها
أو يعطيها تصرّيحاً للدفن
لا لنطلب وردة الله الأجيّة

وإنّما
لنطرق كل تلك الأبواب الثقيلة
للعدم الراسخ
على بوابة الزمن !!

يسوع

تذكرتك وأنا هناك على جبل الزيتون أقطف فساتل التمر
وأرعى حدائق المُرّان !!
كانت يديّ ملطختان بالغار
وشعر رأسي عليّ مثل الكرمل
قدماي غائصتان في الوحل ولا تعرفان الطريق إلى حيث يسكن النور
أما شفّتي فكانتا تقطران مُرّاً مائعاً
من ذا الذي يفتح فمه بكلمة ولا تصطاده بالشصّ
بكلمة منك تنير المسكونة وتمشي على الماء
وعلى جبينك تصطف العصافير وحجافل الأيّل الجبلي
أما الوحوش فلها مسالكها الوعرة
حيث مسارب الجنات ومراعي الأنهار
على سكك الوعرة تمشي قدمي دائماً
وهما تشخبان ندماً ودماً
في ذيل جلابيك تدور رحي الأرض حيث تعلّق الشمس
في كفك والقمر تريقه على السكك
كالمُرّان والقمح
افتح قلبي ليتملئ بالنور
ولا ترغ عينيّ عن بصيرتك حتى أتشمم أريج أنهارك
أين هي حنطتك والغلال بعيدة والسواقي التي تعمل معطله وأنا تهتّ في السكك
وما عاد في جعبي سوى المجاز والرمل
أخبئه بين عينيّ نضاختين .
إن تكن أنت النور

فما نحن سوى آنية من الفخار
تحت سماءٍ بألف يأس ؟!

سائق الأظعان

أنا أسيرُ في هذه الغرفة الجانبية
والتي لم أغادرها منذ ثلاثين سنة
أتطلع إلى النافذة فأرى القمر أرنباً
وهو يحمل في يده - هون -
ليطحن القهوة
وأرى السماء أرجوحة من الخيزران
بيدي الاثنتين هاتين رحت أكنس الغبار عن الريح
وأمسح الدموع من على جلاباب الطبيعة
التي راحت تتطلع إلى شجرة سرو ضريرة
ربما
لتنشر عليها ملابسها المبقعة بالزمن
أو لتنشر فوقها صاريات السفن العرقى
وأنا أقول لنفسي
فيم تأخذك الشفقة يا سائق الأظعان
والغي ؟!

هنيهة

مع علمي بأنه باقٍ على الفجر بعيد
إلا أنني أبتمسم
أصنع الربيع على جدران كأس فارغه
وأضيء الليل
تحت كافورة عتيقه
وأصعد معهما إلى النهار كجوال يعبر الأفاصي
آه

يا شمسي البعيدة
مرآتك حبر أسود
وتنورتك تغسل أحزاني
في فمي نهار يطلع
وأغنية لطائر يصعد البرج !!

اسمعيني أيتها السماء وإلا

هناك

في السماء التي تنحدر كانت الموسيقى تتطلع مثل غابة من المرايا
وهنا على الأرض تبكي الأشجار
مثل فقمة
ألف طائر يقع في الفخ
وألف غصن يسقط على الأرض
لماذا نفتش عن الضوء بأصابعنا التي تعبت من الجنون واليأس
في سنواتنا المعبأة بالخوف
يهتف الأرق
على طرف منجل
اسمعيني أيتها السماء
وإلا قذفتك
بالصندل
أنا طائرٌ أخرج
أبحث عن الضوء
في الضوء !!

حجر الشمس

هكذا

وجدتني فجأة
أتأمل الحياة من شرفة الموت

كانت العصافير تهبط بالمظلات
والشمس تمسك حجراً
وتحك به جلد الماء
لم يكن هناك غير طائر الوحدة
الذي يلعب الاستغماية
على ساحل البحر
غير أن الموت الرنان ذا الكاحل الأسود
والكوفية المعبأة بالأحقاد
كان يطل من النافذة
وهو يصوب بندقيته الآلية
باتجاه الفراشات
والفجر !!

لا تأبه

لم أنا محزون دائماً هكذا
ألأنني أكتب الأشعار ؟!
تلك الأشعار التي لن يقرأها أحد سواي
لم أشغل نفسي بالأشعار إلى هذا الحد
لم يكن فيرجيل يعبأ بقصائده التي يتركها وراءه على المائدة مثل بقرة
ولا يعرف إن كانت ستذهب إلى المراعي
أو تسقط في البئر
فقط
هو يكتب الأشعار لأنه يكتب الأشعار
أما عن الزمن فكان يعلقه في ذيل جلابيبه كالفنتاس من الماء
أو يلفه حول رقبته
ويمضي به عابراً كل شيء
الحقول والأنهار
لا لشيء

إلا لأنه كان مكلفاً من قبل الآلهة أن يكتب الأشعار
تلك الأشعار التي لن يقرأها أحد سواه !!

دوخة

كم مرةً قطعت هذا الطريق الدائري يا ترى
من واحة سيوة إلى مرسى مطروح وبالعكس
فقط

لأكسر حاجز العزلة
فقط لأقول لنفسي إنني موجود وكفى
فقط لأتخلص من الكوابيس والوحدة
فقط لأبحث عن قصيدة جديدة كتلك التي كتبها سوفوكليس
أو حتى رامبو

فقط لأبحث عن تلك المرأة التي ضاعت مني
في سنوات الحروب والردة
أحياناً

أطلع من النافذة إلى تلك الشمس النافذة
وعبر كل هاتيك الصحراوات
وأسأل

ماذا تفعل كل هذه الصحراوات التي تتسلل إليّ
وعبر الزجاج من النافذة

لابدّ أنها تشعر مثلي بالضجر والوحدة
حيث هذا الوضع اللاإنساني البائس
أو تمثل دور البطل المأساوي
في مسرحية الوجود والعدم هذه !!

فطناس

فطناس تدلدل رجليها في الماء
وتستغرب الطبيعة

وتنام بكامل لياقتها على الأرض
في فطناس
تحاول الشمس أن تدرك القمر
ولكنها
تجد نفسها دائماً كطائر بزنبك بين جلاباب الطبيعة الشاقة
وفتنة الذات بالذات
وفي آخر الليل
تمسك بكعكتها الحجرية وتلملم شوارعها الضيقة
وجنياتها
لتذهب إلى جبل الموتى
في زيارة خاطفة قد لا تستغرق سوى دقيقة واحدة
ثم تعود وفي فمها نصف ليلٍ دافئ
وحجر صوان
على الأقل .

تأفف

لا بدّ أن هذا الشارع
قد مر به أحد سواي في نفس اللحظة ودون أن يلتفت إلى وجودي المحدّد
لا بدّ أن هذه الذبابة قد انطفأت فوق مرايا أخرى عديدة
وعلى فنجانٍ آخر غير فنجاني
الذي يعبث بالظل والشمس
لا بدّ أن هذه الغيمة التي تتأبط بنظاًلاً آخر لرجل سواي
قد شاهدت الكثير والكثير وطيلة حيواتها الإسفنجية
من قبل أن تأتي إلى هذه الناحية من الجسر
وتفتح فمها ولو بكلمة
لا بدّ أن أشياء كثيرة قد حدثت وتحدث في العالم في هذه اللحظة
وفي نفس الوقت الذي أجلس فيه أنا إلى هذه الطاولة
وتحت كل هذه الشمس

- 1- كأن ينزل أحدهم إلى النهر مرتين في نفس الوقت
ودون أن يعبأ حتى بهيراقليطس ذاته
- 2- كأن يفتش أحد ما في جيب بنطاله الخلفي عن قاراته الغارقة
أو بقايا حرب كونية سالفه
ولا يزال يحمل مدفعها الرشاش فوق صدره
- 3- كأن يفكر أحد ما في هذه الفكرة أو تلك
بطريقتين مختلفتين وهو جالس على مقعد مجاور
ودن حتى أن يحرك أصابعه
أو يرف له جفن عندئذٍ
كان عليّ أن أقول لنفسي وأنا أقرب حركة الشارع العضوية
أو اللاعضوية
ماذا لو وضعت كل هذه السماء في منديل ورقي
وقلت:
انطلقني
انطلقني
يا سحابة باتجاه الموسيقى!!!

أسطورة بائدة

لم تكن السماء تعرف في ذلك اليوم
أن بنات يعقوب الأسطوريات سوف يغتسلن في النهر
ولم تكن ثامار - جميلة الجميلات تلك - وهي المدججة بالخفة والطيش
والتي تمشي على الطرقات
باليشمك
والبراقع
تعرف كذلك أن يهوذا ذلك اللعوب الأخرق والذي أكله النمش من فرط ما جدّف
على الله في السكك
سوف يترك على الطريق شهوته الخانقة والتي كان يخبئها
تحت سترته كالبذرة

وأنه سوف يمرّ هو الآخر وعلى نفس الطريق أيضاً
وفي يده ماندولينه ومعزاهُ
وأنها - أي ثامار - عَجَلَةُ الرب المقدسة هذه
سوف ترقد تحت خيمة جسمه الواسعة مثل بطة بريّة من أول الليل إلى آخره
وهي تتأود وتتأوه من فرط اللذة والألم
وعلى مرأى ومسمع من الفجر العازبِ
وكافة النجوم السيارة
والذئاب البرية المتوحشة
فلا يترك بين فخذيها إلا بذرتة الحارقة الجافة
فيما هي مندأة بالشهوة الكاملة والحنين المدّوخِ
فوق برية فلسطين الحارقة الجافة كذلك
كل ذلك بينما كان ملاك الربّ الحارس واقفاً يتسمّع
وهو يضحك بملء شذقيه ويقول لهما:
تناكحا
تناسلا
أيتها الخراف البردانة!!

غفران

سامحيني أيتها الأرض
يا أختُ السماء
نحن الذين تلطخت أرواحنا بالسوادِ
وتشققنا أيدينا من ضراوة اليأس الممضِ
على شجرتك العالية المزدهرة هذه
سوف يتوقف عصفور أبكم ليكلم الربيع
عن النهر الذي كان هنا أو هناك
عن السماء التي تناثرت مثل كتل من الطين اللازب
أو اللحم الإنساني المفروم
فوق أحداقنا المسلوخة

وكشطت كل تلك النجوم من على ساحلِ البحر
بيد الليل الباسلة
آه من
أجفاننا الميتة التي ما عادت تبصرُ
سوى كل تلك الساعات الهرمة
والنوارج العنكبوتية التي راحت تطحن الريح
بيد حمراء!!

تري

تري
عندما سأموت
من سيقراً كل هذه الأشعار
الكلاب
القطط
الشوارع
نوارج الليل
أشباح المقابر
أم ذلك المسنّ الضرير
الذي يمشي على الرصيف المقابل
وهو يفتش عن غيمةٍ عالقة
في طرف حذائه؟!

أنا وهو

عندما توغل يد الزمن البردانة في اجتثاث كل تلك الأشجار
عن موائدنا التي أخذت تذوي وتجف
وتبدأ كل تلك المناجل القوية
في اجتثاث البذرة النحيلة
التي تنمو وبغزارة تحت مزولة الشمس

تأخذ روحك التي لها شكل المزامير والدف
في الانتشار حول روعي المجدبة القفرة
وتعمل كل ما بوسعها في إزاحة كل تلك الأغصية السمكية
حول بؤبؤي العينين
لتعيد لنا - على الأقل - التأكيد الفعال للوجود الإنساني المضمحل
عبر الصحراوات الشائكة والمضللة
وأن ما قطعناه من مسافة غير كافية
لم يكن إلا استراحة قصيرة لمحارب صغير
وفي نوبة جنون عاتية قرر أن يخوض كل تلك المعارك الضارية
وأن الزمن ذلك الوحش الضريع بعرباته الإسفنجية
وعرائسه الماريونيتية سوف يتوقف ولمرة أخيرة
أمام سواحلك الأبدية لجسمك الذي لا يقال ولا يكتب لا شيء
إلا ليغني أغنيته الأخيرة
عن الربيع
الذي أخذ يزهر تحت نعليك
الكوكيتين
برهة
بعد برهة.

سأترك لقلبي العنان

سأترك لقلبي العنان
في أن يكتب أي شيء وكل شيء
أنا المتوحد على رصيف الإنسانية الخالي من المارة تماماً
البازل كل أسس البلاغة العصرية
واللاعصرية
على رصيف الشوارع الممتبهة للذة في لحظة اللذة
والخالي من اللذة في كل لحظة من لحظات حياتي التعسة
أنا الواقع

في غرام الشمس والقمر
وهما يدوران متعاركين
وغير متعاركين
من الأبد إلى الأزل ومن الأزل إلى الأبد
أنا الذي أغرقت كل سنواتي الغاصة بالشهوة
على مقصلة قديمة
في حجرة جانبية
فوق بناية مهجورة
وقلت لملائكة الأمس المنسيين
استيقظوا أيها الرفاق
قد حان وقت السفر
أنا الذي خبأت كافة الشوارع في جيبي وقلت
أمشي في كل تلك الشوارع وقت الحاجة
وبعيداً عن النسيان الخالص
وأجولة الشيطان المحبوبة
ولكن الشوارع اختفت
وغابت الأزقة فوق عربات الإسعاف
أنا الذي دخلت إلى كافة المدن
وأقمت فيها صلواتي
ومُحَرَّقَاتِي
ودون أن أنتظر شفقة من أحدٍ
أو مكافأة من أجيرٍ
ولم يقل لي أحد صباح الخير أيها القديس الأكبر
أو الخاطئ الأجير
كل حصاة أسير فوقها كنت أقول لها:
سامحيني يا أخت لقد أخطأت في حقك
أنا لست شريراً إلى هذا الحد
فتشت عن الإنسانية في البنايات المجاورة لروحي تماماً
وفي فقه أبناء الشوارع

وفي كتب الفلاسفة العظام
وعجائب الآثار
وخرائط الجغرافيا
فما وجدت سوى كيس فارغ
وعلبة سردين مرمية تحت أرجل الكلاب السعراة
لم كل هذا الشعور بالخطأ
فيم كل تلك الشساعة المترامية الأطراف لروحي الجريحة
روحي المضللة على أرضية الشوارع
وفي المشابك المعلقة في حبل الغسيل
لم كانت كل هذه السنوات التي بذرتها على السكك
كأعواد
ملح
لحقل يمتلئ بالديدان والصراصير
فيم أتتبع خطى القمر الأحمر
الذي يتمرد على البحر
كامرأة فاسقة.

السؤال الصعب

هل

تتوقف على حدود الكلمة فقط
وأنت تمسك بعصا الراعي لتهش بها الخراف الضالة
على معبر الساعات الهرمة للزمن
ولا تفكر كثيراً فيما كان أو ما سيكون
فكل شيء يجري إلى النهاية المحتومة
لمجرى الوجود الإنساني الحقيقي منه
والزائف في نفس الوقت
ولا تعباً كذلك إلا بتلك الشمس التي تحرسها بعناية بين جنبيك
وفي حرك تفتش عن كل تلك البقع الرملية

للسماء الواطئة التي أخذت تتكلم
تحت نعليك
هل تفكر ثمة في القيلولة التي تستريح
على ظهيرات السمك الميت
فيما تدلّ دل رجلك في بحيرة النسيان
والخطأ هذه ؟!

سمونها الحياة

يسمونها الحياة
وأنا أسميها الكلبة
الفاطنة الشريرة
يسمونها الشّرْك
وأنا أسميها اللبؤة
تلك التي تلتهم أبناءها صغاراً
وبعد أن تدخلهم في حضاناتها الورقية
لبضع دقائق
أو عدة ساعاتٍ
وتقول لهم كم لبثتم !!
ولا تطبطب على كفّهم ولو لمرةٍ واحدةٍ
أو تأخذهم في حضنها في ساعات الندم والحسرة
أو لحظة الخروج من المدرسة
وإنما تهوى على رؤوسهم بأذرعها القوية
والتي تمتلئ بالبلط والسكاكين
أنهم يسمونها الحياة
وأنا أسميها الأم الجافية
التي تدخل من باب
لتخرج من بابٍ آخر.

هجران

أُتطلع إلى النافذة
والتي تتطلع إلى نفس الشجرة
وإلى نفس البيت
غير أن الشجرة
تستظل بالشتاء في الصيف
وتستظل بالصيف في الشتاء
وهي تمتلئ بالعصافير
والفراشات
أما البيت
فله روحه التي يأوي إليها
وهو يسكن في طابقٍ من هذه البناية
التي هجرها السكان
وقبل أن يشعلوا الحرائق
في آخرة الليل !!

أغنية حب قديمة

ساعداها في يدي
على صدرها وضعتُ علامةً على المحبة
بينما يخفق قلبي بداخلي مثل بالونةٍ تندلق أو سارية ترفرفُ
أنا مفتون بعينها اللازورديتين
بساقها اللتين تهتران على الأرض
وعمودياً باتجاه السماء
برنة شفيتها الخلخاليتين
وهما تداعبان الهواء بخنوع
بأنفها الشهواني الذي يُسحرُ اللذة !!
بصدرها الذي يترجرج على ساحل المرمرِ
ويشرد في الطرق

بخذها الذي يأسرُ خديعة الشمس
بعنقها الذي يتفوق على الماس
وحدائق اللؤلؤ
من هذه التي تزدهي حتى على سجادة الصلاة
بينما أنحصر في الشوك
وضّحي ردفيك قليلاً
وقبل أن ينجرح فمي!!

سمّ الوردّة

سمّ الوردّة

سمّها

الشمس اسم لشجرةٍ وتسكن في الظلّ
الغرفة بلا جدران أربع أو حتى نوافذ وأفاريز
يستريح الليل على كفّل امرأةٍ
ويقطف بيديه العسليتين ماء الينبوع
من أعلى الساق حتى وبر السرة
من حديقة البطن وحتى خليج النهدين
أي خراف إلهية ترعى هناك في المقدمة
وفي مراعي العشب الأخضر عند الخاصرة
خزان إلهي يكمن في الردفين
البحر على اسم امرأةٍ وتسكن في الأعماق
يكتب بيديه الاثنتين على حرير الصدر
آه

البحر

البحر

ذلك الذي لا يُمسّ

لا تقلقوا المحار

في الصدف

أيها العميان
يا خراف الربّ المحظورة !!

كبش

حينما أنكروك
صاح الديك ثلاث مرات
ورحت تتجول عبر السماء الواسعة على مسمار خشبيّ
وخلفك ملائكة الساروفيم
فيما أنت تفتش وللمرة الأولى عن الأب الإله
الذي ينتظرك وبعد طول الرحلة هناك
خلف كوكب الزهرة
أو على عتبة المشتري
ربما ليشتري لك تلك الجنة الموعودة التي كان قد باعها للشيطان
قبل ذلك بثلاثة قرونٍ
فيما هو ينافسك عليك
وأنت تتعارك معه
على سورٍ قديم
لقاء ثلاثين فضة
وكبش
أملح !!

غزارة النسيان

في السنوات التي تمضي
في كل تلك السنوات التي تحاصرنا
منذ لحظة البدء وحتى النهاية
وتتشبث ببقايا أثوابنا الرثة
ولغاتنا المهلهلة
علينا أن نخترع شيئاً آخر

لنفرغ كل هاتيك السنوات
من الأمل واليأس
يا ليديك الضارعتين أيتها السنوات التي تمضي
ولكن بلا هدفٍ أكيد
حتى من غزارة النسيان
هذه.

في عيد ميلادي الستين

ستون عاماً
وأنت تحرث السكك والشوارع
بحثاً عن أي شيء
وكل شيء
بدءاً من اللذة المرعبة وانتهاءً برغيف الخبز
المرّ
ستون عاماً
وأنت تطارد العتمة والظلّ
على قارعة اللاشيء
وفي داخل قواقع العدم الهرمة
وها أنت ذا تقف أخيراً
أمام مقبرة فارغة
لا يحيط بها سوى الصبار
وزهور الزمن السوداء
لتمسك بعصفورة الفراغ
وهي تتنقل على ساحل
الغرق!!

فكرّ جدياً

فكرّ

فكر جدياً في أن تلغي الحياة من رأسك
أن تضع الشمس في صندوق نفايات وتلقي بها إلى البحر
أن تتوقف أمام مقبرة القرية
لتراقب عظام أمك أو
أخيك أو أبيك
أن تفحص الأفكار إلى كلمات والكلمات إلى حروف
والحروف إلى نقط والنقط إلى اللاشيء
أن تخترع نظاماً آخر يليق بالعالم
لا يسوده سوى العدل والحرية
فكر جدياً
في أن تلقي بكل تلك الأفكار السوداء من رأسك
وتعود إلى رحم أمك حيث يعم السلام
وتنعم بالسكينة الخالصة
أن تسند جسدك إلى النور والظل
أبداً لن تجد أحداً يهتم بك أو يفهمك
سوى تلك الشمس التي تطل من رأسك
وتغطس هناك
في المجرة!!

أحياناً أسأل

أحياناً
أسأل ما هو الألم
أو ما هي تلك الروح التي تنتطط أسفل النوافذ وعلى الأرصفة
إن لم يكن هذا الذي أنا فيه
كراسة نعسانة على طرف طاولة محذوفة
محبرة على جناح ذبابة
محراث في المخيلة
أنبوبة غاز في إسطلب الميتافيزيقا

أسى في الأصابع
ورم سرطاني في منح الكواكب التي تندلق تحت أحذية
النوستالوجيا
لا تخبروا الطريق أبداً عن هذه المتاهة
الطرق متقاطعة والنوافذ كثيرة!!
وطابور السيارات المطاطية لا يتوقف أبداً عن العمل في الرأس
مثل ميكانيكي لا يكف عن الدوران في اليأس
أمام مقبرة مطعونة
والحياة نفسها هي الحياة
ما الذي يأتي من النافذة
ما كل تلك الصراخير التي تأتي من اللوحة
من هو ذلك الذي يموت في السجن وهو واقف على طرف خيط مقطوع
ومن ذلك الذي يدق علامة الصليب على الأورطي
ويجلس مقرصاً على رجاء القيامة؟!

صدقوني

أنا لم أعد أصدق أبداً أن الفجر هو نفس الفجر
أن هذه الأشجار التي سقطت من المخيلة ذات مرة قد عادت لتطالب بحقها في الحرية
والعمل
دعوني أدلق جردل نفايات على كل هذه الأفكار الوسخة
التي لم تقدم شيئاً للإنسانية غير هذا الليل الطويل
من الألم
والدم
على موائد الرب المتعاكسة من غير أن أتطلع
إلى حرف نافذة منكوحة
هل هو خطأ في التاريخ
أم خطأ في الجغرافيا أم خطأ في الأضاليا
دعوني أواصل النسيان على حصيرة البطاطس

واللفت هذه

فلم تعد في الروح قدرة على الصمود
فيم ينبغي علينا أن نحاول اكتشاف السماء مرة أخرى
وأن نعيد تفكيك الأرض
الأرض التي لم تكن لنا أبداً في يوم
ولكنها لكل تلك الموتوسيكلات التي تثقب
جلد الهواء رغم أنف الجاذبية
وإشارات المرور
السوداء!!

أنا تعبان من كل هذه الحياة
الحياة التي تولد في الرأس وتنتهي عند فتحة الشرج
الحياة التي أربطها في طرف حذائي
وهي مبللة بالخديعة واليأس
وأدور بها على المقاهي والأرصفت
لكي أقول للناس
إنني شاعر
شاعر وكفى

ما جدوى أن تكون شاعراً أو غير شاعر
ما الذي سيضيفه هذا إلى فكرة العدم الجهنمية هذه
أو بنطال اللامعنى الموتور
ما معنى كل هذا في نهاية الدورة الإسطقسية للوجود
سوى شخاخ نملة مقلوبة على سطح منزلٍ مجاورٍ
وهي تتطلع إلى الشمس
التي لا تعرف إن كانت سترها غداً أو بعد غدٍ
أحياناً

ما أفكر في هذه الشجرة أو تلك التي تتناول عبر نافذتي
ماذا تعرف هذه الشجرة أو تلك عن ذلك السقراط
الذي مات مسموماً في السجن

أو عن أفلاطون صاحب المحاورات العتيدة عن الجمهورية أو فيدون

هل ماتت هذه الشجرة أمام كنيسة الرب المعلقة ذات مرة
وأصابها العطب أو الخوف من الجنة أو الجحيم
ولماذا هي موجودة هنا ولم تكن موجودة هناك
أليست الصدفة المدوخة التي تدهس فاراً بعينه
- تحت سماءٍ بعينها -

ها هي نفس الصدفة التي أوجدت هذه الشجرة
أو تلك الحشرة أمام منزلي ذات ليلة
ويقولون طاعة
دعوني فعلاً

أدلق جردلاً من النفايات على كل هذه الأفكار
التي تعششُ في المخيلة وتعيق عمل الرأس
بدءاً من $2 = 1 + 1$

وانتهاءً بفكرة الجوهر والعرض التاريخيتين
بدءاً من أن الموجود الحقيقي هو الغير موجود
والغير موجود هو الوجود الحقيقي
أن الآب هو الابن
والابن هو الآب
وأن الكل في الواحد
والواحد في الكل
صدقوني

أنا لم أعد أصدق أن الفجر هو الفجر
أن هذه الأشجار سقطت من المخيلة إلى الأرض
أن الشمس تنبع من هذه الفكرة أو تلك
وأن هذه الفكرة

ما هي إلا هذه الشمس
دائماً ما يؤدي النور إلى الظلمة
ودائماً ما تقود الظلمة إلى النور
الكلمة ظل الكائن

حيث تطلع الشمس يغرد الطائر

ويقف على الغصن
لا على صوت الماء يتوقف
ولا إلى لغة الأشجار ينصتُ
لا علامة على الظل الهاتف
في فجوة الفجر تبهر الشمس إلى الكلمة
في السماء حيث تختلط السكك
وتقع بقع الحبر على الفستان
تأتي الأرض باكيةً إلى الحافة
ويتوسل النور إلى الذات الواصفة
والموصوفة
وفي نفس اللحظة
لا مجال للنفي إذن
حيث الشجر والقطط
الخفافيش
والبق
الصيصان
والدود
الجراد
والنمل
جميعها جميعها
تأكل في قصعةٍ واحدةٍ
على مائدةٍ
من طين الرب
المخمَّر !!

صورة

في الأتوبيس المكيف الهواء
وعندما مرّت صورتها أمام عيني

ابتسم قلبي من جديد لذلك الفستان الأحمر
والذي كانت ترتديه كل يوم
وطيلة سنواتها العشر الأخيرة
لم تكن تكلم أحداً
أو تنظر إلى أحدٍ
فقط

ترك لخطواتها التي تسير على التراب
أن تمرّ كسحابة ماطرة
وفي الليل
تأوي إلى قفصها الصدري
ومعها كل تلك الكلمات والقطط
التي كانت تلون بها العالم
أذكر

كان وجهها يشبه الربيع دائماً
وكانت عيناها مثل تفاحتين
بريتين

وكان صدرها مثل حانةٍ من العنب
وتحلم بيد العاصِرِ
آه

يا لتلك الشمس التي كانت تختبئ
تحت فستانها الأحمر وهي تمشي على الماء
بقدمين
من شهوةٍ !!

فرناندو بيسوا

سوف يتوقف هذا الطائر الجبلي
على بعد سنتيمتر واحدٍ من الأرض
ربما

ليرقب الشمس وهي تتقشر على الرمل
أو ليراقب الزمن
وهو يعمل مثل بائع خردة أو نافخ البوق
فوق صارية من خشب
منقوع
على ظهر سفينة غارقة
لا

لكي تهدأ كل آلات الجرّ والنفي هذه
وإنما ليغرس أنيابه الفراسة
وأظافره
في لحم العالم
الحي !!

صانع التماثيل والفحم

في الليل
اضطجع على فراشي ولا أطلب من تحبه نفسي
كلما أسير في طريق ينبجس طريق آخر أكثر ضراوة
كلما أتحمس جسد الوردة
أجد جرحها غائراً وبألف فم
كلما أتطلع إلى القمر أرى السماء حجباً
والفجر كتلة من الرصاص المقشعر فأقول لنفسي
لم كانت كل هذه الملهاة الإنسانية بالأساس
ومن المستفيد في نهاية الأمر من كل أولئك العميان
الذين يجلسون إلى نفس الطاولة ؟!
فأشبك ذراعيّ خلف ظهري
وأقول لنفسي: تف على العالم
ولكن العالم يتبعني حتى ولو كنت في زجاجة كأنها كوكب دوري
زوجتي تقول لي:

انظر إلى الشمس أليست جميلة بما يكفي يا حبيبي
فأقول لها الشمس صورة من الجحيم حقًا
تقول لي : عش مثل وردة ولا تفكر في الزمن
فأقول لها : ولكن الوردة لا تخضع لضرورات الغياب
أو التماثل
كنت أتمنى أن أكون ورقة تحت حدوة حصان
ماذا قبل العالم؟
ماذا بعد العالم؟
قل لي أنت يا صانع التماثيل
والفحم .

الحياة في مكان آخر

في الحياة السيئة السمعة
عرفت الكثير والكثير
الحياة في الكتب
والحياة في الأدراج
الحياة في المكاتب العمومية
والحياة على الأرصفة
الحياة في علبة كبريت
والحياة في الفنادق العائمة
الحياة كصرصار وأعمى
والحياة كملك متوج
الحياة كقديس وصاحب رؤية
والحياة كسكير وصاحب حكايات أو حانات لا فرق
الحياة كسائق لعربة روبايكيا
والحياة داخل صندل بلاستيك
الحياة كجندي يخلص للوطن
والحياة كمتسول ولص

الحياة مثل بائع خردّه
والحياة كشاعر عظيم
الحياة فوق شاطئ بحيرة طبرية
والحياة في ذرية
الحياة كموظفٍ يرفع علم الدولة الرسمي
ويعمل في الأرشيف لمدة عشرين ساعة في اليوم
والحياة كعاطل عن العمل
وفي نهاية الأمر اكتشفت أن الحياة
ربما تكمن في مكانٍ آخر
غير هذه الحياة.

هدوء العتمة

نعم
نعم
سوف نتذكر الليلة قمرنا الأخير
ونتسكع في الشوارع البردانة والتي تنام بعيداً
عن اليقظة
ليس لنا أن نحب الغيوم التي دلّلتنا
والتي تتخبأ تحت أسرتنا
العريانة
وكلماتنا المدججة بالوساوس
ولا أن
نتوقف عن السمع
والطاعة
مثل طائرٍ أعمى
في هدوء
العتمة!!

من أجل سالومي الجميلة

آه

قريباً

وقريباً جداً

سوف ننتهي من عمل كل هذا الليل

وسوف ينتهي عمل كل هذا النهار كذلك على مغزلٍ أجيّر

ربما

لنتمكن من إصلاح إحدى قصائدنا المعطوبة والملفوفة في ورقة باذنجانٍ

في قلب مدينة أريحا وفوق برية فلسطين القاحلة

على عربة نقالةٍ تجرها وراءك مثل برتقالةٍ مشوية

في انتظار أن يصلحوا لها نظارتها السوداءوين

لكي تعيد اكتشاف الشمس بين فخذي امرأةٍ محبوكةٍ

ووراء نخلةٍ ضاريةٍ تحت سفح جبل

هناك على نهر الأردن

حيث اغتسل يوحنا المعمدان ذات يوم من أجل سالومي الجميلة

عندئذٍ ستجد هناك ما يقول لك

إن هذا النهر يشبه جوف البحر تماماً

وفي الصباح سوف تعرف كيف تغسل صينيتك الملائنة

بالجثث والجماجم

بالماء القُراح

والصراصير

فإذا ما جن الليل

سوف ترى القمر وهو يرقص برداناً وعارياً

على شواطئه الملتاثنة بالعبير والبنفسج

وهو يؤرجح ذكرياته المألحة

أو يغني لنفسه أغنياته

التي نسيها فوق بحيرة طبرية!!

القصيدة السوداء

[1]

أية أرض

تلك التي نسير عليها وتمتلئ بالدمامل
أية أغنيات تلك التي تخرج من بين شفاهنا صدئة
وميتة

وملوثة بالخراب والفحم
أية أرغفة هذه التي نجزها بالشراشر
ونقطّعها بالسكاكين
والبلط

من على الأرصفة والحجارة
ونتقاتل عليها مع النمل
والذباب ؟!

[2]

أصابعنا تحترق من الخوف
أرجلنا لا تدوس إلا على اليأس
على عتبات بيوتنا أورك السواد
ونور الألم
حقولنا جفت من الذرة والأمل
في النهر الذي نشرب منه
تسرح الققط الميتة
وتمرح الضفادع
بدلاً من السمك والشمس
في البئر الذي تحرسه النجوم دائماً
لا ينزف إلا الدم الحار على طبق من النوستالوجيا
وبلا انقطاع أيضاً تتجول الصراصير بحرية
وفي الليل
تقبل الهموم التي تطأطيء الرأس

وتكسر الضلوع

بشغفٍ

[3]

لا أمل في الحرية الكاذبة
ولا أمل حتى في الخلاص بالموت
علينا أن نتحمل ونتحمل ما حدث ويحدث
وسوف

ي

ح

د

ث !!

[4]

آه

الرجال الذين كانوا يخلصوننا من الطواغيت
ويخلصون النية لأوطانهم
قد أصبحوا الآن بعيداً بعيداً
المنازل التي كنا نحتمي بها من الرعب والخوف
صارت زنازين
وأضرحة

الرجال الذين كانوا يخلصوننا من الموت
قد أصبحوا الآن بعيداً بعيداً
البعض قد راح يتسول أمام المنازل الغربية
الآخرون

يتجولون في مقابر جماعية
أو شبه جماعية

[5]

غداً

أو بعد غدٍ

سوف يأتي اليوم الذي لن يجرؤ فيه أحد على السير

في مثل هذه الشوارع
وتحت أسقف كل هذه العمارات
سوف تغني الخفافيش بالليل
والنهار
أغنياتها الرائعة
عن الحب والسلام
وعلى الأرصفة الميالة
سوف توزع منشوراتها الجمّة
عن الحرية والعدالة
[6]

صارت الجثث تملأ الشوارع
والجثث تملأ الهواء
الجثث في محلات الأغذية
الجثث فوق الأطباق
والجثث تحت طاولات المقاهي
صار الهواء جريحاً
ولا يجد من يُغسل له رأسه
أو حتى ينظف له أسنانه
وأصابعه
صارت المراكب تهرب من البحر
والبحر يهرب من الشواطئ
مع صديقه المحار
وأخذ القمر يتقيأ بعينين سوداوين
والشمس
تفلى رأسها بين المقابر
وهي تمشي على عكازين
وفي فمها خوخة مدودة
وقمر ضرير
على سرير اللوكيميا

[7]

نحن الجماجم المخوخة التي تمشي على الأرض
لا نستقبل النهار إلا عبر مكبرات الصوت
وصفارات الإنذار
بقلوب من فحم
وكربونات
ورؤوس حيوانات منقرضة
وسلاحف الأركيولوجيا
نحن فئران التجارب الميتة الحية
والحية الميتة
والذين تحولنا وداخل هذا الوطن
إلى أنابيب بلاستيك
ومربعات سيراميك
وبأس
نحن حراس الظلال الكونية
والمقابر الجماعية
الموطونين بالأحذية والقباقيب دائماً
سوف تنهشنا الدببة الجائعة
والسحالي الصخابة
التي تخرج من الجحور في وضح النهار
وتتنطط على علب الصفيح
وأكوام الحجارة
بلا دمة أجيرة من أحد
أو حتى كلمة رثاء خالدة .

[8]

أيتها السماء
انتظريني هناك وعلى الرصيف المقابل
حتى ينتهي الموت الرنان من أغنياته ومواويله
التي يتركها على الجسر

وينظف أدواته التي يستعملها هنا
أو هناك
وبضراوةٍ على الأرض
وتحت أعين الكروموزومات الضالة
والخلايا الجذعية
ودون أن يملّ
أو يصيبه العمى .

[9]

أيتها الشمس المركبة
يا صديقتي الوفية
تمهلي قليلاً قليلاً ريثما نرفع عيوننا إلى السماء
الميتة
وشلالات الضوء النياجرانية
لتأمل الفجر العابر
بعيوننا التي أنكهتها الكوايس
وصرخات الموتى
بعيداً
بعيداً
عن كل تلك المقابر التي تملأ الهواء
وتسدُّ عين الشمس .

[10]

الكلاب تنبح في السكك
والشوارع
والكلاب تنهش عظم الوطن الملكوم
على خريطةٍ
متفسخةٍ
تحت أرجل المارة
وبائعي اللفت والسجائر
الملفوفة

الكلاب تأكل خبزنا المحروق
وحتى ملحنا المشمّع !!

[11]

الذرة

حتى الذرة !!

لم تعد تشبع الناس في الشوارع أو تجد الحقول
القمح أصبح جاهزاً للتصدير على شاحنات الـ CIA

وعربات دفن الموتى

صار الهواء إسفنجياً

واستنشاق طعم الوطن حامضاً

ويقف في الحلق كالدبابيس

والإبر

[12]

غداً

أو بعد غدٍ

سوف يأتي الطاعون بعد الأوبئة

وسوف تهب رياح الأوبئة

بعد الطاعون

سوف يقع الزلزال في يوم ما

ليقضى على الناس في الشوارع

كالكلاب

والقطط

وسوف تقفون صفوفاً

صفوفاً

في انتظار حكم الإعدام

أو الخلاص

حتى ولو بالمناجل !!

[13]

الرعد

هو صوت السماء الحق
صوت السماء الحق يقول لكم
أنتم أشرار
وقتله
فاسدون
ومراؤون
أنتم شركاء في الشر أيها الآمنون في منازلكم
وداخل أبراجكم العاجية
وفوق طوافاتكم
سوف يلاحقكم القتل
والدم
وتطار دكم الكوابيس واللعنة
حتى في داخل مراحض طائراتكم التي تقف على الحدود دائماً
- على أهبة الاستعداد -
في انتظار لحظة الهروب
من الجحيم
والموت.

[14]

أنا
لا أبشّر بالموت
ولكني أرى السماء وهي تنفتح بأبواب كالمهل
يشوي الوجوه
افعل شيئاً يا الله
من أجل هؤلاء وهؤلاء
فلم يعد بعد ثمة غد أو بعد غد !!

[15]

المتسولة تمد يدها إلى الهواء ولا تجد سوى الدبابيس
والإبر
الأعمى تقوده روحه المرححة إلى جبل المشنقة

أو حديقة الموتى المسننة بمقصاتها الأربعة
وأنبوباتها الماصة
الأبكم يقول :
أين هي الحرية بنت العاهرة الكلبة هذه
لأفرض بكارتها بمفردي
وأنام في سريرها لوحدي
الحرية !!
هذه العاهرة اللبوة
والقاتلة المقتولة.

[16]

الأبرص يقول:
ماذا أخذ كل هؤلاء الشهداء من أجل الوطن
سوى موتهم المجاني على الحدود
وداخل شبكات المجاري
كل ذلك من أجل حراسة تجار المخدرات
ومهربى السلاح
والمومسات ؟!
كل ذلك من أجل بائعي الوطن فوق عربة روبايكيا
وداخل صالات القمار
والكازينوهات ؟!

[17]

الأصم يسأل
عن النعمة الصحيحة في سيمفونية الخنازير هذه
الجندي يسأل
لماذا يبيع رجل الدولة الباذنجان واللفت
ويشتغل بتهريب الرقيق الأبيض
والعملات الأجنبية عبر أنابيب الغاز
والناقلات العملاقة
وسماسرة البورصة؟

[18]

القاضي

يزيف الحكمُ لصالح مجموعة من الفئران الضالة
والشركات المعوية
وبنوك اليانصيب والحظّ
وتجار الدم الفاسد
والصحف الصفراء المملوكة لتجار الأفيون والبانجو
رجل القانون يسنّ القوانين في المطبخ الرسمي للدولة
ويعلقها في حبل غسيل لتجف
فوق أعمدة الإنارة
وعلى ظهر الميكروباصات «المخلّعة»
كعلامة أكيدة على ظهور منع الحمل
وعند انتهاء الدورة الدموية
أو التشريعية
- لا فرق -

يضعها علفاً للماشية
وخبزاً للبراغيث والقمل !!

[19]

الطفل يذهب إلى المدرسة لا ليتعلم
وإنما ليسرق الخبز
فيما يشاركه الذباب والناموس في النعاس
على بوابات دورات المياه العمومية
ودراسة فقه الشوارع
وحساب المثلثات والمربعات في بالوعات المجاري
وداخل المزابل الكونية
ومقابر الصدقة.

[20]

حلاق الصحة يعمل مشرّع قوانين ليلاً
وأستاذاً للفقهاء الدستوري نهاراً

وكذلك مدرساً
للأدب ما بعد الكولونيالي
والبول المقارن
لقاء علبتين من السجائر "الفرط"
وحبوب منع الحمل
والعازل الجنسي
ريثما

يكون قد انتهى تماماً وبالفعل
من طبخ كل هذه المسائل الإيديولوجية
في مطبخ الغائط الكحولي للدولة.

[21]

رجل الشرطة يهتف :
إشارات المرور كلها سوداء
سوداء
سوداء.

[22]

جاؤوا مع الفجر
سرقوا فانوس غرفتي الوحيد
وتركوني في الظلام
أخبط رأسي في حقل مجاور
لروحي تماماً
وقالوا لي :
نحن لا نريدك
أنت لا تشبهنا نحن خفافيش الليل والنهار
قلوبنا لا تعمل إلا في الظلام فقط
كانت النجوم تنطفئ
وهي مقطوعة الأيدي والأصابع.

[23]

جاؤوا مع الفجر

سرقوا وطني
خبؤوه في زجاجةٍ
- الزجاجة كأنها كوكب دري -
أخذوا الماء
ورموا الزجاجة في البحر
وتركوني فوق جبل
أنفحُم
جاؤوا مع الفجر
أخذوا أحلامي
وقبضوا عليها من هدومها
وعبؤوها في أكياس من النايلون
ووضعوها تحت عجلات قطار
بكلاباتٍ
ووحوش.

[24]

جاؤوا مع الفجر
كانت الوردة تبكي
والربيع يقف مصلوباً على فردة حذاء
وسنابل القمح تحترق
المنجل في يد البلطة
والبلطة في يد الصرصار
والقمر
حتى القمر الذي كنا نلفه حول أعناقنا في الليل
مات مخنوقاً على ضفة النهر
كالكلب
والشمس
الشمس التي كنا نحب عصافيرها في الشتاء
وفي الصيف كنا نحملها على ظهورنا
ونغني لها مع الجنيات

والقطط

قد ولت صفراء وواهنةً
على لسان الشرشرة.

[25]

توقفي أيتها الريح في منجم الفحم الأسود
أخلع ثيابك أيها النهار على عتبة الليل
فالفحم الأسود للموت
يلتهم الأغنيات
وما عاد الزمن
سوى ذلك الحصان الأعمى
الذي يقف مبهوراً على عتبة الهاوية
أو تلكم الساعة الكهربائية التي تتكتك
في سلة باذنجان !!

[26]

جاؤوا مع الفجر
كان الطفل يلعب بالحجلة مع النجوم في القفص
والنجمة الكبيرة الحمراء
تمسك بيد الليل البردانة
وتقوده إلى الفرشات
غير أنهم كمموا فمه بالشواكيش
وعصّبوا عينيه بالإبر
فبكت السماء من الألم
وضريراً تكوم القمر في حفرة
غير أن أمه التي أصابها الجنون والعتة
أخذت تدور في شوارع المدينة العتيقة من شارع لشارع
باحثة عن صديقه البحر
وتسأل :

عن وردته الأثيرة التي خبأها خلف سرواله
في سترة الرمل

[27]

جاؤوا مع الفجر
أخذوا ساقيتي من نحلتيها
وتركوا أرضي عطشي
ذبحوا ناقتي في الليل
لم تعد الجواميس تضحك في الحقل
ولم تعد تغني السواقي للنجوم والفل
في الظهر
أسودّ القمح في السكك
ومات الربيع على شجرة ينسون.

[28]

لماذا بالمنجل والبلطة قطعوا شجرة الجوافة
ولماذا سرقوا النهر القريب من أمام منزلي
وباعوا سراويله العتيقة في سوق النفايات
أيتها الشمس المُدْرَكَةُ بالشصّ
أراكِ باكيةً وفي الأسر
لماذا تسحبين رأسك إلى الوراء
في الفجر
وأنت ترقصين على سن إبره.

[29]

هذا الليل يحبس ذخيره الوحيدة من الجواميس
حتى لا يسرقوا منه النجوم في عربة روبايكيا
توكئي على عكازٍ يا روحي
فالماء الذي تحسبينه على قيد نهر من السماء
أصبح على بعد خطوة
من نملةٍ مقلوبةٍ
في سفح الجحيم.

[30]

جاؤوا مع الفجر

أخذوا كتبهم ورموها إلى النار
قطعوا أصابع الأطفال بالمنجل
فقتلوا أعين النهار بالرصاص
وساقوا الكلمات إلى الذبح
وأحرقوا اللغة على الأرصفة
وقالوا لكناسي الشوارع
اكنسوا كل هذه النفائات
لم يعد هذا زمن الأغاني
سنعمل من الأمعاء كراسات للريح
ومن الفجر سيارة إسعاف لـ
مادونا الجريحة
ومن الكلمات بطاريات رائعة للأسلاك الشائكة
ومن الشعر سيارات لدفن الموتى
ارفعوا الغناء عاليًا
أنتم
يا من تسكنون هناك في المقابر الخلفية
للزمن !!

[31]

جاؤوا مع الفجر
ووضعوا الفجر في زنزاة
وقالوا له:
صه صه
لا ترفع صوتك عاليًا
أنت غير مرغوب فيك بالأساس
لماذا تتسلل إلى بيوتنا كاللص
وتدخل إلى شوارعنا ومعك كل هذه النجوم
نحن نقدر الظلام
ونزرع كلماتنا بالليل
فلا ترفع كَمِّكَ بالأغاني

[32]

جاؤوا مع الفجر
سألوا الوردة لماذا تسكنين في هذه الناحية
من الألم
قالت الوردة:
لأن صديقي القمر يسكن قبالي على الناحية الأخرى
من الجسر
سألوا العصفور
لماذا تقيم فوق هذه الشجرة بالذات
قال:
لأن صديقتي النجمة
وبعد أن تكون قد انتهت من إضاءة
كل مصابيح الليل
تسكن معي في نفس الغرفة
سألوا النجمة
لماذا تقيمين هناك في خيمة السماء الواطئة هذه؟
قالت:

لأن الله قريب من هنا.

[33]

وفي النهاية
أخذوا الوردة إلى المنفي
وأشعلوا النار في البئر
وبعد أن ركبوا لها عدسات لاصقة
قالوا لها:
أنت عمياء
ومفلوجة

وخطبوا فم العصفور بالإبرة
ولم يبق أمامهم سوى النجمة

فعلقوا لها المشانق
وقررُوا إعدامها
في ليلةٍ سوداء!!

عاهرة بابل المقدسة

ما الذي يفعله محمد آدم الآن في أرض أور
يا صديقي نبوخذ نصر؟
إنه يغني عن الأفق مع أن الأفق كله معلق في كفه
وبين أزرار سترته
التي أشتراها ذات يوم من بائع خردة في سوق الروباييكيا
وتخضع للتفتيش الذاتي من شرطة المرافق
ما الذي يفعله محمد آدم الآن يا كزار حنتوش؟
إنه يبحث عن الله بالشخايل والدف
مع أن البحر لا يزال عالقًا بين إصبعين من أصابعه
يحركه كيف يشاء
ويركض حافيًا تحت نعليه الإردوازيتين
فيما يمسك بين شفتيه المشققتين باللفائف المبعثرة والسمك الميت
والبوص المجفف على ساحل الأهوار
وحدات بابل المعلقة
وبقايا السفن الغارقة لكتائب الإسكندر الأكبر
وجسد هيروديا الشرموط
وعينيها الشهوانيتين اللتين تنزان بالحليب
واللذة
وصندل يوحنا المعمدان
وكوفيته البيضاء
والتي تلطخت بخنجر هيرودس انتيباس
فصارت مثل خليه نحل مبقعة بالعسل
والدم

ما الذي يفعله محمد آدم الآن يا سركون بولص
إنه يشرب الشاي الأخضر بالنعناع والهيل
في مقهى الشهبندر بجوار كافورة نازفه
كشاهدة أخيرة على مذابح التتار الجدد
والمغول

تحت جدارية فائق حسن
رغم أنه يسكن في حانة سيدوري العتيقة
تحت حدائق بابل المعلقة
والمطرزة بالإوز العراقي
والبط !!

ويتنظر عودة جلعامش العجوز على حمار مكسور
كما لو أنه يسعى إلى الأفق
بكلتا يديه

ويدخل في حوار عقيم مع إبراهيم
عن النبي صالح
وناقته الخضراء التي فرت من الهاجرة
والملاح
لتختبئ هناك

على جبال حاج عمران
ومندلي
عن اللبوة المقدسة ساراي الجميلة
فاتنة القدس

والتي أخذها فرعون مصر كعشيقة لألف يوم
أو كبغي لأحد قواد جنده
- على سريريه المزركش بالأطفال والجماجم -
ليعلمها قواعد العشق الرنان
ولغة الجسد المقروء

فيما تكلمه عن نوارج الرب الرنانة

وفوانيسه المعطلة
حول مقبرة بابل المعظمة
والتي تضم رفات العالم القديم
بدءاً من قابيل
وهاييل
ومروراً بالملك الفارسي يزدجرد
وابنته شاه زنان
عن حوت النبي يونس على مشارف نينوى الواسعة
وحتى رأس الحسين
وحلابجه
يا لمحمد العتيق !!
إنه مثل بحيرة مفتوحة
يستطيع كل ابن زانية ضليل
أن يصطاد فيها السماء بحرية
مثل فأرة عمياء
ويربطها في طرف حذائه
ليطوح بها حيث يشاء
آه
يبدو أن الفضاء العجوز يشبه فماً فاغراً
لساحرة شريرة
بأسنانها الغير منتظمة
أو ربما عاهرة بابل المقدسة
أقصد
ساراي الجميلة
عجلة الرب الشريرة
والتي باعها الرب للشيطان بثمن بخس لقاء دراهم معدودات
من أجل عجل هارون
الذهبي !!

SADISM

حين نظر الله إلى الأرض من فوق
ورأى أن كل شيء حسن
قال : لتكن الأرض كالرحى
دائرة تدور إلى الأبد ولا تتوقف !!
فكانت الأرض كالرحى
دائرة تدور إلى الأبد
ولا تتوقف
قال : لتكن الشمس على الأرض
كالبرتقالة
فكانت الشمس على الأرض كالبرتقالة
في كبد السماء
وقال : ليكن القمر دليلاً للغرباء
والعشاق
من كل فج
لكي يتكاثروا ويتناسلوا كعشب الحقل
أو عدد ذرات الحصى والرمل
فكان القمر دليلاً للغرباء والعشاق من كل فج
فتكاثروا وتناسلوا - وكما قال الرب -
كعشب الحقل
أو عدد ذرات الحصى والرمل
وقال : ليكن نور وظلمة في قلب الإنسان
فكان نور وظلمة في قلب الإنسان
وقال : ليكن الخير والشر عدوين لدودين
على الأرض
وإلى أبد الأبدين
فكان الخير والشر عدوين لدودين على الأرض
وإلى أبد الأبدين
وقال : ليكن الشيطان

والإنسان
وجهًا لوجه
على خشبة المسرح المعجونة بالعظام والجماجم المخوخة
على مر الزمن
وأغلق الستارة
فوق هذه الأرض الشريرة
فقلت الأرض : في رحمي سوف يرقد الكل في الظلمة
بحسب كل كلمة تخرج من فمك
يا رب !!

أبو بكر الشيرازي

بلغ نيسابور في أواخر تشرين ولم تكن فيه الظهيرة مألوفة
ورأى أعمده الخيزران السامقة
والتوت البري الذي يغطي الأرض والعصافير التي تلعب
مع الققط في الشوارع الجانبية
والكنائس المعلقة والغاصة بالمصلين من كل فج
والمآذن التي ترتفع عاليًا تحت قبة السماء الزرقاء
دار في شوارعها مرة واثنين
فلما لم يجد أثرًا لتلك المرأة المشتهاة خاتون هانم
والتي قابلها صدفة على حدود طشقند في ليلة شبه عاصفة
أدرك أن الزمن هو الآخر قد توقف عند حدود الرؤية والسمع فقط
وأن السمع والبصر والفؤاد ما هي إلا أدوات لخداع المخيلة
أو الذات
إلا أنه وفي هذه اللحظة بالذات أبصرها من بعيد
واقفة هناك تنتظر
تحت شجرة سرو عتيقة
- وقد غطت شعرها باليشمك
ووجهها بالبرقع الذي صنعه لها يدين فارسيتين

من مدينة تبريز -

وهي تناوله كأس الخمر الممزوجة بالرغبة
في حانة هناك على جنب الطريق
وتكشف له عن ساقها الأبيضين المعطلتين
وجانبي الصدر الأرجوانيين اللذين يشربان هناك
ناحية الكوكب الذي أخذ يبرز في السماء الزرقاء فجأة
عندئذ أدرك أنه ما أتى من نيسابور من أجل ذلك الشيخ العجوز
الذي يعلمه الفقه وعلم أصول الدين وبحور الشعر
وإنما أتى من أجل هذه التفاحة الذهبية بالذات
وما عاد يعنيه أي شيء في هذا العالم غير هذه المرأة
أو إن كان يبحث عن الوجود بالقوة
أو الوجود بالفعل
أو إن كان الله موجوداً أو غير موجود بالأساس
أو ما هي الأدلة الحقيقية على وجود عالم آخر بعد هذا العالم
والذي سيكون ممتداً في الفراغ اللانهائي بعد انفصال الروح عن الجسد
وانتقال الروح من برزخ إلى برزخ
بقدر ما أصبح يعنيه أن خاتون هانم تلك المرأة الخلابة
ما هي إلا العلامة الفارقة على الخطأ الذي يسكن في الصواب
والصواب الذي يكمن في جانب الخطأ
وقال في نفسه:
أليست الصورة في المرأة
هي عين المرأة في الصورة؟!
عندئذ خلع نعليه ورمى بقبعته المحصنة على الأرض
وألقي بجراب خبزه المقدد على مخدته
وربط حماره الذي أرهقه السفر والنسيان من طول الرحلة
وقلة الزاد
إلى جذع نخلة ضاوية
في انتظار أن تجره هذه المرأة ذات يوم إلى باب بيتها
لكي تكشف له عن الفرق الحقيقي

بين الاستعارة الممكنية
وعشبة الخلود
وذلك عبر الخريطة الممتدة من سلسلة الظهر
وحتى أسفل البطن
وحديقة الردين!!

التفاحة

ماذا عليّ أن أفعل سوى العودة إلى المنزل
وأنا خالي الوفاض مثل كل يوم
وماذا سأقول لأمي
إن هي سألتني عن محبوبتي كاملتي
منذ الصباح وأنا أدور في الشوارع التي تعبت من العتمة
الشوارع التي تفضي إلى الشوارع
والبحر الذي يقف على إبرة الخطأ!!
لم أجد أثراً لنعلها
ولا لتلك السماء التي كانت تتركها على السكك هناك عند الظهيرة
ريثما تصعد إلى البرج
ولم أجد أثراً حتى لرائحة شمسها التي بقعت ثيابي بالفراولة
تري أين ذهبت هذه المرأة
التي ما نظرت قط
إلى أية حديقة؟
وماذا سأقول لأمي
عندما أعود إلى المنزل؟

السماء وقت العاصفة

قالت لي:
لَمْ لا تكتب شعراً ويصلح لهذه الوردة
لَمْ لا ترقع حذاء تلك الشجرة

الأشعار زائفة إذا لم تأكل وتشرب
وتعرف الجوع
الأشعار التي لا تعرف الطريق إلى الأوتوبيسات العامة
وعشش الصفيح
لماذا تحدثني عن الحب يا حبيبي
أنا منذ ليلتين قد فقدت زوجي
ومات ابني الوحيد في الحرب وهو أب لطفلين
وترك زوجته أرملة
منذ ليلتين
وأنا لم أتناول الدواء
ولم أفتح النافذة لمرة واحدة لأن القمر
وهو يتمشى على الرصيف المقابل للمنحدرات قد سقط في البئر
وأخذت الفئران تقرض أصابعه
قلت لها:
وأنا - ومنذ ليلتين - كذلك
أنا أحاول أن أكتب قصيدة عن المرأة الوحيدة
التي تعرت أمام النافذة لتكشف لساعة الحائط
عن جسدها المحموم
المرأة التي تفتح شرفتها كل يوم
لعصافير الجنة كي تتناول وجبتها المفضلة
من السوبرماركت
تلك العصافير التي فقدت عشها
منذ أن فقأ الصياد
عين الشجرة!!

ديموكريتوس أبدر 370-460 ق.م

جاء المدن والفيافي

قعد في الصحارى حتى جف حلقه وأصابته الشمس بالغيوبة وتفكك العظام

قرأ أشعاره على الرمل والماء
أبحر في الليل على ضوء الشموع
والقمر
أعد لنفسه خريطة من ورق البردي عن العالم الحديث
غير تلك التي أعدها سقراط لنفسه واتخذها قاعدة بيانات
عن العالم القديم
بحث عن الذرة أسفل حذائه الذي ينفجر
وخلف كوكب الزهرة
مال بجسمه النحيف كي يسمع غناء تلك الأرض
أو بكاء هذه النجمة
تلفف بالثلج وهو يتفحص السماء مثل ذئب بري
بتلسكوباته المقعرة والمحدبة
بحثاً عن الآلهة الذين يسكنون هناك في السماوات
وحولهم ملائكة الساروفيم
والحوريات
أفرط طويلاً في احتساء الخمرة الرديئة
وهو يتخيل محبوبته سالونيكاً
بين أحضان رجل آخر
هو الذي أفرط في المحبة ويعرف التقاويم ومسالك البلدان
لدرجة أنه أراد اكتشاف المجرات من أجل أن يأخذها هناك
حيث لا نأمة
ولا حيوانات
قال له سقراط ذات يوم:
لا تشغل بالك يا صديقي العزيز بالمعرفة إلى هذا الحد
فالعالم غامض
ولا أحد يعرف الحقيقة
وما نحن سوى مجموعة من الكلاب الضالة
سوف يأكلها الدود في نهاية الأمر!!
فما كان منه إلا أن ضحك من سقراط العجوز

وأخذ يهزأ من تلاميذه واحداً واحداً
الأمر الذي جعل أفلاطون المناوئ
يصنعه بقوة على وجهه
ويطرده من مدينته الفاضلة
حيث ينبغي على رجل سفسطائي مثله أن يسكن في الجبال
مع الأجلاف
والحمير
وهناك
وفوق معبد دلفي
أخذ يعيد صياغة العالم مرة أخرى
وقد كانت هناك كاهنة المعبد الشرموطة
التي أخذت تمارس معه الجنس والشهوة المقدسة تحت شمس الظهيرة
وعلى مرأى ومسمع من كافة الكهنة
والعرافين
وهي تنشد الأشعار عن أولئك الطرواديين العظام
الذين سحقوا الفرس ومزقوهم شر ممزق
تحت أعين زيوس الحقود
وأنشؤوا - هناك - حضارة زاهية لا يمكن للزمن أن يمحوها
ومهما كان يحمل في يده من فؤوس أو معاول
الأمر الذي جعله يفكر (أى ديموكريتوس) ملياً
عن المعادل الموضوعي للعالم
فلم يجد سوى الذرات
والقش
مما جعل القائد العام للمدينة
- وبتحريض كامل من تلميذ سقراط العتيد -
أن يصدر عليه حكماً بالإعدام
ومشنوقاً على شجرة جوافة أمام معبد دلفي
وجعل الأطفال يرمونه بالبصل والطماطم
الرجل الذي كان قد تجاوز المئة

وهو يبحث عن الله
بين الذرات
والفجل!!

دينة أو الحكاية المحرمة

ربما لم يكن البدر مكتملاً في ذلك اليوم
ربما لم تكن النجوم تلمع في الأفق كالعادة
ربما لم يكن الله منتبهاً أو مقررراً
في شملته التي تلف السماء والأرض في بطانية
عندما أبصر شكيم بن حمور
تلك الفلقة البرية دينه
اليهودية اللعوب التي غطت فرجها باليشمك والبراقع
مخافة أن يقتلها الإفرائيميون من فرط اللذة
أو رغبة في الاستحواذ
ابنة يعقوب
الرجل الذي أخذ يتصارع مع الملاك ليلة بكاملها
من أجل أن يعطيه الرب كل هذه الأرض التي تمتلئ
بالتين
والزيتون
من غور الأردن وحتى تخوم أبيمالك
وأورشليم العتيقة
فيما كانت دينه - اليهودية اللعوب - تملك اللبان والمر
وترعى حدائق المران والسوسن
على جبل الجليل
وهي تحمل جرتها الفخارية بحثاً عن الماء والكلاء
في أرض الكنعانيين العتاة
الذين لا يعرفون شيئاً عن الرب
رب إسحق

وإبراهيم
ولا يقدمون محرقاتهم سوى للبعل والخنفس
وكاهنة عشتار اللبوة
والتي كانت تفتح فرجها
لكل راغبي المتعة الغامقة
فيما راحت دينة تهدر على السكك وتغني بصوت مبحوح
أنا لحبيبي وإليّ اشتياقه
نفسي تعبت من السهر بالليل
روحي ملآنة حباً
وجسمي صار أرجوحة
اجعلني في شبكتك أيها الصياد فأنا تعبانة من المشي
على السكك في الليل أو اجعلني كخاتم على أصابعك
أحملني بين ذراعيك كالطفل
فإني مريضة حباً
أقطع عناقيدي بيديك القويتين أيها الجالس هناك
على السكك في الظل
وازرعني كفسيلة أعناب تحت خيمتك
أمي تركتني في العراء والبرد
وإخوة لي خلفوني هناك في المراعي بين الأكباش
وأنا خائفة من الذئب في الليل
ثيابي تعبت من الخوف
وكلماتي جفت من النسيان في الحلق
علقني قنديلاً على باب بيتك أيها الشاب
كي أكون علامة لك وحتى لا أتوه منك في السكك
ضمني إلى مراحك وقطعانك في الليل والنهار
مخافة أن يأكلني الذئب وأنت غافل عني أو يأخذني اللصوص كذبيحة
أنا وحيدة ورفيقاتي تركنني على أبواب القرية
وذهبن إلى مخادعهن كي يغتسلن ويمارسن الحب
خذني أيها الشاب الجالس هناك على السكك

لأرعى بين حدائق الممران
والسوسن
ولا أكون إلا لك لقمة سائغة في فمك
وثمرة شهية بين شفثيك
اجعلني غنمة بين معزاتك المشتهاة
أنت الراعي الوحيد للسوسن
في كل هذا الجبل
والسهل
وأنا حاملة الجرار والخمر
في بيت أبي
إخوة لي ضربوني وقيدوني بالأغلال السلاسل
خيطوا فمي بالإبرة حتى لا أنطق باسمك في الليل أيها الحبيب
وأبي قد وضعني هناك في الجُبِّ وإذ رأى اسمك محفوراً
على بطني
وفوق مصطبة ظهري العريضة
أمي قد أحرقني بالنار حتى لا أكون عاراً وسط القبيلة
أنا أصرخ عليك وأنت لا تسمعي
اجعلني امرأتك حبيبتك
أو خليلتك لا فرق!!
وإن سألوك عني فقل هي أختي لأمي وأبي
وأنا سأكون لك وحدك نعبتك وخيلك
أيها الساكن هناك بين الجنات وعلى مجاري المياه
تعبت من الخدمة في بيت أبي
وعند خالات أمي
أنحل زنار جلبابي
فانزع عني خمار رأسي
وأنا سوف أنزع لك بقية الثوب
أنا لحبيبي وإليّ اشتياقه
أنا غيمتك المبللة بالتوت

والأيل الجبلي
وأنت شمسي الأخيرة
بلل شفتي بلسانك الحلو
وامسح من على سرتي بقع حبك
احملني إلى حيث تركض في البرية
ففي فمي مزمارة العذب
أنت نهري الذي أشرب منه
وأنا جرتك التي تحتفظ لك بالماء
حلوة
وصافية
في الصباح
اذهب إلى حيث ترعى أغنامك
وفي المساء أجلس أمام بيتي
عساك أن تمر
فما كان من شكيم إلا أن قدم قبيلته كلها قرباناً
من أجل قلفة
فيما كان رجل الرب الصالح
يعقوب
يعزف بالكنارة على جبل جلعاد
وينتظر وعد الرب لأبائه وأجداده بأرض اللبن والعسل
فيما ارتفع عدد القتلى في ذلك اليوم
إلى أربعين ألفاً
كل ذلك حدث في صباح ربيعي منهك !!

ذات يوم

وأنا في الصف الرابع الابتدائي قررت أن أكتب
قصيدة عن الوردة
كانت الوردة كاملة وتبكي من الألم

الألم المحذوف من الكتب المدرسية
والألم القابض على رقبة الحياة من مؤخرة الحياة
ولم أكن ساعتها أصغي لبراد الشاي المغلي على النار
ولا للقوالح التي أخذت تنطفئ من شدة الماء
الذي يختر من السقف
ولم أكن أعتني بساعة اليد التي تعطلت فوق معصمي
على شجرة جميز ناشفة
وأنا أجمع اللطع وكيزان الذرة
من خلف ثيران الحقل الملتاثه
والنوارج الرنانة لساعات الحصاد
والحصص
في فمي أغنيتي البردانة
وعلى صدري شبح طائر
يأتي من المقابر
كما لم أكن أستقبل الشمس تحت ثيابي المحبوكة
على جسمي الناحل
وأنا فوق بركة من الطيور الملونة
وجحافل النمل
وها هي شجرة التوت البري
التي سقطت من التربة لتوها في ساعة الظهيرة العدو
لم تزل عطشانة لملمين
وفراشات الحقل التي كنت أجمعها
في طرف قميصي
لم تزل هي الأخرى ترفرف للنهار المفضوح
على سن إبره!!
لم تكن أُمي تكلمني أبداً عن الله
ولا عن الجحيم
أو عن تلك الجنة الموعودة والمملوءة دوماً بالقوارير

وبالعذراوات الأكار
من الحور العين
ولا عن الولدان المخلدين
أو بنات فارس الأسطوريات الشبقات
بل عن اللبن الرائب الذي شربته القطط والكلاب
من آنية الفخار المدسوسة في الفرن
ومن حبة البطاطس التي سقطت قريباً من السطل
وانا جالس كالأعمى
والأصم
أراقب طيور النحاس الهرمة
وهي ترفرف بجناحيها البنين في سقف الغرفة
المكتظ بالعناكب والفيزيكا
ولم يكن أبي يعبأ بطائراتي الورقية
أو انشغالاتي
بقدر ما كان يسأل معلم الحساب و الجغرافيا عن جدول الضرب
وهو ينظر إليه شزراً من خلف محراثه القديم
وفي يده فرقلته المدفورة من الليف
وجريد النخل
ومن يومها وأنا أجمع وأطرح الحياة في سلة مهملات
خلف أولئك التلاميذ الصغار
الذين ينتبهون لحصص التاريخ
والموسيقا
في بنطلوناتهم المرقعة
ومن يومها
وأنا أكتب قصيدتي المنتظرة عن الورد
في الصف الرابع الابتدائي
وبعيداً عن مدرس الفصل الرهيب
في مدرسة تلبننت أبشيش المحروسة .

زنجيات باريس الشرسات

في طفولتي
كثيراً ما كنت أصادق القمر
وأنا أمشي خلف ناعورة مقصبة
أحياناً ما كنت أتذكر تلك المرأة التي تأتي عصر كل يوم
لتبيع الحليب والقشدة أمام منزلي
وهي تجلس على مصطبة الدار
فيما تكشف لي عن ساقها الأبيضين
وأنا بجلبابي القديم لا أفعل أي شيء
سوى أن أنظر إلى هاتين الساقين الحلييتين
مثل لص ويتحين الفرصة
إلى أن ذهبت إلى باريس ذات يوم
واكتشفت نوعاً آخر من الزنجيات الشرسات
اللاتي يروحن ويجنن على نهر السين
وهنّ عاريات أو شبه عاريات
أو يتسكعن بطراوة و تؤدة تحت قوس النصر
بنهود ذهبية وأجساد من نار !!
ومن يومها وأنا حائر النظر والنظرة
بين تلك المرأة التي كانت تباع الحليب والقشدة
وتجلس على مصطبة الدار
مثل بئر معطلة
وقصرٍ مشيد
وزنجيات باريس الطرواديات .

سليمان الحكيم

وهكذا
ظل راقداً على الكرسي لعشرات السنوات
في يده منسأته

وعلى صدره كافة النياشين والأوسمة
التي رصّع بها الملوك والقيصرة
غرف نومة
وجدران قصره
بعين نصف مفتوحة
ويدين ساكتين إلى جواره
ظل غارقاً في نومه
وكأن الزمن الذي يتسرب من بين رجليه
ويمر من خلال أصابعه
سيربطه من قرنيه
إلى حلقة من الحجر
بينما النساء اللواتي استجلبهن من الأصقاع البعيدة
أو أخذن أسيرات في غزواته اللاتعد
ظللن يمسكن بمراوحن الفضفاضة
لكي يطردن عن وجهه الذباب
والدبابير
وهنّ يرحن ويجنّ
بين أعمدة قصره العتيقة
أو في الحديقة الخلفية للمعبد
وينتظرن ساعة موته
أو حتى تأكله العتة
وفي تلك الليلة
ظلت الجلعاودية السمراء والمخلصة الرثة لآلهتها القديمة
تدلك له قدميه
وتدعك عصفوره الذهبي الأملس
والذي ظل ساكناً في حجره كطائر أخرس
على أمل أن يأخذها كمحظية من محظياته اللاتعد من بنات الملوك والقيصرة
واللاتي تجاوز عددهن الآلاف
فلما لم تجد منه أية رغبة أو استجابة لشهواتها العارمة

أو لتلك اللؤلؤة التي تلمع هناك تحت القبة
أخذت تطلق اللعنات على رب الجنود
وعلى ذلك الجالس على الكرسي كالدمية
وعلى مدينة أورشاليم التي راحت تعج بالعاهرات والمومسات
وعبدة الآلهة القديمة
التي راحت تنتشر في الحواري الضيقة والأزقة
لتلك المدينة التي اختارها الرب من دون كل مدن العالم
لكي تكون سكناً له
ولذرية إبراهيم ابن صانع التماثيل والبعل
والجميلة ساراي من بعده
لكي تُقدم فيها مُحَرَّقاته وقرابينه
إلا أن أمراً طارئاً قد حدث في تلك الليلة الليلاء
عندما رأت على وجه القمر الأحمر أن سرباً من النمل المتوحش
قد أخذ يخرج من بين المنسأة فجأة
والتي ظل الجالس على العرش يستند عليها لعشرات السنوات
فيما سقط الجسد كالسطل
على أرضية الغرفة
الأمر الذي حرر معه الآلاف من الإماء والحواري والقيان
من ذلك السجن الرهيب الذي يسمونه القصر الملكي
فيما راحت مملكة أورشاليم تتهاوى
تحت بلطة الموت الذهبية
وإلى جواره ترقد منسأته
التي أكلتها دابة الأرض
وعندها أخذت الجلعادوية السمراء تطلق الأغاني والزغاريد
في كافة أنحاء المدينة
لكي تعلن على الملأ نبأ الخلاص
من ذي الجلال الجالس على العرش
كالدمية!!
والذي حوّل المدينة إلى مستنقع كبير

يغصُّ بالضحايا
وبيوت الدعارة
وأسواق العبيد
من كل بقاع الأرض.

عامل المقهى

إلى سيد الفيومي

ترك قريته الصغيرة بجوار النيل
وأمه التي تعيش في عشش الصفيح والزبل بين الكتاكيت والقطط
وهو يحمل في يده مزولة من الخشب
على أمل أن يجد لقمة
بين المقابر!!
فاشتغل سباكاً في أول الأمر
ثم عامل بناء في المدن الجديدة
وأخيراً عامل مقهى صغير فوق هضبة المقطم
وما كان ليتوقف عن الغناء أبداً
أو المراودة
وكان يرقد أمام المقهى كل ليل مثل ذئب أعمى
وهو يطرد البعوض والنمل
من على جسمه الذي أكلته العتة
وكَلَّه النسيان
والرهق
لم يشاهد أبداً تلك المرأة التي كانت تتسلل إلى خيمته كالقصر
في آخر الليل وهي تحمل متاعها القليل
الذي يتكون من صندل قديم وبطانية مرقعة
لتجلس في الركن البعيد من المقهى ومنزوية بجوار النافذة
وهي تتأبط عصافير الوحدة الشرسة
أو تتحين الفرصة لتكشف عن ساقها لقاء كوب من الشاي المر

أو قطعة صغيرة من البقسماط
كلمته كثيراً عن الله الذي أخذ أمها وهي طفلة
وعن زوجة الأب التي جعلتها تمارس الدعارة
حتى مع كلاب الشوارع
من أجل قطعة خبز
أو بضعة نقود
وعندما زهقت من الحياة
قررت أن يكون لها بيت وأولاد وعامل مقهى !!
وأن تستريح من كل هذه الحياة
حتى ولو على رجل رجل أو فوق دكة خشبية أمام جامع قديم
أو في بيت من غرفة واحدة وفوق السطوح
حتى ولو كان بلا كهرباء
أو دورة مياه
وفي كل ليلة كان سيد القهوجي
- وبعد أن يكون آخر زبائن المقهى قد غادر
ودفع الحساب كله عن ظهر قلب -
كان يجلس أمام فخذيها اللدنيين كالجائع إلى الخبز
ويلحس مؤخرتها كالرضيع
فيما كانت يده التي كلت من الكنس والمسح
تعرف الطريق دائماً إلى جسدها الفاره
وإلى نهديها التاريخيين
وهي تنتلط أمامه كاللبوة
من فرط النشوة
فيما تصرخ من اللذة والألم
ولا تتوقف عن النخير والشخر
حتى تحول المقهى إلى فردوس صغير لعاشقين
لا يعرفان أي شيء عن هذا العالم
سوى لغة الجسد
المسموعة

والمرئية
وكانا إذا أطل عليهما الفجر من شرفته العالية
الرفيعة
يعرفان جيداً كيف يمسخان آنية اللذة
عن الفاكهة المحرمة
ويستشعران فيما بينهما قوة الطبيعة التي لا ترد
والتي تعرف - كذلك بالسليقة - كيف تمسح أحزان الأنوثة اللزجة
عن البقع الصغيرة التي تملأ الشقوق
حتى ولو بشق ثمرة
في ركن صغير من أركان المعمورة
وبجوار عامل مقهى
فوق هضبة المقطم !!

لعبة الحياة

غالباً ما أفكر في الحياة
وأنا غائب تماماً عن الحياة
الحياة الوسخة
البهية
الحياة التي تضحك لي في الصباح
وهي تلفني بشالها الأرجواني في الظهيرة
وأنا أمشي في السكك
وفي المساء تكشر لي عن أنيابها الأخطبوطية
وتمددني على سرير بروكست
أو في غرف العناية المركزة
دائماً دائماً ما أفكر في الحياة كامرأة
لا تملك سوى أحمر الشفاه
ومؤخرة لزجة
تترجرج ذات اليمين وذات الشمال

وأنا أريد أن أتزوج تلك المرأة وأنجب منها أطفالاً
يزرعون البطاطس
أو يذهبون إلى معهد تيودور بلهارس
أفكر في الحياة بشكل زائد عن الحاجة تماماً
وهي تفتح لي ساقبها الحلييتين
ثم تلف ذراعيها حول رقبتني كالأفعى
لتمص دمي
وأنا من فرط السذاجة أصدق أنني في حضن امرأة
من لحم ودم
إلى أن اكتشفت أخيراً
أنني كنت أسير بين المقابر
وفي فمي عدة أرغفة من نحاس محروق
وعدد لا يصدق من الأكاذيب
ولا يضحك مني إلا شجر الصبار المحروق
وبجواري تقف جمجمة مسلوخة
على ساق عمياء
ولا يلعب بداخلها سوى الدود!!

الرجل الذي صار أغنية

في الليل
سار الرجل إلى جنب الترعة
كانت سمكة وتلعب في الحقل
والحقل يلعب بالعصا
أبحرت السمكة في الترعة
وارتاح الرجل في الحقل
جاءت امرأة
خلعت ثوبها
كانت المرأة مثل الورد

وكان الرجل يحرق في الحقل
المرأة

جلست تحت الشجرة
وأخذت تضحك للقمر
فرد الرجل ذراعيه
ولوح للمرأة
المرأة صارت حقلاً
والرجل أصبح أغنيه.

الأيدي الفسفورية

الأيدي الفسفورية
السماء العمياء
النهار الخرف
الليل العجوز ذو القبعات
العجين الميت للكهل
الموسيقا التصويرية
للكلاب
الصدأ الأنثوي لمؤخرات العجائز
النوافذ
على باحة الققط النعسانة
التريسكلات
فوق قصبة البحر
الأرغن في زريبة الخنازير
الصباحات الرائجة
في فم الحيوانات
الصراصير
تأكل الفحم
ذلك ما تعزفه الريح

على مدرج الكسل
والنمل !!

انتصار

تنتصر الحياة
ينتصر الحب
ذلك ما كان يقوله القديس فرانسيس دائماً
من فوق هضبة الكنيسة المعلقة
ومن يومها والأطفال
يلعبون لعبة الاستغماية
في فناء الكنيسة
ويطاردون الراهبات
في الغرف الداخلية المغلقة
للكنيسة المعلقة
ويتنظرون الكاهن الأكبر أن يقول لهم
تناكحوا تناسلوا
يا خراف الرب البردانة
تنتصر الحياة
ينتصر الحب
على الرغم من رداءة الطقس
ومذبح الرب الرنان الذي يغص بالمصلين
والشمطاوات !!

فراشة عمياء

من تكون
وما كل هذه المصائر
الأرض التي نحلبها كل صباح
أصبحت مثل جرة مكسورة

في فمي
ترقص فراشة عمياء
على جسدي يسبح قمر في الظلمة
فوق ركبتني تسيل نوارج اللذة
وعلى بطني ترقد خنفساء ميتة
على فخدي ثمة طائر ويقولون له أبو منجل
ما الذي أفعله أنا بكل هذه الشراف
سوى بقع حبك
التي تقع على السطر
ارقدي أو تمددي هناك أيتها الرغبة الرائدة
تحت جذع هذه الشجرة
التي تعج بالفراشات والظل
لكي أشهد - أنا - حليب الفجر الغامق
وهو يندلق على شفتيك الجهنميتين
أيتها المتسترة بالعتمة
أيتها النهمة!!

قديسة الظاهر

إلى هدى نعيم
والآن
قولي لي
ألا زال عندك زيت في المصباح
والمصباح في زجاجة
ألم ينطفئ قنديلك القديم بعد من كثرة الاستعمال والشغل
ألم تركبي قطار الثامنة مساء
لتذهبي إلى الإسكندرية ليلاً
تلك المدينة التي تفضلينها على كل مدن العالم خاصة في الشتاء
هل لازالت تسريحة شعرك هي هي كعادتها

وكما تركتها أول مرة
وقبل أن ألمس عجيزتك التي تلتهب في الظهر وألمس ثديك من غير قصد
ألم تقولي لي ذات صباح كسلان أن دمك هو دمي
ثم أتيت بقطعة من الزجاج المشطوف وجرحت بها أصابعي وأصابعك
على مرأى ومسمع من كافة الغرف والمرايا
فأختلط البحران في مشهد تاريخي
ألا زالت شفتك الحبلى بالكلمات تمسك بقافية الليل الموزونة
كي تعتصرها وخشية أن تفضحك الشمس التي تطل عليك
من النوافذ والشبابيك الجانية
ألا زلت تصرين كل يوم على المشي من حي الظاهر
وحتى كنيسة الروم الأرثوذكس وأنت في كامل الهيئة
وفي يدك كتاب الصلوات والمزامير علامة على الورع والتقوى
ألا زال السيد المسيح يزورك عصر كل يوم
وبعد انتهاء صلواتك أمام المذبح
في مخدعك العالي وكما كنت تقولين دائماً
وهو يزيّن صدرك بالفراشات والفل
ويترك على مصطبة الظهر أثار شفثيه المبقعتين بالدم
ويطبطب على كفلك الذي أمتلاً بالحليب عن آخره
لا أكاد أصدق أن كل هذه الطيور التي تعبر السماء
في الفجر
هي طيورك أنتِ
أنتِ التي أرسلتها خلفي لتتلصص عليّ في ساعة الظهر
وعنما أكون مستلقياً أسمع لوقع خطواتك على السلم
قولي لي
ماذا أفعل في هذا السجن الكبير والذي يسمونه العالم
وأنا أفتقدك كل يوم
منذ متى ونحن لم نلتق أيتها القديسة المصنعة في براميل النشارة
حتى الرب نفسه ليس لديه أية موانع في أن يكون
جسمي لصق جسمك

شفتي فوق ركبتيك
ذراعي حول حوضك
وأنت تنامين جنبي مثل طائر هدّ الهديل
حتى ولو كنا أنا وأنت على وسادة في الجحيم
دائماً دائماً
فليتقدس اسمك في الملكوت !!

قيلولة

كم أتمنى أن يعود بي الزمن إلى الوراء
لأجلس قليلاً على العشب المبتل في الصباح
وأسمع غناء أُمّي المتبل بالدموع
وهي تدور خلف ساقية مهجورة
وتغني عن المرأة التي ماتت بالسل
في مطلع الربيع
"بكره يسدوا عليك بالقوالب الحمر
لا صوت يجيني ثاني
ولا سلام العمر
بكره يسدوا عليك بالقوالب الطوب
لا صوت يجيني ثاني
ولا كلام محبوب"
كم أتمنى أن يعود بي الزمن قليلاً إلى الوراء
لأسير خلف حمار أبي المخطط
الذي ينهق على أنثاه المعتادة
وهي تنتنط أمامه على البر الثاني وأبي يضربه بالسوط
خشية أن تأخذه نوبة من الجنون والضحك
فلا يعبأ بما يحمل فوق ظهره
من كيزان الذرة
وسلال القمح

كم أتمنى أن يعود بي الزمن قليلاً إلى الوراء
لأسمع صوت المؤذن وهو يرفع الغطاء عن الفجر
في القرية النائمة هناك على جنب التربة
فيما طيور الإوز والديك الرومي
تملاً البركة النائمة كالأساطير والفحم
في أرض الجرن
كم أتمنى أن يعود بي الزمن قليلاً إلى الوراء
وأنا أنتظر حبسيتي كاملتي هناك
فوق ساقية مهجورة
وهي تحمل في يدها سلة من الخبز المحروق
وعلى صدرها تلعب حمامة نازفة
فيما تهتف النجوم
أنت يا سارق الحليب
والغي
"بكره يسدوا عليك بالقوالب الحمر
لا صوت يجيني ثاني
ولا سلام العمر
بكره يسدوا عليك بالقوالب الطوب
لا صوت يجيني ثاني
ولا كلام محبوب!!".

وصف تفصيلي للحياة الكلبة

لم أنتبه للحياة وهي تمر بجانبني
مثل كلبة مسعورة
ترضع أبناءها الصغار تارة
أو تلقي بهم في حفرة جانبية
تارة أخرى
ليأخذهم جامع القمامة الشرير في نهاية اليوم

بينما الحياة الكلبة
ترقد على الطرق
في انتظار كلب آخر
ليصنع قمامة جديدة!!

رجل الساعات

الزمن الذي كنا نعبئه في زجاجة ملونة
ونطوف به على الأسواق والمتاجر الشعبية
فوق جمل أعرج
كثيراً ما نرصه - الآن - على طاولات المقاهي
والإسطبلات
والعنابر الشاسعة للجنون
والغرق!!
وهو يتوكأ على عكاز الليل البردان
مثل ذئب أخرق
فيما يبحث لنفسه بعينه المستنقعتين
الزائعتين
عن برتقالة معطوبة
أو شعيرة ناشفة
لكي يضعها هناك على الأرفف الخالية
في دولاب الرب الرنان
الذي يمتلئ بالعظام
والفحم
وهو يقضم بشفتيه العنكبوتيتين تلك الثمرة الرثة
للوجود الإنساني المضمحل
فيما يجلس على كرسي خائخ
في مقهى شعبي
لكي يتذكر النسيان!!

حلم الرمل

إلى نعمات البحيري
تذكرتك وأنا أقرأ حلم الرمل
فغاص قلبي من الألم في السكك والشوارع التي قطعناها معاً
مرة بالبكاء ومرة أخرى بالضحك
لا أعرف كيف أسترجع صورة عينيك اللتين تكتبان على الحوائط
أن الأمل مثل شجرة الأضاليا
أو مثل جرس الحصة لا بد أن يدق في نهاية اليوم المدرسي
ويتفرق التلاميذ إلى بيوتهم
التي تقيع تحت طاولة مستديرة
وأن كوفيتك الخضراء التي تلفينها حول رقبتك
سوف تتحول وفي نهاية الأمر كذلك إلى كابوس مكيف
لحاملي أوراق اليانصيب والبنكنوت
والتي يخبئونها في دور العبادة
والمؤسسات العامة لجامعي التبرعات الخيرية
والتي سوف تتحول بدورها إلى بالوعات العولمة الواسعة
التي تصب في المجاري الدولية
للأدب المقارن
أو لشبكة اللصوص الجدد والنصب
وتجار الأراضي
وسماسرة اللحم الإنساني المفروم
وفيما أنت تتسللين بخفة طائر أعمى
خلف سليم السامرائي إلى حدائق بابل المعلقة
وإبراهيم فهمي الذي أكلته العتة
وهو يكتبك على الأوردة والعروق النافرة لجسمه النحيل الأهوج
كل ذلك من أجل أن تكتبي أنت
عن أشجارك القليلة التي تقف عند المنحنى
ولا أحد يبالي

أو يهتم بك أو يحلم الرمل
المبثوث
في السكك!!

جنيسارت

وفي تلك الليلة
حيث وقف التلاميذ في انتظار السيد القادم على الماء
وفي فمه سمكة خضراء
وبضعة أرغفة من الخبز المعقوف من الشعير والذرة
ورأى الناس شكل الحجارة وهي تنشط على الأرض إلى نصفين
فيما أخذت الشمس تتفكك على البحر كقطع من البللور والمرايا
بينما سالومي الجميلة والتي عبرت نهر الأردن بالدف والمزامير
وفي يدها الرأس الأصلع ليوحينا المعمدان
وصندله المعوج
وهي تستعرض أرديته الكتانية التي كان يتلفع بها
وبقجته المحشوة بالعفاريات والسحالي
وعصاه المبقعة بالدم
وتغني أمام كل ذلك الحشد الهائل من النظارة
وطاردي الأرواح الشريرة
وأمام هيردوس انتيباس جلست هيرديا الأرملة
وهي تكشف عن جسدها الحرير
وساقها المطعمتين بالزمرد والأس
إذ ذاك
صاحت امرأة من الوقوف وقد أحرقتها شمس الظهيرة القاسية
أيها السيد قل لي:
ما هو شكل الآب الجالس هناك في السماوات
وأين تكمن جنته الموعودة؟
وهو لم يعد يعبأ بكل تلك المجزرة التي تحدث أمامه

أو يحرك ساكنًا على طول التاريخ الإنساني
إذ ذاك قالت سالومي
أنا التي سوف أجلس على عتبة الرب
وأمامي سوف ترقص هيروديا عارية
أنا - هو - الجسد
وحفنة الريح التي تمر
ولا تعود !!

ليليث

أنا أجمل النساء بلا منازع
يا رجلي الحبيب
يا سيدي وأميري
أسماءهن أسمائي
أفخذهن رمانتا صدري
مؤخراتهن نعلاي
أثداؤهن تفاحي
وأقفاص فراولتي
شفتي مكسوة بالنعناع والسكر
بطني معجونة بالآس والبنفسج
صدري منقوع في طاس خمر وعنب
أنفي كصهيل فرس ويصعد البرج
على بطني تركت بصمتك يا رجلي الحبيب
ورحلت
بصمتك التي لا يمحوها الزمن
ولا يقدر الموت حتى أن يجرحها
وعلى سرتي تركت أقماع سكرك ومضيت
من أجلك تركت أهلي ورحلت أبحث عنك في السكك والشوارع
وصرت عني غريبة

حتى بين أصدقائي
أرجوك
انظر إليّ
كلمني
تحسس ساقي
ركبتيّ
اربطني إلى ساقيتك المعطلتين في الليل
فأنا بغلة بريّة
وإلا تحولت إلى عمود ملح
والآن
تعال واخبرني عن حال جسمك
يا رجلي الحبيب
نهار آخر ضاع مني
شمس أخرى سقطت مني في البئر
صرت عني بعيداً بعيداً
لماذا تتركني في البحر
وماذا أصنع بمراكبك التي تعبر بعيداً عن الشمس
انظر إلى لئلا أغرق وأنفحم
في العام القادم سوف أنتظرك
وتحت هذه التينة إلى أن تمر
يا سكري وحليبي
يا رجلي الحبيب!!

تتمة رجل الجليل الأعلى

وما إن خرج الرجل من بيته
ووطنه
ومن دياره
وبين تلامذته

وجيوبه مثقلة بالحجارة

والسّمك

حتى استراح بيلاطس البنطي من دمه

وزوجة يوسف النجار التي كانت واقفة تبكي

وعلى يديها ابنها الرضيع يعقوب

وهي تشهد ابنها البكر على الجلجثة

وعلى رأسه تاج من الشوك

وقد غسّل يديه من صلبه

وقتله

وسلمه ليهوذا المغفل

بثلاثين فضة

هي كل ما قبض من ثمن

بينما راح يوسف النجار يجرجرها من شعر رأسها

الطويل الأشقر

في هذه الظهيرة العدوّة

وهو يقول لها

ما لنا ولهذا المنحوس الأخرق

قائد الزيلوت الزرق

والسيكاريين الكلاب

أريد أن أضمك الآن بين فخذيّ

وأرتوي من جسمك الذي يمتلئ

بالفراشات

والتوت الأحمر

أنا في غاية الجوع والعطش

هيا هيا أيتها اللبوة

فعضوي ما عاد يحتمل

ما لنا ولكل هذه الهراءات!!

قائد المئة

وبينما كان رمح قائد المئة ينفذ في رسغيه
كان الجنود الرومان بالفعل والمدججون بالسلاح
والخوذاتُ
يرقدون على العشب
ويبجلقون في الفراشات التي راحت
تتزاحم على رأس المصلوب بشكل غير معهود
ولا إنساني
فيما النسوة اللاتي تجمعن
حوله وجئن من الطرقات البعيدة
والمنحدرات
وحتى من أعالي الجبال
رحن يتعرين بوحشية ويكشفن
عن أعضائهن التناسلية التي راحت تلمع كالنصل
تحت الظهيرة الأخاذة
كالواقيت والدر
فيما كان الجنود الرومان والذين أرهقهم السفر
والخمرة المغشوشة من قصب السكر
وعرق البلح
راحوا يستعرضون قواتهم الجهنمية وعضلاتهم المفتولة
ويتعرون بوحشية كذلك
ويمارسون الجنس الجماعي مع أولئك النسوة البالغات الجمال والقسوة
تحت شمس الظهيرة التي أخذت تلسع وجوههم
وجباههم مما جعل العرق يتصبب من جلودهم
كالأنهار
أولئك النسوة اللاتي راحت صرخاتهن تتعالى
وهن يشخرن
وينخرن من فرط اللذة

ويطلبن من قائد المئة الواقف هناك تحت العريشة بالحاف
أن ينزل هذا الجسد المثخن بالجراح من على الصليب
حتى لا يعكر صفو تلك اللحظة التاريخية
- أو يؤخر الأورجازم من جراء ذلك المشهد المريع -
والتي سيذكرها التاريخ حتماً
ضمن أوراقه المبعثرة
أو اللانهاية
أو يفسد هذا العرس الجماعي
في قانا
والذي تحبذه الآلهة
أمام منظر هذا الدم اللامبرر على الإطلاق
وضمن حدود تلك المملكة
المترامية الأطراف
تحت قدمي ذلك الجالس هناك على عرش روما
مجمع الآلهة الخالدين ومشرعي القوانين العباقرة
كل هذه المقابلة حدثت وبالأأسف
في مدينة بعيدة وسط جلودٍ منتشرة
لتجف تحت الشمس
وأطفال يلعبون
مع السحالي!!
فيما كان قائد المئة ينفّض ثيابه
التي ملأها الغبار
وطرطشات الدم
وهو يقول
تف على مدينة الرب الزانية هذه بيت لحم
والتي تمتلئ باللصوص
والكلاب
وكانت الصرخة الأخيرة للمصلوب وهو يواجه الشمس
بضراوة ويئن

وبصدره الذي صار مثل أرجوحة مخرمة
ويديه الاثنتين اللتين تهدلتا إلى جواره
مثل كتلتين من الرصاص والخردة
يا أبت
ارفع عني هذه الكأس
أرجوك
أريد أن أنام
أنا لست في حاجة إلى مملكتك التي تمتلئ بالدم والجماجم
أريد أن أضجع وأحلم بالظل والشمس
وبطيورك الخضراء
بعيداً عن كل هذا اليأس الذي يمشي على قدمين
 ويفتح في السكك كالصهاريج!!

الفن والحرية

إلى أنور كامل

قابلته على زهرة البستان في ليلة شبه عاصفة
كان يجرجر الزمن خلف ظهره كالعوينات
وكانت سنواته الملبدة بالسجن
وأحذية البروليتاريا
تقف أمامه مثل صف طويل من العهن
أو المقابر الجماعية
وهي تنتلط إلى جواره كالوطاويط
والقمل
وعندما كان يتذكر أربعينيات القرن المنصرم
ورفاقه الذين ماتوا في السجن
أو انتحروا في المنافي
من كامل التلمساني

إلى جورج حنين
إلى رمسيس يونان
وشهدي عطية الشافعي
كان يدخل إلى عالم السريالية الفخم
وهو يقضم برتقالة المايخوليا
وإذ ذاك كانت تنحدر من عينيه دمعة كبيرة
بحجم السماوات والأرض
وعندما كان يسترد الذاكرة والوعي
كان يشخر

وهو يخرج عضوه للرصيف المتنامي ويقول
في البوتقة الواحدة الذهب يلمع والقش يدخن
الضربة الواحدة تحطم القش وتفصل الحَب
الزيت والعَكر يمتزجان معاً
إذا سالا تحت حجر المعصرة !!

(2)

في سنواته الأخيرة والتي أطبق عليه فيها النسيان
وفقدان الذاكرة

جلس في الشرفة الخلفية لغرفة
فوق السطوح المجاورة لقرافة المغربلين
وأخذ يطارد عصافيره الملونة وقططه المفحمة
وهو يلعب بالنيرنجات

- خلاص -

لقد انتهى كل شيء بالنسبة إلي
لم يعد في جعبتي سوى الصراصير والقمل
ولم أعد أطارد سوى الذباب والعتة
من على الجدران والنوافذ
وأعلك الزمن كاللبان

والمر -

لم يشأ أن يمشي في الشوارع التي كان يحبها بعمق

والتي استثمر فيها كافة زوارقه الغارقة
وبوارجه التي كان يعبر بها بعيداً عن الجاذبية
التي تندلق على سطح قبعته البردانة
ولم يشأ كذلك أن يتطلع إلى كل تلك البنايات الشاهقة
والتي كان يخبئ فيها ذكرياته المألحة
بعيداً عن أورام السرطان وتخثر الحنجرة
وهو يلاعب الشمس والظل بالعصا
كي لا يجرفه الموت الرنان
ولم يعد يعبأ كذلك إن كانت الحياة مثل حبة من خردل أو كيس خراء فادح
أو حتى قطعة من الجبن المدود والمنذور للسحالي
والخنافس.

(3)

فقط

في ليلة كان يحُبُّك طاقيته الصوف فوق شعره المنكوش
ويجلس على مقهى زهرة البستان لكي يتذكر
كل أولئك الرفاق الذين جرفهم الزمن في تياره الفضولي الأملس
هناك في فصول محو الأمية
أو في حديقة الحزب الخلفية والتي أصبحت شبه خالية
إلا من طقم الأسنان
وأكوام الزبالة
وفي آخر الليل كان يجرجر قدميه المستسلمتين
إلى دار العجزة
والمسنين
في انتظار أن يأتيه ملك الموت
أو ما يسمى شرعاً في علم اللاهوت الجنائزي بـ
قابض الأرواح
وهو يفرك يديه المبقعتين بالزمن ويقول
في البوتقة الواحدة الذهب يلمع والقش يدخن
الضربة الواحدة تحطم القش وتفصل الحَب

الزيت والعكر يمتزجان معاً
إذا سالا تحت حَجَر المعصرة؟؟

إسكندرية كفافي

على طشت الغسيل وجدته يبكي
إذ إن أمه أخذتها العاصفة
وتركته هناك في الميناء في حارة ليسبوس
وقريباً من البحر
وهو ينظر إلى المراكب الشراعية
وبوارج الإفرنج
وهي تعبر الأبيض المتوسط
إلى اليونان
فيما كان يكلم الله عن الحمى الصفراء
وداء الكلب
والنقرس
والمجاعة التي أخذت تنتشر هنا أو هناك في كوم الدكة
وحي العصفارة
والعطارين
بينما كان سيد درويش يمر من أمامه
على الرصيف المقابل
وهو يحمل بين ذراعيه المتوسطتين
بعود الموسيقى
ويتبعه
العمال
والفلاحين
من أبناء الإسكندرية
وكوم الشقافة
وهو يغني على رصيف الإسكندرية

كل يوم

- شد الحزام على وسطك غيره ما يفيدك

يا حلاوة أم اسماعيل في وسط عيالها

والحلوة دي راحت تعجن في الفجرية

والديك بيدن كوكو كوكو

يله بنا على باب الله

يا صنايعية -

الأمر الذي جعل كفا في العجوز يتعجب من هذه المدينة

التي لا تنام أبداً

والتي تغص بالآلاف

من الطليان

والإنجليز

واليهود

وبني جلدته من اليونانيين الأثينيين

وهي تقف على الميناء عصر كل يوم

في حي الأنفوشي

لتستقبل الأبيض المتوسط

في طرحتها الجديدة

من الكتان

والقطن

ولا تلوح أبداً للكافرين

الذين لا يعرفون اللغات

بل ظلت تضحك للميناء وللبحر

ولكتائب الإسكندر الأكبر والمغول

وكليوباترا

ونابليون بونابرت

وقصائد هيئاتها

ودروس أفلوطين الرائعة

عن الواحد والمتعدد

وتلوح للنوارس وهي تعبر الأبيض المتوسط
على سعف النخل
دون أن تخلع ثيابها الرملية أبداً
أو ترتدى بدلة الرقص
الأمر الذي جعل كفا في العجوز
يرفض أن يغادر هذه المدينة إلى الأبد
وهو يقول لنفسه
لن تجد مدينة أخرى تضم رفاتك
وكرسات شعرك
ومنضدتك
ومعطفك البالي هذا
المدينة التي أجلسك المتوسط على ركبتيها
وأخذتك في حضنها
وأخذت تدبر قرص الشمس
على مياها الإقليمية الزرقاء
وهي تصنع من الزمن كوفيةً من النوارس البيضاء
والعصافير
وتقول له
اصعد على السلالم الحجرية أيها الأعرج
فأنا والبحر هنا
قبل أن تولد
أنت !!

- يا ناس ياهو لما اسكندر

حكم على الدنيا ودبر

اسكندر اللي بجيوشه

الشرق والغرب عبده

بسكندريه بيتها

اسكندرية وسماها

يوناني ويحب الغاره

ورخره زيه أم مناره
جبار وعاشق جباره
طلع هواه
وفق هواها
فما كان من كفا في العجوز إلا أن ذهب
إلى بورصة القطن
وقدم استقالته إلى الجالية اليونانية
وقبل أن يتجاوز السبعين من العمر
مات في المدينة التي يحبها بعمق
الإسكندرية !!

عيد الفصح

أو تيطس في موكبه المترف إلى الساحل 70 م

في 29 آب / أغسطس عام 70 للميلاد
وبتوافق تام مع نبوءة النبي أشعيا
جلس تيطس العظيم في موكبه المترف إلى الساحل
ونظر إلى الصحراء المترامية
وإلى القدس التي تحولت إلى مدينة أشباح
وجذاذات
وأوعية من نحاس محروق
وبيوتات دعارة
وعلب صفيح
وشوارع خردة
وأطلال عناكب
وقال
هأنذا الآن أستطيع أن أدلل رجلي
فوق كل هؤلاء الكلاب
والوحوش

من الأسباط
وأدعياء النبوة
وأن أمسحهم من الأرض مسحاً
ولا يمكن لأي مخلوق أن يفتح فمه ولو بكلمة
أن أجلس بين جنودي
وقواد ألويتي ونياشيني
وأفرد السماء على الأرض كالبساط الأحمر
وأبسط النجوم تحت رجليّ
كالمشابك
أنا صانع التواريخ
والمجد
وفي جيبي يسكن الزمن وأحرّكه كيف أشاء
وما إن استولى الرومان على القدس مدينة الرب العتيقة
حتى قاموا بحرق البيوت المتبقية
وهدموا الجدران الدفاعية
المدينة حطمت بالكامل
- وبغير وعي زائف أو كلمة زائدة قاموا
بإحراق التماثيل والمنحوتات والمعبودات التاريخية
وجدران الهيكل -
والمقاتلون المأسورون كلهم طُلب إعدامهم أو أرسلوا إلى المحارق الجماعية
والمدنيون فوق السابعة عشرة
أرسلوا إلى الأعمال الشاقة
في المحاجر
والكّلابات
ومناجم استخراج النحاس والفحم
وتنظيف المجاري وإسطبلات الخيول
وتكسير الصخور من أجل إقامة الفيلات الأنيقة
على أحدث طراز

والحدائق الواسعة والمرصعة بالزجاج
والفسيفساءات
أما هؤلاء الأصغر سنًا والمولودون حديثًا
فقد تم بيعهم كعبيدٍ أو إماء
في أسواق النخاسة الكونية
وفي الدول المجاورة كتجارة رائجةٍ
في فاس
وطشقند
والموصل
وقازان
ومصر
أعداد غفيرة من المقاتلين تم احتجازهم للموت
في القاعات الرومانية المفخخة
أو للموت كمصارعين محتملين وشرفاء
أو ليتم تمزيقهم إربًا إربًا
من قبل الوحوش المفترسة
من أجل إثارة الحشود المتسكعة من أبناء روما المقاتلين
ونسائهنَّ الحسنات
الآخرون أخذوا من قبل تيطس العظيم
في موكبه المترف إلى الساحل
وفي كل بلدة كانت تجري عروض مسرحية ميدانية
كان يتعارك السجناء مع الحيوانات المفترسة
والأسود الجوعانة
أو ربما يجبرون على الموت غرقًا أو شنقًا
أو في معارك عنيفة
لترفيه المشاهدين وتزجية أوقات فراغهم
على أية حال تلك كانت مدينة القدس
في العام 70 للميلاد

فيما كانت زوجة تيطس العظيم كلوديا
ترقص وتغني فوق كل هذه الأشلاء
المتناثرة والجذاذات
في كل شارع
وفي كل زقاق وحارة
وفي داخل المعبد المقدس
كانت كلوديا أجمل جميلات روما
والإمبراطورية قاطبةً
تمارس الجنس الجماعي مع الجنود
وضباط الصف
والرقباء
وكافة قواد الألوية المنتصرة
وهي تغني لروما المظفرة
ولتيطس العظيم
بينما الرب واقفاً يسمع
ويسجل بتلسكوباته المعظمة
المقعرة منها
والمحدبة
كل ما يحصل هناك على الأرض
دقيقة
بدقيقة
ويدوّن ملاحظاته
وتعليقاته
في كراساته اللانهائية الملونة
في انتظار يوم الدينونة الأخير
آه
منكم يا حراس النظام
والخرايت!!

بيليزير يوس

(قائد بيزنطي أمر الإمبراطور
جوستينيان بحرمانه من بصره
فأخذ يجوب الأزقة متسولاً
بخوذته !!)

أنتم أيها الشجعان
أيها الأبطال
أنتم يامن هناك
يامن تخوضون الحروب تلو الحروب
وتشعلون النار
في الأطفال
وفي الأزقة
انتهت الحروب الآن
وباتت الشمس على بعد قوس من الأرض
ولم يعد هناك سوى الألم
ما جدوى كل هذا الدم
أمس واليوم وغداً
إلام انتهت كل تلك الحروب
على أي شيء تفتشون في أدمغتكم الكبيرة الوسخة
ولماذا تقفون أمام الكؤوس في الكنائس
والأديرة وتناجون الرب
ليل
نهار
ها هي عصاي قد انكسرت
ورجلاني قد تحجرتا من التعب
فلتسو الأرض بالسما

طالما أنه يغني هناك
يزعق
ويزمجر
ويربط في كاحليه الأبيض الضحك
والنسيان
بكلايات من خشب
ومُحَرَّقاتُ
حتى كلابه الوعرة هي الأخرى
ما عادت لتخيفني
أكثر من حشرة على المراحيض والأرصفة
ولم تعد صورته
التي يخبئها على الجدران
والنوافذ
وبلاطات الكنائس المعلقة وغير المعلقة
والأدمغة الكثة للغة
سوى الوطاويط
والجعران
تلك الوطاويط التي يخوفون بها الأطفال في الليل
وغرف الدفن
وفي النهار يصنعون منها طائرات ورقية
ويرسمون صورتها على الفقايع الوسخة
للعقل الإنساني
والعمولات المعدنية التي يشترون بها
حبات الفاصوليا
وحفاظات أطفال
لعل البحر الكبير الواسع
يبتلعه الحوت الأكبر!!

براد الشاي

قريباً

سنتتهي من عمل كل هذا النهار
ربما لنتمكن من إصلاح إحدى قصائدك المعطوبة
على فردة حذاء
أو عجلة كاوتشوك
ربما يتطلب الأمر أن تجرها وراءك لسنين طويلة
من المشرق إلى المغرب
ومن المغرب إلى المشرق
وأنت في حاجة إلى الدواء
والتسليية

- أقصد تلك القصائد المعطوبة -
ولا تفكر أبداً في طائر النسيان العجوز
هذا الذي يحلق دائماً تحت قدميك
على أمل أن يصلحوا لها
نظارتها المستعملتين
هناك في مستشفى المجانين
أو عين شمس التخصصي
لكي تعيد اكتشاف الجغرافيا والتاريخ
وكذلك الحمض النووي للمجرات
وبقية الكواكب
بين فخذي امرأة
ترقد عارية على سرير الوحدة
وهي تحرق جيداً إلى براد الشاي
وتشبه أحد المناطيد الورقية
في حكايات ألف ليلة وليلة
عندئذٍ تقول لنفسك وأنت تضحك من قدميك
المبللتين بماء البحر

من ذا الذي يجرو أن يقول
عن إحدى حملاته العسكرية المدججة بالميكروبات
والفحم
أن الرب يحتاج إلى عملية تجميل في الوجه
أو تغيير في الركبة الشمال
و إصلاح الفص الأيمن من المخ
كل ذلك فوق كرسي متحرك
من كراسي أصحاب المقامات الرفيعة
أو ذوي الاحتياجات الخاصة
والنسانيس.

دوائر عطية

حين جلس على طريق مكة
ذات نهار صائف من شهر آب
وهو يراقب سلسلة القوافل البرية
من الجمال والحمير والبغال
التي تعبر في رحلة الشتاء والصيف
مرة إلى الشام
وأخرى إلى أرض اليمن
في درجة حرارة قد تصل أحياناً إلى حد الجحيم
سأل
لماذا لم تكن هذه المدينة مثل سائر المدن
التي رآها طوال حياته
وأثناء عبوره في كل تلك الصحراوات المترامية الأطراف
من مكة إلى مدن الشام
ومن أرض نجد إلى صنعاء
هناك
حيث بساتين اللوز والمشمش

والتفاح البري
وعسل النحل
والزيتون
والرمان
والجنت التي تجري من تحتها الأنهار
والأنهار التي تجري من تحتها الجنت
من الشمال إلى الجنوب
ومن الجنوب إلى الشمال
ناهيك عن البنات الأسطوريات
واللائي كن يتراءين له في الحلم واليقظة
وهن يتخطرن في ملاءاتهن الحريرية
والمحبوكة على أجسادهن
كالتمثيل
والوشم
في دمشق
واللاذقية
والرقة مدينة عشتار المقدسة
وكذلك على أرض الفينيقيين العظام
التي تشبه عرق الجنة
والتي تتغنى بالحسناوات من النساء الفارحات
والصبايا
كأنهن اليواقيت والمرجان
أما عن الولدان الذين يمشون في الشوارع الخلفية أو
يجلسون على الأرائك كالتحف المزركشة
وفي أيدهم مزاميرهم ودفوفهم
وهم يغنون ويرقصون
مثل الحمامات
أو كأنهم ملائكة الرب وقد هبطوا إلى الأرض فجأة
وخيطوا الشمس إلى جباههم

بضحكاتهم التي تشبه حبات الكرز
وأجسادهم التي تتفوق على البللور
والزمرد
فحدث ولا حرج
الأمر الذي يمكن معه للرائي
أن يرى الماء وهو يتحدر من حناجرهم
إلى كافة شرايينهم
كأنها الأنهار التي تصب في الأنهار
والبحر الذي يجري إلى البحر
ولا يحتاج الرائي كذلك - إلى سعة أفق - وهو
يحدق في السماء الواسعة
ليتطلع إلى النجوم التي تلمع
والشهب التي تنتقل من مكان إلى مكان
إذ ذاك
تذكر حياته التي أنفقها فوق هذه الصحراوات
وهو ينتقل من بادية إلى بادية
ومن وادٍ غير ذي زرع
إلى وادٍ غير ذي زرع
خلف الأغنام
والزبل
وليس ثمّ غير السحالي والشعابين
التي تبخ سمها وتبحث عن فريسة
والشمس التي تأكل صدره
وتجعد أرض روحه المرحّة
وخلفته هناك كالخرقة
من الجوع والعطش
كذلك تذكر عمه الذي كان يلفه في بردة
من الصوف
في ليالي الشتاء القارصة البرد

والذباب الذي كان يتنطط على السكك والشوارع
هناك في بطن مكة
ليأكل أي شيء وكل شيء
ولا يترك في الحُفَر سوى حبات التمر الناشفة
وتذكر أمه التي تركته في يد مرضعة أجنبية
على ما يذكر كان اسمها حليمه
وظل لسنوات لا يعرفها أو يتذكرها
إلى أن ماتت في ليلة جهنمية بالتيفود
وتذكر كذلك الدم الذي كان يسيل للركب بين القبائل
من أجل جحش هارب
أو بئر فارغة
أو حتى نخلة ضاوية
وأن السنوات التي أنفقها في هذه المدينة
سوف يأكلها الرمل
ويسفها الهباء
واللامعنى
في قلب كل تلك الصحراوات
التي تغص بالعفاريت
وقردة البابون المفترسة
إلى أن رأى ذات ليلة ذلك الحلم
الحلم الغريب الشامخ
والذي ظل يطارده لليلتين كاملتين
كأن ملاك الرب الحارس
يشق صدره
ويخرج قلبه من جوفه الذي رآه كاللؤلؤة
وأخذ يمص منه الدم حتى أصبح القلب
كالبذرة
ثم أخذ يغسله بالثلج والبرد
وهو مغمى عليه

إلى أن أعاده إلى صدره الذي انشق إلى نصفين
و أخذ ينبض كالذبيحة
وأمره أن يصعد إلى الغار هناك في أعلى الجبل
لمدة أربعين ليلة
تماماً كما فعل موسى على الطور
وهناك سوف يتجلى له ملاك الرب الحارس
كما تجلى لموسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب
من قبل
وقال له
لك ولنسلك أعطي كل هذه الأرض
وكما أمر نوح النبي أن يصنع سفينة
وتجري في البحر بأمره
من قبل أن يأتي الطوفان
أنت نفسك سوف تكون طوفان كل هذه الأرض
وكالسفينة التي تبخر فوق الرمل
سوف تلقى بقلوعك
ومراسيك
كلماتك سوف تنحفر على الصخر
وضحكاتك سوف تحتفظ بها الريح
كل ما تقول أو تفعل
سوف يردده العالم من بعدك
وسوف تصبح أسطورة من الأساطير
التي تغير وجه التاريخ والزمن
سوف تقعد بمفردك على دكة خشبية وتحت عمود الخيمة
يضيء وجهك
وإليك سوف يشير كل عابر سبيل
الآلاف سوف يهتفون باسمك
والملايين سوف تتبعك إلى أي مكان تذهب إليه
بأنيا بك

وأظافرك
سوف تصبح ملح الأرض وسوف تنحت جوف الصخر
ومن كل ثقب إبرة سوف تنفذ
بكلماتك لا بعصاك
سوف تغير وجه الكلمة
الكلمة التي هي أنا
لأنه في البدء كان الكلمة
وفي الختام كذلك يكون
وسوف تصنع أنت الآخر فُلُكًا
ولكن هذه المرة من الفقراء
والمعوزين
لكي تبخر فوق الأرض
التي لا تصلح فوقها أي سفينة
وأن الرب لا يكرر نفسه
ولكن لا تجرب الرب إلهك الحي أبدًا
وسوف تأتي الجنات والأنهار
إلى بطن مكة
وكذلك سوف تأتي الحسنات من النساء
من كل فج
لكي يطفن حولك
ويتمسحن بالتراب الذي كنت تمشي عليه
ويشربن من نفس البئر
التي كان يشرب منها قبلك إسماعيل
وأمه هاجر في قلب الهاجرة
يطفن حولك
وهن يضربن بِخُمُورهن على جيوبهن
وسوف تتحول هذه الأرض في يوم من الأيام
إلى معجزة من معجزات الرب
وإلى جنة من الجنات التي تسحر اللب وتدير الرأس

تحت كل هذه الشمس الحارقة
لكي تكون هناك معجزة في قلب الصحراء
وبين كل هؤلاء الوحوش
من الأعراب
والبدو الرحل
سيختفى أثر الجمال في الرمل
وتحط الطائرات
والحوامات
وستفيض الأرض بالنفط
بدلاً من السمن والعسل
أو المن والسلوى
وسوف يقصدها كل عارف وصاحب تجارة
وسوف تعج الأرض بالصلوات
واللبن
أرض خير تكون
وتحت سماء تحرس وترعى
ومثلما تجلى الرب لموسى فوق جبل سيناء المقدس
من خلف العليقة
سوف يجعلك الرب آية للناس
لك
ولنسلك من بعدك سوف أعطى هذه الأرض
أمةً تكون وحدك
وأمةً تبعث وحدك
وخلفك مدن وشعوب
تسير في نفس الطريق الذي تسير فيه
وسوف يقتتلون على كل كلمة تخرج من فمك
ويؤلون كل حرف يقول به لسانك
هنا أخذ النبي يفرك عينيه
ويصرخ في قلب الغار

أين أنت يا رب موسى
وهارون
وما هو شعبي
وامرأتي عاقر
ولم يبق لي ولد على الأرض ليرثني!!

جراند كافيه

على نفس المقهى جلست من عدة سنوات
وعلى نفس المقعد الذي لم يتغير لونه
شربت شايا بالنعناع
والسكر
وأكلت شطيرة من البطاطس واللفت
وأخذت أدخن النرجيلة كسائح ممتقع
والتي كان دخانها يعلو إلى السقف وهي ترسم على الحيطان
ملائكة

وعصافير وحبّات سجائر
وأنا أحرق إلى الشمس في الزوال
هنا قد جلس سمير حويدق ذات ليلة
وهو يراجع حسابات البورصة
وآخر أسعار الأراضي
والشقق المفروشة
وهنا أخذ سيد جامع يطارد الفراشات
والنمل
وهو يضحك من عامل البناء الذي سقط من على السقالة
مرتين في يوم واحد
وهنا صفع سيد عبد الحميد امرأته
التي جاءت بأولادها السبعة لتطالبه بإيجار الشقة
وئمن الخبز

ومصاريف المدارس
وهنا ضيع رجل مفاتيح شقته
وبات ليلة بكاملها
تحت السماء الملبدة
بالغيوم
وقد طلق امرأته بالثلاث
وهو يلعن اليوم الذي صارت فيه امرأته
هذه الغسالة الكهربائية
وهنا جاءت امرأة مومس وصويحباتها لكي تعرض
بضاعتها المزجاة
على الرجال
لقاء عدة قروش
أو زجاجتي بيرة
وهنا مات عامل المقهى فجأة
وهو يقدم الشاي
إلى زبون أخرس
ونقلوا جثته إلى الأرض المجاورة
وغطوه بالشمع
وعلب الصفيح
في هذا المقهى
وعند هذه الظهيرة بالذات
لم أت إلا لأن أترك ذكرياتي الشامخة
للذباب
والعتة
وأنا أحرق إلى صورة في الجدار
لامرأة وقفت في الشرفة وهي تلوح لعصافيرها
التي راحت تزقزق لطير طليق
وأنا أَلَمُ الزمن في جيبي
وأدلقه في أول مقلب زبالة

وأقول لنفسي
لقد شهد هذا المقهى المنحوس عدة حروب
وشفاعات!

سانت تريزا

في شبرا ترقد كنيسة الرب
كعملة ذهبية
على جدران الزمن
سانت تريزا القديسة التي وهبت جسدها
لكل عابر
وقالت : الجسد للذة
ولا شيء مقدس سوى الروح
وأن الله لا يسكن بين المقابر
ولا يقيم بين الأضرحة
وإنما يسكن في اللامكان
هنا
أو هناك
حيث البحر الكبير الواسع واللامتناه
لشرنقته الكبيرة لفوهته المفتوحة
حيث الزمن هو اللازمن
واللامكان هو المكان
واللازمان هو الزمن بالحقيقة
أو ربما يسكن في برج من أبراجه الشامخة الرفيعة
حيث السماء التي تمتلئ بالنجوم والسحب
والملائكة المقربين
ولا يمكن أبداً للشيطان التعس أن يقترب منها
ولو لشعرة
وأن الله لا تدركه الأبصار

وهو يدرك الأبصار
ولا أحد يمكن له ان يشاركه في هذه الوحدة السامة إلا سمك الوحشة والابن
المصلوب
أما عن الروح القدس
فلا أعلم أين يسكن
ولا ما هو بالأساس
وإن الصورة دائماً تسكن في الصورة
كما يسكن الضوء في الضوء
وإن العالم ما هو إلا الحجاب الأكبر لذاته
تماماً وكما يتخفى الجسد في الثوب
وكما يحجب الثوب صورة الجسد
أما الروح فهي تلك القوة الدافعة لكافة العوالم
وبملاعق النشوة والتراب
ظلت تتقلب بين أذرع الرجال
فمرة يأتونها من أمام
ومرة يأتونها من الخلف
ويتداولونها كالعملة الزائفة
إلى أن أصبح الجسد كالخرقة
وأخيراً قررت أن تنقي الثوب الأبيض من الدنس
وأن تبحث عن الخشبة التي في عينها
لا عن القشة التي في عين الآخر
فيما أعطت الرداء كله
لبائعة جوافة
وفي ليلة باردة
قررت أن تذهب إلى المسيح بمفردها
ومعها كافة القطط والكلاب التي
كانت تربيتها على السطح
لتشاركها السرير

والأورجازم

وهناك

وعلى جبل الزيتون قابلهما الرب

وهو يقول : لن أغفر أبداً لخاطئة

فقررت أن تعود إلى شبرا بالذات

وتفتتح كنيسة للمغاربة

إلا أنها وبعد طول انتظار

قررت أن تكون

محطة مترو

وفي قلب دوران شبرا

حيث باعة الروباييكيا

وعربات الفرولة

التي يجرها الذباب

فيما لا يقف على الأرصفة

إلا صف طويل

من الذئاب البشرية ؟!

القديسة التي ظلت تلعب الحجلة

وتتنطط مع القطط و العصافير

وتمسح شعرها بالدهن

وزيت الخروع

والكافور

وفي كل ليلة تضع على رأسها تاجاً من الشوك

لكي تجرب لحظة الصلب الأخيرة

وتقف فوق رؤوس المسامير وهي في النزاع الأخير

إلى أن صعدت إلى السماء السابعة وحولها جوقة من الملائكة

فوق سلالم من جريد النخل

وبكاء الأمهات

والخروع .

خان شيخون

إلى
جماليات عبد الحفيظ

(1)

تنسدل الأنامل
يأكل الشَّعر شكل الشجرة
تلعب العصا المرجيحة
زغلول يضرب الأرض بالفأس
والزمن راكد
وما ثم فرق .

(2)

سهول الأنااس
تلك التي يرتفع زئيرها على الطرق
ترقد هناك
مضرجة بدم الأمس
ومشاغل السماء العنيدة
ولا أثر حتى لنملة مقلوبة
تحت سفح جبل .

(3)

من يأخذ الروح من سباتها السهران على شفا جُرْف هار
ويدع العتمة تتمشى على ساحل الذاكرة الخربة
هناك إنسان فقد الذاكرة
وتبوأ شجرة الأمل
بلا منازع يطل الله على الكون
ليكشف عن ضراوة الربيع
الذي يصهل في الكهف
وبمفرده يأكل الذبيحة .

(4)

في ربيعها الأسود جاءت شجرة التوت
إلى الساقية العمياء وشمرت الأصابع
الساقية كانت مهجورة
وتلعب بالشخص مع تل من الفئران والقطط
قالت: أما آن لك أن تنقلي الماء
إلى الأرض أيتها الكسلانة
قالت الساقية المهجورة
أنا هنا ألعب الحجلة
مع العصافير في الليل
وبالنهار أغسل ثيابي القطنية المبقعة
بحباتك الملونة
وأئنزه وحيدة
على الكوانين .

(5)

شهر وأسبوع ويوم وثانية
وأنا أتنقل من مقهى إلى مقهى
أطارد الكلمات على الأرصفة
وأسهر أنا والحروف حتى منتصف الليل
دائماً
دائماً
الكلمات تهرب مني
مثل وحوش متناطحة
والحروف تنفصل عن القواميس
مثل بقر جامح
ولا أجد في فمي غير غسيل الأطباق
والملاعق
ووسخ المائدة
وأظافر المارة التي يتركونها لي

في فناجين القهوة
وأنا أفحص الزمن
تحت أنيابي
مثل قملة
وأقشره على سطح المنضدة
لكي يشرب من نفس الكأس
أو يجرب اليأس.

(6)

فتشت في دولابي القديم عن صورة لك
أو لتلك المرأة التي غالباً ما كانت تأتيني في الأحلام
في صورة فراشة
أو عين شمس
وأنا أهشها من الذاكرة
مثل كبش أملح
كانت صورتها بالفستان الأزرق
ونهدها البرتقالي اللامع
وضحكتها الخضراء
وردفها الصيدلاني الأملس
هي التي تبعني إلى السرير في ساعة الأورجازم
وعندما كنت أصحو من النوم
كنت أجد نفسي
مثل برتقالات في فم الملائكة.

(7)

عنقود عنب كان صدرها
تفاحة آسيوية كانت شفتها
بلبلاً إفريقيًا
كانت نظرتها
وأخيراً كانت تقول لي عن نفسها
وعندما نأوي معاً إلى الفراش

أرعى في خمائل الطيب
وعلى جبال المرّان
أتنزه بمفردي
أنا والسواسن
ولا أعطي نفسي سوى لعاصفةٍ
إلهي
متى تأخذها الغفوة
لأنام!!
(8)

في طرحتها السوداء شبكت قمراً
وخرجت من الدار
كان الوقت ليلاً
والنجوم تتسكع على الطرقات
وهي تتخفى في كوفية شيخ القرية العجوز
المرأة التي وهبت نفسها للحكايات والأساطير
وأوت هناك إلى الكهف
لكي تقابل الله
على سفح جبل
وتنتظر حبيبها الذي كان يجمع حبات
التوت
والجميز لكي يأتيها الربيع
في بدلته الخضراء
من أجل أن يرعى معها الماعز والأغنام
في حديقة الأغراب
ويجلسا معاً على الأرض تحت شجرة
جميز
ويشربا من عين الكوثر
ويثرثرا معاً عن الله
والتحاريق.

(9)

ألف قبلة في الهواء
إلى ألف شبح
ولا أثر هناك لتلك المرأة التي تلفلف الجسد
بالمحاريث والرغوة
في متاهات اللذة
ثمّة مسمار ويغرس أنيابه الحادة
في فنجان الشاي
الذي أدلقه على الطرقات
مثل خبز أسود
ولا يبقى غير دمي الذي يتقافز
وبكاء عصفور على الغصن
يشرب وأئن .

(10)

في هذا النهار
قررت أن أراقب الغيوم
كانت الغيوم أحصنة وتركض في الحقل
عبر السماء المحملة أصلاً
بالنجوم
ونفايات الأرض
وبقايا طع الخريف .

(11)

أمس أمسك أبي الشرشرة وقال :
سأجز عنق هذه الشجرة الملعونة
ضحكت الشجرة ومالت على الغصن
وقالت : لن تأخذ مني أي شيء أيها الشرير الأحمق
هناك سمكة وتلعب في البحر
قد ضحكت لي
وأنا عارفة بمواعيد الفجر .

(12)

ناريمان

التي أحبها القلب مثل طفلة
على دكة المدرسة الخشبية
وهناك تحت شجرة الأضاليا
ظل يغنى إلى الفجر !

ناريمان

ما زلت تجلس على نفس المقعد الخشبي
وهي بمريلتها القطنية
في الصف الخامس الابتدائي
بعينها الخضراوين
اللتين تتفوقان
حتى على نضرة الربيع
وصوتها الذي يسكن في شمال الذاكرة
مع جبال الروح
ومدرس الفصل الذي ترك حصّة الرياضيات
وأخذ يجري وراءها
وهي تطارد الفراشات
والفل البلدي

ناريمان

ما زلت أتذكرك أنت أيتها الحبيبة بالذات
حتى وأنا على مشارف السماء
وصوت عينيك اللذين يغسلان نأليل الزمن
حتى عن المخيلة التي راحت تتأكل
بفعل الطبيعة الشرسة
والززلخت

ناريمان

ما زلت تلك اللؤلؤة
التي تبحث عن البحر

في فنجان القهوة
أو تحت عجالات سكة حديد!!

جمجمة اسبينوزا

صلواتك
التي لا تصلح لإيواء فردة حذاء
في رجل كلب ميت
تتعالى إلى الرب في الليل
مثل خيمة بني إسرائيل والتي كانت في يد هارون بن عمرام
وظل يحملها في التيه
لمدة أربعين سنة
أو مثل أيقونة مجوفة
من غسل
وبرطمانات!!
ولأن الرب لا يسمع عادة للفقراء
والمعوزين
وأبناء البرابرة
لقد أغلق في هذه الساعة أيضاً
دكانه الذي كان يدير منه العالم
ودهاليز قصره
وأمر حراسه وملأئكته أن يكونوا شديدي اليقظة
ولا يسمحوا لأي حشرة من حشرات الأرض
أو أي عابر سبيل
من مَلِكٍ
أو شيطانٍ رجيمٍ
أن يقترب من أبواب حصونه المصفحة
وجناته الرائعة
والتي يسكن فيها بمفرده

ولا يحيط به سوى الحسان من الحور العين
والولدان المخلدين
حتى يخرج الجمل من سَمّ الخياط
ودخل لينام
إلى أن تقوم الساعة
أو ينفخ ملاك الرب
في البوق!!

ثمستوفيس 525-418 ق. م

قلدوه بالأوسمة والنياشين
أعطوه البحرين الأحمر
والأبيض
ذهبوا به بعيداً في مراكب الصيد
وجاؤوا له من آسيا الصغرى
بأجمل الجميلات
صوفيا
التي لا تضاهيها امرأة فوق كل هذه المعمورة
وحلّوها بأساور من ذهب
ويواقيت
ومن خلفها كانت آلاف الجواري
والمغنيات
والكهنة وعازفو الدفوف
والمزامير
وعندما أعتلى العرش للمرة الأولى
قال في خطبته الوحيدة
والتي كانت بمثابة خطبة الوداع
أختلط الحق بالقوة
واختلطت الثروة بالسلطة

وسارت العدالة كلمة منبوذة
وجافية
الآلاف من الأنبياء الكذبة
يدرون في الشوارع
في انتظار المخلص
ولا إله هناك ليتحرك
في الصبح وجدوه مقتولاً
والدم يبك من شفثيه
وإلى جواره صوفيا الغانية اللعوب
وفي قدميها فردتا حذاء من أذربيجان
وعلى سرتها وشم للإله
توت عنخ آمون
الإله الذي كان يحمي حياتهم
ويحفظ سلعهم
ويدفع عن ماشيتهم كل طارئ أجنبي
وكان رضاه رحمة للناس
وغضبه نقمة
ومتلفة لهم
وجدوها ميتة
بينما ذهبها لم يمس
وهي جد عذراء
وشبه عارية!!

عزيمة

لا

لن أستسلم لليأس
سأغني
نعم سأغني

سأغني للبحر بنفس صورة السماء
والتي تلبس جلبابين على جسد واحد
وهي تتأرجح على جناح وردة
سأغني للسماء
وهي تنحدر على صرة البحر
مثل عصفور وينقر في الصخر
وسأقول للهواء
سلاماً أيها الهواء المشاكس مثل قبة
لسحلية
وهو يمر على ساقيك المعطرتين
سأقول سلاماً للربيع وهو يقف على شفتك السفلى
ليتطلع إلى النوافذ والجدران
ويتذكر النجوم
والكواكب
ويأخذ في البكاء فجأة
وأنا أهتف من فرط الرغبة
يا لك من امرأة
ومعطلة
سوف أخلع عني ملابس الحزن
وأفرد صدري لكل طائر يعبر
إلى عين الشمس
وسأنتظر حبيبتي طيلة النهار هكذا
إلى أن تأتي
وسأتناول عشائي بمفردي
أنا ودموعي التي أتركها على الطاولات والمقاهي في الليل
ليكنسها الكناسون
وعمال المراحض
وسأرسم صورتها على الدواليب
ونوافذ العمارات

والسحب
وسأقول لنفسي
ربما عطلتها إشارات المرور
أو مؤشر البورصة التعس
وسأهتف في وجه الزمن
أيها المراوغ اللص
أغرب عن وجهي بعيداً
أو ادخل إلى كهوفك الليلية الملائنة
بالعناكب
والمخللات
أو أغرق في أنبوبتك العمياء
فأنا

لن أخاف من الموت بعد الآن
وسوف أجلس على نورج من نوارج الرب الرنانة
وأقول لنفسي
أليس يكفي أنني قد عشت
ورأيت الشمس وهي تخرج من خلف الأفق ذات مرة
وتخلع ثيابها اللازوردية بجسدها الشفاف والمشير للفتنة
وتتخفف من ملابس الإحرام والنوم
لتنزل إلى شاطئ البحر
لكي تستحم
أو تبحث في الأعالي عن الصدف واللالئ
وهي تهب للسماء الراسخة في الممر
ضحكتها الخضراء!!

لما رحلت أُمي

لما رحلت أُمي
جلست إلى حائط وبكيت

أدرت وجهي للسماء
وقلت : لماذا ؟!
كان أبي الذي عاد هو الآخر من الحقل
وعليه جلبابه الصوف الذي امتلأ بالروث والقش
ويجلس منزوياً في ركن البيت
وهو يرنو إلى حمارة العجوز
وإوزة المنحرف دائماً عن العادة
ولا يجد حتى من يحلب له شاة واحدة
ليشفي ظمأه
أو يبيل ريقه
وظل ينظر إلى حمارة الذي صار ممتقعاً من الحزن
وقد امتنع عن الأكل ثلاث ليال سوياً
إلى أن مات
ولم أشأ أن أبحث في غرف البيت الفارغة عن أمي
ولم أسأل عن ثيابها القطنية المبقعة بالزيت
والخروج
وأساورها المدلاة على الحائط كعلبة صفيح
وبعض أغنياتها التي تركتها على الكانون
والفرن
ولاعن شالها الأرجواني الذي استلفته من جارتها الشابة
وأما العجوز
لتذهب به إلى مدينه نائية
وعندما سألت أين ذهبت أمي
قالوا لي :
إنها عروس السماء في هذه الليلة
وقد ذهبت إلى الرب
إلى مدينة الموتى المقدسة
في رحلة لا تعود منها أبداً
لتجلس هنالك على الأرائك المصفوفة

والنمارق التي تغص بالولدان المخلدين
وأنها قد صارت حورية
وتمسك في يدها بالمزامير والدف
وتحيط بها الملائكة من كل جانب
وأن ملاك الرب الحارس جبرائيل قد خصص لها مقعداً ثابتاً
وقريباً من الرب ذاته
في انتظار أن تتعلم الرقص والغناء
على ماندولينه الضخم
لأن الرب الذي يصير شاهداً على كل شيء
سريعاً
وبطرفة عين
يضع أمام الذاكرة ما يقنع الضمير
أو يعاقب عليه
أمي!!
أمس
طارت الحمامات كلها من البيت
ولم يبق في صوامع الغلال
ولا حبة قمح .

كراسات اللامعنى

لم يكن يعرف أن الشمس يمكن أن تتنكر له أو تبصق على رقبته
وأن القمر سوف يظل لليلتين كاملتين عالقاً بشوبه
وأن إسحق ذلك الضرير الأعمى
سوف يمنح بركتته لأخيه الأصغر يعقوب
لقاء فخذين من الماعز
وقنينة خمر
وأن الجميلة رفقة زوجة إسحق
سوف تشترك هي الأخرى في المؤامرة مع الرب

بعد أن تغطيه بجلد الماعز والأغنام
لا لشيء
إلا لأن يعقوب كان الأكثر وسامة من أخيه
وأن زوجة أخيه عيسو كانت أكبر بغي
في أرض كنعان
وأن ما تختاره الأم
سوف يختاره الرب كذلك
وهكذا
ظلت أسطورة الرب المباركة
تنتقل من جيل إلى جيل
و من جبل إلى جبل
إلى أن استقرت في قلب أورشليم
مدينة الرب العاصية
وإلى أن دخل يعقوب إلى أرض مصر
واستولى يوسف على أرض جاسان ومخازن الغلال والزيت
أما فوطيفار
فقد أعطى ليوسف
امراته محبوبته
وظل عاطلاً عن العمل
إلى أن مات.

محطة مصر

أنا

محاصر مثل بصلة ناشفة
ومركون على الرصيف مثل كلب يعوي
من يعبأ بي
القمر!
الشمس!

النجوم!
لا أحد

سوى روعي التي تتآكل بفعل الإهمال والندم
أقضم الفراغ مثل ثمرة حامضة
وأنتشر على الأرضفة مثل مصاب بالصدفية
أفسحوا لروحي طريقاً أيها القتلة
فأنا مقبرة كونية
في جوفي تسكن القطط الشرسة
والكلاب الضالة
وربما عقارب الساعة
أيضاً.

الطائر الأعمى

في البناية المجاورة للمقهى الذي أقيم فيه
طيلة النهار
يقف طائر أعمى
فتلقى إليه الشبابيك بتحياتها الإسفنجية
ويترك له المارة على الرصيف
عملاتهم التي تشبه الدبابيس وقطع الشطرنج
وفي الليل يضم الطائر جناحيه
ويقف شابكاً الوحدة
في براد شاي
وعند الفجر
ودائماً عند الفجر
تأتي أنثى الطائر الأعمى
لتقلده بوشاح
من حرير أبيض
ولتطعمه بقمها البردان

وتفليه من الخيالات
والأساطير
التي ربما تكون قد علقت به
أثناء عمل النهار
وربما، تبدل له ثيابه القطنية التي وسّخها المارة
وبقّعها بحبات توته السوداء.

أصدقاء

في الحانة التي تقف على حافة الصحراء
كنا خمسة
الأول قال : أستطيع أن أجرجر السماء
من رقبتها
الثاني قال : أستطيع أن أجعل الشمس
تسكر معي على هذه الطاولة
بالذات
الثالث قال: في زهرة البستان
هناك من يلعب الحجلة الآن
داخل إطار سيارة فارغ
ويدخن النرجيلة فوق فنجان
شاي
الرابع قال: يوماً ما سقطت في بئر
في قلب هذه الصحراء اللعينة
وظللت هناك ألف سنة
والتقني بعض السيارة وباعوني
في سوق الرقيق بمصر
كعلف زائد عن الحاجة
وهأنذا أقلب طرفي في السماء
فلا أرى سوى قمر أسود

وأفلي رأسي من البراغيث
والقمل
وأسكر - معكم - سكرة
جهنمية
أيها السفلة!!
أما الخامس فقال : لا أملك إلا نفسي وأخي
وأمي تبيع الدقيق المسروق
في سوق الخردة ونام معاً فوق أسطح البيوت المجاورة
لمنزل قرب جامع الرفاعي
فيما لم أعد أصلح لأي شيء
سوى الضحك والنسيان
وممارسة اللذة في بئر السلم
وهأنذا الآن أمامكم
أقشر البيض الفاسد
وأبيع اللب والفشار
في سوق النخاسة
الكوني
هذا.

عجلة الحظ

انسي يا عجلة الحظ السيئ
انسي
واتركيني - بمفردي - على هذه الطاولة
ألاعب الفراغ بالأرجل
والأعضاء التناسلية لملك الذباب البستوني
وأختار زهرة نردي الوحيدة
في حقل السبانخ واللفت هذا
وحولي تقف الأشجار شامخة

والسماء تصب رخامها الأبيض
في الطبق
الذي أتناول فيه طعام إفطاري
أرفع ذراعِي لأحيي
الطاولات
والمقاعد
والقطط الرابضة هنالك في الظلام والضوء
وأهتف للأرصفة المجاورة
والبنايات التي لها شكل المشابك
وأهب للأشجار البلاستيكية
سلام روعي العميانة
وأرغفة خبزي الناشفة
في ساعة الظهيرة العدوذة هذه
من يأتي ليقول لنا أي شيء
عن النهاية المأساوية
من هذا الفيلم
الدراماتيكي!!

القصائد

سئمت من كتابة القصائد
زهقت من عمل الشعر
القصائد خائنة
أو قليلة الأدب
متمردة
وبنت ستين كلب
تنفجر في الرأس
أو في المخيلة
أوه ...

أيتها القصائد اللعينة
لو أملك فأسأ لكسرت رقبتك
وجريت خلفك في الشوارع والسكك
وأسلمتك إلى يد الحلاق
ليقلم أظفارك
أو يقص لك شعر رأسك
أو لحطمت أضلاعك
وحفرت لك
نفقاً في الأرض
أيتها القصائد اللعينة
تصبحين على خير
فليس معي غير زمزية ماء
وأنبوبة بوتاجاز
وأنا أنتظر الأتوبيس
الذي سيقلني إلى محطة الرمل
لأشتري لأمي دواء
الروماتويد!!

درب البرابرة

في درب البرابرة حيث يسكن الصاغة والنحاسون
وضاربو الودع والدفوف
وبائعو الأغنام والزبل
أطل الله على العالم ذات مرة
وأمسك في يده بخيوط الكرة الأرضية
التي أخذت تتفسخ بين المحيطات
والأودية
إلى أرخبيلات
ومسابك

وقال : هنا سوف أقيم مسجداً
وهناك سوف أبني كنيسة
وفوق هذه الصخرة بالذات
سوف أبني خيمة هائلة للرعاع
وسوف يأتي الرجال والنساء من كل فجٍ
ليشهدوا منافع لهم
- هنا في درب البرابرة هذا -
ويطالبون بإرثي في الحرية والعدل
غير أنني لا أعطي إرثي لأحدٍ
سوى لنملةٍ مقلوبةٍ
فوق جبلٍ غائمٍ
على سطح الكرة الأرضية
وامرأةٍ وهبت نفسها لملاك الرب الحارس
والذي ظل يتصارع لليلتين كاملتين
مع النبي يعقوب
ودون أن يسفر الصراع عن أي شيء
ولرجل ظل يسكن في درب البرابرة هذا لمدة أربعين سنة
وأخيراً وجدوه مشنوقاً بالحبال على جذع شجرةٍ
أمام منزل سيدةٍ كانت تسكن في حي النحاسين
ومن دون أن يراها حتى لمرة واحدة
أو يقول لها كلمة!!

رجل من تلبنت ابشيش

عرفته حين كان يربي الماعز والأغنام
فوق السطح
وشرب اللبن الرايب مع العصافير والنمل
وفي الصباح كان يفتح شرفته للفجر
ويجلس على عتبة الدار

ليقرأ المعوذتين
وسورة البقرة
في انتظار أن يأتيه مفاول الأنفار
لكي يحل ضيفاً على الطاحونة
أو اليأس
وهو يربط حزامه الصوف حول وسطه
وكانت أمه العمياء
جازية
تجلس في وسط الدار لتتحسس المصابيح والعتمة
أو سلة الخبز
جاب القرى والنجوع بحثاً
عن العمل عند أي أحد
لقاء قطعة خبز أو حبة فاصوليا
ولما لم يجد أحداً يطبطب على رأسه
ظل يدور في شوارع القرية وهو يحمل
سلة باذنجان فوق رأسه المملوء
بالدمامل
والقروح
وكان إذا حل الليل يلعب الحجلة
مع الكلاب والققط في الشوارع
وتحت مصابيح الكيروسين
إلى أن فقد بصره تماماً ونهائياً
ولكنه ظل يبحث عن الفجر
الذي خبأ الوردة
في سرواله!!
في الوقت الذي كان فيه نجيب محفوظ
يتحدث عن الأعمى
طه حسين
في ممر بهلر

وتحت مصابيح الشوارع
الهاربة.

درية شفيق

فمها كان يشبه عنقوداً من العنب
أو تفاحة باذخة إلى جوار سلة خبز
وحبات فراولة
عينها تملك ذهبها الخاص
الذي لا يخضع للمعدن
ولا ينتمي لآليات
الحفر
صدرها كان يشبه سفينة غارقةً ونديها كانا قوسين من الذهب
الأحمر واللغة المنقوشة على برج بابلٍ
والمحيطات التي تغصُّ بالشعب
المرجانية
وأسماء الزينة!!
على معصمها ترقد فراشة ذائبة
في شفيتها الخلخاليتين والخاليتين
من الكذب!!
لا تحدثوا الربيع عن فستانها الذي اشترته صدفه
من حقول البرسيم والقمح
ولا تحدثوا جيداً إلى القمر
فقط انظروا
إلى ساقها المعجونتين من الذهب
والكمنجات
وإلى رديها اللذين ينبعجان
من على دكة الفجر العارف
هذه المرة

على سرتها لا ترسم غير شمس لاهبة
ولا تسكن سوى في الصعيد الجواني
ذات نهار صائف من شهر برمها - وجدوها ميتة -
وقد سقطت من شرفتها في حي الزمالك
حيث حيتها الأرامل
والمحجبات
هذه الأيقونة التي تنسكب في النيل
وبجوار برج القاهرة
تضحك النجوم دائماً لنظرياتها الفلسفية
في الأورجازم
وتنوع الطبيعة
أكيد
لم يكن جورج حنين يعرف أنها
سوف تتعلق في كم سترته البردانة
وهي اللامبالية دوماً بالشعر
أو بول فيرلين!!

أنا تعبت من الغناء

جريت وراء الله في السكك
تابعته في قاعة المحاضرات
أسكنته في غرف القلب وهو يوسع
الشرابين والأوردة
ويسكن في الوصلات الكهربائية ما بين
العين والدماغ
قرأت عنه في ترجمان الأشواق
وحدائق النفري
وصعدت خلفه إلى جبل الزيتون
وحواري القدس العتيقة

هناك في مدينة أريحا
وبيت لحم
وعلى جبال حاج عمران
ومندلي
دخلت إلى مدين
ومنها إلى مدينة أفلاطون المقدسة ذات الألف راية
حتى تشققت قدماي في السكك
وانحلت أربطة نفسي
صعدت إلى غار حراء وأخذت أردد الصلوات
حتى انفطر قلبي
حافياً توضأت وصليت
إلى أن يُح صوتي
شمرت ساعدي وقلت أقرأ فصوص الحكم
وكتاب الفتوحات
أيقظني في الليل والنهار
وأنا أرتجف من البرد
وأدخل في كهوف الوحشة
إلى أن جف حلقي
طاردتني الكوابيس بالليل والنهار
وأنا أفتش عنه في الكهوف والمغارات
وبين أعالي الجبال تركت مناراتي
وأوردتي
سال دمي على الأرض
وانفرطت أجولة ملحي
حتى على الحجارة
والشوك
بقعت بدموعي كافة مخداتي
وانغرزت في داخل روحي شوكلاته
المعدنية

ألف مرة خبطت رأسي في الحائط
حتى تشججت أوردة نفسي الملائنة تعباً
مسحت كافة دورات المياه العمومية
وغير العمومية
وقلت : أذل روحي عساك أن تمر
أو تهدأ
فلم أصل إلى شيء
سوى سراب بقية
يحسبه الظمان ماءً
لم لا تأخذك الشفقة بي أو ترحمني
أين هي قطعانك وأنا أسير خلفها
في السكك
أين هي محلاتك أو شركات بيع مصنوعاتك
فأعمل بائعاً لقمصانك
أو لشرائعك
لا فرق
بلل شفتي بكلمة منك
خذ بناصيتي أصابني اليأس
ماذا أفعل - أنا - بطواحينك التي تدور على الأرضفة و المعدات
ليل نهار
ولا تطحن سوى عظام روحي
وعلى سنديانة نفسي لا تتوقف
إلا لتعيد طحن أوردتي
وتجرح عنق كلماتي
حصاي مبلل بالدم والخديعة
روحي مجروحة بالضلال
أكلت البعوض والقُمَّل والذباب
عسى أن تنكسر رحي نفسي الخرسانية
شربت من مياه السواقي

والينابيع
ودرت خلف سواقيك المعطلة لألف عام
أحذيتي أكلتها العتة
وكسّرها النسيان
نظّاراتي فقدت شمسها المطلة على اللغة
وانكسرت فوق صندل الدخان
وأوردة المقهى
سألت كل عابر سبيل وشيخ طريق
كان الظل يضحك مني ويستهزئ بي
ويتهمني بالجنون والسفه
أين أنت يا صانع الفخار والعظم
أين أنت يا حابس اللغة في المحابس
ومخارج الحروف
ويا كأس الأنااس
على شجرة الفرولة
تعال
تعال إذن نتصالح
أنت تأخذ مني ما تريد
الجسد
والعظم
المعي والأوردة
الدماء والأطراف
الأصابع والحلقوم
حتى الروح تأخذها مني بلا منازع أو مبرر
وأنا لا يتبقى لدي سوى البراز
والياس
في صحن روحي الوسخ
أطبّخه ليل نهار لأكل منه

أو أشرب !!
شجرة صغيرة أنا
فوق سفح جبل تسكنه الريح
فماذا تأخذ الريح مني
لماذا تأكلني الديدان
والصراصير
وتختبئ في أرض روعي الخفافيش
والزواحف
أنا تعبت منك
فلا تتركني على الطرق
مثل كلب ميت
حبة فروة أنا
فلماذا يداك تفحصاني
اسكن
اسكن إلى جوارى أيها الماندولين العجوز
فأنا تعبت من الغناء
والياس !!

صورة فوتوغرافية لماري كفاديا 1901-1990

(1)

امسكوا القمر من رقبتة
حلقوا جيداً فوق النسر
انكشوا الأرض بالأصابع والمحاريث
بللوا الدمع بالماء
ففي عين الشمس
توجد ضحكة القمر
المنعكسة !!

(2)

في فستانها بقعتان من الزيت
وعلى شفتيها الكرزيتين مجموعة من الرتوش
التي تركها جورج حنين بالأبيض
والأسود
من خلف الستائر والأبقار
وفي الغرفة التي تربي فيها العصافير
والقطط
ثمّة شهرزاد
وتحكي عن النول
ونوارج القش
والبقع الرملية التي خضبت
قلب المحيط.

(3)

من هذه المرأة
التي تسكن بمفردها في حي الزمالك
وعلى الجدران ترسم طير الأبايل
والحجارة التي سقطت من
فم الرب
بينما تعزف على ستارة الوحدة
أراجيح النسيان
والموت
ولا تكتب عن الأمل بغير ضحكة مراودة
فإن لها حبيباً يسكن في الأعالي
وفي كل صباح يأخذ سيارته الفولكس واجن
إلى قناطر إدفو
ليصطاد لها سمكة
بعين واحدة !!

(4)

في كل مساء تمشي على النيل
وهي تحدد إلى الأهرامات
التي صعدت إلى الزمن
على سقالات من فسفور
ومواويل
وهي تهتف للكرافي
وأبي قردان
وسحليات الراعي الصالح
وقطط السيدة زينب
وباب النصر
أنتم أيها الرفاق
أنتم يا من هناك
ماذا عن التاريخ الذي يتبخر في شارع المعز لدين الله الفاطمي
وبركة الفيل
وحي الخرنفش
وأين ترك الزمن أزياءه
ومفاتيحه
هنا
أو هناك
في حي المغربلين
والصاغة
وباب زويلة
ولم يعد يعبأ بكل أولئك الغزاة والقتلة
الذين جاءوا على رقعة شطرنج
من كل فج
وقد لبسوا الجلابية المصرية
والعمامة الخضراء
وأخذوا يدورون في الشوارع

والأزقة
كأنهم مشايخ الطريقة
أو يفتشون عن القرافة ليُصلّوا هناك
صلاة التراويح
بجوار الملائكة .
(5)

ماري كفاديا
وضعت وردة على صدرها
وقالت للربيع اجلس
اجلس أيها الربيع
حتى أعد لك العشاء
وأخبز لك فطيرة من زهرة
عباد الشمس
كي لا تتأخر عني كل يوم!!
(6)

ماري كفاديا
التي ماتت من الوحدة
في غرفة إنعاش وضعت وردة وحيدة من بسنت النيل
وعلى سريرها المصنوع من الكتان والليف
كان يرقد توت عنخ آمون
وهو يضحك للجميلة كليوباترا
بينما راحت درية شفيق
تغزل أغنية من السنط
.. والكافور
للجميلة هيياتيا
وهي تقول للقمر
في كل ليلة عليك أن تمر من هنا
لا تتأخر
أرجوك
399

تعبنا من الظلام والخوف
هياتيا المرأة
التي أغلقت مدرستها الوحيدة
في الإسكندرية
في وجه الآب
والابن
والروح القدس
بعد أن تركها القساوسة للكلاب والقطط في الشوارع
وسحلوها
ومثلوا بجثتها
من أجل ابن الرب البالغ الراشد
يسوع المسيح
رئيس عصبة الزيلوت الأمهر
وعقيدة التثليث
التي لم يعرفها كهنة آمون بعد !!
(7)

المرأة التي قالت لزوجها
- محمود رياض وزير الخارجية الأسبق -
وبعد أن دفنوها في مقابر الصدقة
إنني أعيش بقَدْر مسرحي
المرأة التي كانت عدوة المسيح وأكاذيب الحواريين العتاة
دفنوها في مقابر الصدقة
ولكن الكلاب راحت تنهش لحمها
وهي تصعد إلى الرب
فوق سلالم من أرجوان
وبنفسج
وهي ترسم شارة
الصليب
على رجاء القيامة.

من النافذة خلف السماء الواسعة

أنت سمكة
وأنا صياد وأقف على الشط
في يدي صنارتي
وبيننا بحر
وأمواج
وقواقع
دائماً ما أفكر فيك بعمق
وأنت تنظرين إلى من تحت الماء
ومن خلال جلابيبك التي بقعتها الشمس !!
في كل يوم أذهب إلى نفس البحر
وفي أصابعي نفس الفكرة
وهي أن أدع صنارتي تصطادك أنت بالذات
يا بحري الذي يمتلئ بالذهب الحار والأساطير
لم أعد أعاباً بالصيف
ولا أهتم كثيراً بثلج الشتاء
ولا أبحث عن أي بحر آخر لأقيم فيه شعائري
وأؤدي طقوس صلواتي
التي أرهبها التسكع والنسيان
على شطوط الذاكرة الخربة
للملح
فقط
صرت أنت كل شيء
وبحرك هو الغابة
يا سمكتي الذهبية
عينك تفلت من الشص
وقلبي صار أرجوحة
لعصافيرك التي تنطلق من كل صوب .

عن الجنرال

قلبه ممتلىء بالشقوق والكلاب الضالة
عيناه مفرزتان من دم
كفه أصابع من سرطانات ومشانق
في عضلة القلب تسكن المقاصل بدلاً من الدم والأوردة
على طرف لسانه تقف ذبابة كهربائية
ويقال لها الموت الأحمر
خطواته على الأرض منجنيقات
ومذابح
في ثلاثته الأوتوماتيكية ترقد رؤوس أطفال
وأكباد أقمار
شرابه الوحيد كان من الدم الطازج
وجمجمات السلاحف
هذا الجنرال الأحمق لا ينام إلا على صوت الخنازير
وقطط الموسيقى
آه من صندله المصنوع
من أرغفة الشراشر
أنه لا يعرف القمر
فقط يصلب الليل
على سن إبرة
هل رتب المغنى الجوال منجله الباذنجاني
على سلم الموسيقى!!

عزلة القمر

في مثل هذه الليلة أيضاً
أريد أن أغني
ما الذي يجعل القمر مقروراً
وفي هذا الجزء

من فستانك
من يقطف شعر تلك الوردة
من على حصيرتك
أيتها المرأة لا تجعلى السماء تبكي في بئر روحي
شفتك السفلى برتقالة مشروخة
سنديانة وتقع في الأسر
لا تشغلوا بالها بالليل
فالقمر نفسه في عزلة.

إعدام سقراط

سألوه حقًا إن كان يؤمن بآلهة أثينا
أم لا
وماذا عن كاهنة دلفي التي تقول
إن الفضاء ما هو إلا قطع من زجاج مكسور
ومكعبات من اللذة
وكل تلك المرايا والأخاديد التي لا نهاية لها في
الهنالك
والتي تملأ الفضاء الغويط بالثقوب السوداء من أوله إلى آخره
وأن السماء - في الجوهر - تمتد إلى ما لا نهاية
والزمن يتمدد في اللامكان
وأن الصيرورة في الحقيقة ما هي إلا الإحساس الحي
واللاممسوك للوجود الفعال
في الفعل الإنساني
فاذا ما انعدم الوجود نفسه في لحظة ما من الزمن
انعدم الزمن بالأساس
وأصبح الرمز الذي يشير إليه الزمن
والمرموز إليه في نفس الوقت
هو الصفر

الصفير الكبير الواضح
الذي يتوسط الدائرة من أقصاها إلى أقصاها
ويربط ما بين أجزائها المنفصلة والمتصلة
حيث كل جزء من أجزاء الدائرة
هو عنصر حي وله وجود محسوس
في كل تلك العناصر المتموجة والفعالة
في قلب كل تلك الدائرة
ولا يمكن للدائرة أن تتم إلا به
فإذا ما انعدم هذا الجزء أو فُقد
انعدمت الدائرة بالأساس
وكأن لم تكن أبداً
ولم يعد هناك سوى العدم المحض
ذلك الخفاش الكبير والوطواط الأعمى الذي يسيطر
على نقطة البدء
وحتى خط النهايات
إذ ذاك تذكر سقراط الرحلة الوحيدة والمثيرة في حياته
والتي قام بها كجوّالٍ راسخ يحمل بقجته على كتفيه
وعصاه في يده
إلى مدينة الإسكندرية
حيث قابل هناك علماء اللاهوت
وأساتذتها الكبار
في الفلك
والهندسة
وعلوم الضوء
والكيمياء
والتحنيط
وفن الرسم

داخل المعابد والكهوف
وهناك وفي بيتٍ من الآجر بجوار فنارة الإسكندرية
حيث كانت تسكن هيبولينا
تلك اليونانية الشقراء التي علمته الأسس المعرفية البحتة
للجمال والهرمنيوطيقا وقالت له:
إن الجمال في الحقيقة هو إثم زائف لشيء لا وجود له
وإنما يكمن في الذات النازرة إلى الصورة
وهو معنى لا مبنى
لأن كل شيء زائل وإلى نقصان
والنقص هو الأساس الوحيد للكمال
وأن العدم هو الرمز الوحيد للصيرورة
هيبولينا تلك الفاتنة اللعوب التي قابلها آلاف المرات
على نفس الدكة الخشبية
وفي نفس البيت من الآجر والقش تقريباً
الذي يطل على الميناء الذي يمتلئ بالكراكي
وطيور أبي قردان
والأغربة التي ترفرف هنا
أو هناك
على صواري السفن البائدة
التي كانت تأتي من القسطنطينية
ولواء الإسكندرونة
وأرمينيا وآسيا الصغرى
وأذربيجان
وهي محملة باليونانيات الأسطوريات
وذخائر المعرفة
والحبشيات اللواتي كن يعملن في الدعارة الرسمية بدون أجر تقريباً
وأن ما تعلمه هناك على أيدي الكهنة المصريين

وعبد الصفر
لم يكن أقل كمالاً على الأقل من الواحد اللانهائي
والذي يسكن في المتعدد
ويقيم فيه
فيما الحارس اللعين ساليناس قد أخذ يطعنه بالخنجر في خصيته
وراح يطفئ الشموع المتناثرة الواحدة تلو الأخرى والتي تضيء عتمة السجن
وهو يصرخ في وجهه
بأن يشرب البقية الباقية من الكأس
لكي تنتهي كل هذه المهزلة اللإنسانية التي أقلقت أبناء أثينا السوداء
وجعلتهم شيعاً وطوائف
وأن عليه إن هو أراد أن يخرج من هذا السجن اللعين
أن يستمع إلى كاهنة المعبد المقدسة
التي أخذت الحكمة رأساً من فم الآلهة
ومن دون واسطة من أحدٍ
والتي أباحت الكافة للكافة
وجعلت المدينة الغراء ترقص وتغني
وشعر اليونانيون إذ ذاك بأنهم في عيد ميلاد دائم وبلا هموم أبداً
ولم يعد يقلقهم الموت في شيء
أو تزعجهم فكرة العدم الملعونة هذه
إلا أنه وفي هذه اللحظات
وقبل أن يتجرع القطرة الأخيرة من الكأس قال
كل مدينة تخترع آلهتها المقدسة بنفسها
سواءً كانوا من الحجر
أو من الطين
وتجدد من الحجج والمبررات
ما تقنع به حتى الكلاب والقطط
وأبناء الشوارع

واللقطاء

على أن هذه الآلهة هي الصحيحة والمعبودة الوحيدة بحق

وأن غيرها من الآلهة هي الزائفة والعدوة

انظر يا أفلاطون

كم من المحارث قد حرثت هذه الأرض

كم من الأنبياء الكذبة

والسحرة

والعرافين

وضاربي الدفوف قد مروا من هنا

كم من المجازر والدماء

قد سُفكت فوق كل هذه الأرض

من أجل الآلهة

وكاهنة المعبد الشرموطة هذه

وأضاف قائلاً:

الصورة تكمن في المرأة

ولا تكمن المرأة في الصورة

وما نحن - في النهاية - سوى المرأة التي تعكس الصورة

فإذا ما انعدمت تلك المرأة انعدمت الصورة

وإذا ما انعدمت الصورة فلا معنى للمرأة

بالأساس

وأخذ يتجرع السم رويداً

رويداً

إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة

وهو يقول:

يا لها من حياة

ويا لها من صور

الحقيقة متعددة جداً يا أفلاطون!!

طنجيس

إلى محمد شكري
ومحمد أحمد بنيس
وخالد الريسوني

برج البارود
الديوانية القديمة
برج الحاجوري
ساحة السوق الداخلي
جامع القرصية
مقهى الحافة
تلك كلها كافة المرايا
التي تحاصر طنجة الواطئة الحارة
والمستسلمة لشهواتها الداخلية
في فندق رمبراند
طنجة
التي يملؤها الأمازيغيون
والأعراب
من كل ناحية وهي تنظر إلى الأندلس العتيقة
وقصر الحمراء
بعين الماء
فيما أبو عبد الله الأحمر
يجمع نساءه
وقواد جنده
ويلقي بهم إلى المحيط
بينما محمد شكري يشرب حشيشته الرائقة
ويجلس متأرجحاً
بين جبل طارق
ومقهى طنجيس

وهو يقول
نهار آخر ضاع مني
فلماذا تركنا هذه المرأة وتغادر إلى بساتين
سبته وميليله
ومرتفعات شفشاون
وتنام في شوارع تطوان ومكناس
وتسلّح هدومها بالكامل
في أزقة الناضور
وهي تتسول الشمس في القنيطرة
عاريةً وحافية
وماذا أصنع أنا بكل تلك المراكب التي تعبر بعيداً
عن باب البحر
ومقبرة ابن بطوطة
ومدافع البرتغاليين.

الأرجانة

إلى
نعيمة زايد

فوق رأسها وضعت قبعتها الجلد البنفسجية
وشالاً من الحرير الأحمر
وهي تمسك بابتسامتها المشمسة بين يديها
فيما تكلم الله جهراً
أو من وراء حجاب
وتترك لعصافيرها الملونة
أن تنام هادئةً على المقعد خلفي
لسيارتها الأتوماتيكية
فوق أرجوحة
من شمسٍ متفرقةٍ

فيما هي تكتبُ قصيدتها البكر والتي تشبه جبال الأطلس

على ورق من زهور الصباح

وفي المساء تنام ناعمة

أمام جامع القرويين

أو باب الماكينة

وهي تغني لعدد هائل من عشاقها اليتامى

أيها الله

أيها الرب

يا ساكن السماوات العلا

أيها الجالس هناك على العرش

وحولك المقصورات في الخيام

والحور العين

لن نغفر لك أبداً كل هذا اليأس

الذي تريقه فوق شوارع فاس

وعلى أبواب طنجة

الواطئة الحارة

التي تأخذ البحر بين يديها وتنام

على ورقٍ من اللازورد

مثل عروس

في ليلة الدخلة

ولن نرتكب أبداً حماقة الانتظار

على مضيق جبل طارق

أو في شوارع طريفة

ولا في أزقة ميليلية

أو سبتة

لنركن زهرة يابسة قد نسيها الزمن

في مقهى طنجة

أو فردة حذاء لمحمد شكري

ولا طاقة ابن خلدون

أو جلابيته المعلقة
على سقاية النجارين
فيما أبو عبد الله الأحمر يكي أمام أمه
الملطومة
فوق مئذنة عمياء
من مآذن تطوان
وهو يلقي بنسائه الأندلسيات
وهن يضربن بخُمرهن
على جيوبهن
مثل أكوام من القمامة
على باب قصر الحمراء
ونافورات غرناطة المتلائية
وإنما سنأخذ بالغناء
- وطيلة كل هذا الليل البئس
من التعب والأسى -
لكل هذا العدد الهائل من طيور النوارس
المغادرة
وطيور البطريق التي تهبط من الأفق
كالأرجوزات
كما لن نغفر لك أبداً
كل هذه الحياة التي تضج
بالخنافس
وأسمك القرش المتوحشة
والتماسيح
إلى أن تكنس بمكنستك الهائلة
كل هذه الجيوش الجرارة
من التماثيل
والنمل الأبيض
والذباب

والبعوض
والقمل
وكل أولئك الأعراب
الذين جاءونا من الصحروات الجهنمية
فوق جمالهم المتهالكة
وبغالهم الجربانة
بكل تلك الأكاذيب المطاطية
وصلواتهم البطالة
عن الله
على حصيرة من خنفساء
معقوفة
لكي ندخل الجنة من الباب الخلفي
للمحيط
في انتظار أن تفتح لنا الأبواب الأخطبوطية
لمدينتك العاقر
عين اليقين
على أمل أن نلتقي بك في يوم من الأيام
في أحد الطرق الجانبية
لمملكته التي لا ينام فيها أحد خالص
والتي تسكن فيها بمفردك
إلهنا اغفر لنا خطايانا
التي ارتكبتها بعيداً
عن الجمال
والشعر
نعيمه
يا حمامة الله
ماذا أفعل أنا الآن في باب مكناس
أو عين عتروس
وأنا أشرب اللبن الرائب

وأطارد نعيحة سائبة
وفراخ الماء
في عين السبيل
وعلى باب أبي الجنود
وأمام جامع القرويين
وضعت سلتني
ونمت !!

صورة على الجدار

إلى
محمد رميص

هذه الصورة حتماً ستفقد الروح
أو ستقف شاهدة على الجدار
فمرة ذهبت بها إلى الهند
واكتريت عربة راكشا
ومرة ذهبت بها إلى طشقند
وعشقت امرأة أفخاذية
ومرة ذهبت بها إلى فاس
وفي طنجة أخضعت الشمس لعملية جراحية
وأخفيت النجوم في سراويلي
وأنا على سرير امرأة يقال لها فاطمة الزهراء
كانت تشبه الأورجازم في تنوعاتها
وهي بملابس الإحرام والنوم
إلى أن رأيت الله جهرة
لا من وراء حجاب
وقال لي من أنت
قلت أنت
وأخذت ألاعبه الحجلة وأحكي له

الحكايات إلى أن انتصف الليل
وعند الفجر تركني وغادر
وفوق سريري خلف وراءه
دمعة منكسرة
فماذا ستفعل صورة على الجدار
مثل هذه
لرجل ظل يكتب الشعر
إلى أن مات؟
وماذا سأترك لأبنائي غداً
صورة معلقة على الجدار
ورقة صغيرة تتحب
طائر يبكي في قفص
سجارة تشكي من الوحدة
أزرار قميص تتآكل
أو قصيدة في مستنقع
يا الله
سامحنا على كل هذا الشعر
الشر
الذي لا يساوى خنفساء جاحدة
فوق رصيف مهجور؟؟

برج مولاي عمر

إلى
مريم البقالي

(1)

سنستعمل معاً نفس الطاقة التي كان يستعملها ابن رشد
وهو يقف على شاطئ الأندلس العتيقة
فيما - هو - يخلع نعليه على باب البيرة

وباب أبي الجنود

وساحة البيازين

وينظر إلى قصر الحمراء بعينيه المبعثتين بالدم والتوتياء
وكوفيته التي اشتراها مؤخراً من أحد الموريسكيين اليهود
وسنقف معاً على باب الماكينة
فربما يمر أحد الخبازين لنشتري قطعة من الخبز المحروق
- فيما كنت أخبئ روعي النفائث في ذيل فستانك المزركش
خشية الحسد

والشر -

لنجلس معاً وذات ظهيرة غاوية على باب القرويين
أو تحت سقاية النجارين
لنقرأ معاً صورة النجم إذا هوى
أو آية الكرسي
وسوف نتبع كذلك الشيخ محيي الدين بن عربي
في آخر فتوحاته
وهو يطوف على جملة الأعرج الكفيف
في شوارع فاس
ليقابل هناك ابن خلدون وهو يدون مخطوطاته
عن العصبية والدولة
أو ليتسول لقمة ضريرة
لقبرته التي خبأها بعيداً عن شوارع المرية
وحارات قرطبة
وجبال البيازين
فيما هو يبحث كذلك عن الله بين الكاف والنون
وينام تحت عريشة من الأوكاليتوس
التي لا تظلل إلا عورته فقط
وفيما هو يتذكر باب الرملة
وضياع عين الدمع
ودير القديس خيرينمو

وشوارع نهر الشنيل الخالية
من المقصورات في الخيام
والحور العين
ويترك فصوص الحِكم
وكتاب الفتوحات
تحت أقدام كل عابر السبيل إلى مكة
على باب التوابين

مريم
أيتها النبوة البتول!!
من منا سيتذكر الآخر أولاً
أنا

أم أنت؟
أم تلك النجمة التي استطاعت وبقوة غادرة
أن تقبض على آخر سمكة في المحيط
وحقها التاريخي في البحث عن وحدة الوجود
والعلاقة ما بين الذات والذات
أنا

أم أنت؟
أم ذلك الزمن الضير الذي يحمل فأسه العدو
على كتفيه
ويديه العنكبوتيتين يقطع وبضراوة بالغة
كافة الأوردة والشرابين
التي تنمو وبغزارة على كافه الجذور التي نقيم فوقها شرائعنا المنحوسة
وراياتنا الخفاقة والتي تربط ما بين دمي ودمك
وكل خلية من جسدك الذي يزهو حتى على الصورة
ويرفرع عالياً فوق الفوتوغرافيا
ولا يترك على الأرض سوى رائحة الذكرى
التي تشبه حفيف الملائكة

مريم

من منا سيقطف حليب الفجر الصافي أولاً

ويمشي على الماء

ودون أن يتل حتى ثوبه العريق

أو يرف له جفن

أنا

أم أنت ؟

مريم

من منا سينام واضعاً الشمس في يمينه والقمر في يساره

فيما هو يخبئ النجوم بين إصبعين من أصابعه الرنانة

ويلقي بها إلى الفقراء

والمعوذين

الذين يمشون على الأرض هونا

ويحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف

من منا سيحمل سفينة نوح بين كفيه

ليعبر المحيط مرة أخرى

إلى طريقة

ومياه نهر حدرة

ذلك النهر العجوز الذي ينبع من عين الكوثر

ويقف خاشعاً على أبواب فاس

وهو يحوي بين رماله ذرات من الذهب الخالص

وكما يزعم الموريسكيون القدامى

أن تيارات الماء تحملها من تبة الشمس

الكائنة هناك

وراء جنة العريف !!

مريم

أيتها النبوة البتول !!

كنت أمشي في شوارع تطوان تلك الحمامة البيضاء

التي ترفرف على صدرك في صباحات العيد

والصوم الكبير

وعلى أطراف ميليلية
وأذكرك وأنت تنظرين إليّ
بعينيك الشهوانيتين اللتين تعبان الوحدة
من عين واحدة فقط
هي عين النعيم
ولا تتركبان إلا من كلمة واحدة فقط
هي الله
مريم
أيتها النبية البتول
صوتك يتسلل إليّ عبر منافي النسيان والزمن
وحتى من بين مسام الأرض
وسقوف الروح
وصفحات التاريخ المجهولة والمرئية فيما بين الكاتدرائيات
ومسالك البلدان
وعبر صفحات التاريخ المطمورة
وحدود الأنطولوجيات
والجغرافيا
فيما صوتك الذي يشبه إشعاع الذات وإيقاع الزمن يخترع الفجر
في عز الظهيرة
فقط
انظري إليّ
كلميني
وأنا أضمك إلى صدري
ونحن نطارد الفراشات والنحل
يا غابة السنديان
والمرمر
المجد لك في الأعالي
وعلى روحك المسرة
فقط أرجوك

اطلعي فراشتك الخضراء

لتحط على غرفة نومي!!!

(2)

أضحك فيمتلئ حقل الضوء بالعصافير

أبكي فتقف السماء شائخة وعلى قائمتين

أكلم حبيتي

فتنفجر الينابيع في الأرض

اسرقي شجر الضوء مني أيتها الرملة

كلمني أيها العصفور الضرير

خذ بناصيتي أيها الفجر

المضلل

لا ليس خطوي هو الذي يبتكر السماء

لا ولا حتى جلابيبي هي التي تكشف عن حقيقة المجاز

وتكتشف خيانة اللغة

جبينك كأس مدلل

وأنا أموت من العطش

ثمة محارث وتقف على حافة أرغفتي

وبيوتات وتنام في العراء الطلق

وتحت مخداتي

زيني جسديك للهو أيتها الوردة

الليلة سوف يكون عندنا ضيوف من الملائكة

والخبازين

وسوف يقف الله بنفسه ليوزع الخمر

على المصطافين

في جنة العطش هذه

مائدتك تسع السماء والأرض

وليس عليها من طبق فارغ سواي

كان الله في عوني أيتها الملكة

أنا العارف الوحيد

في جنتك الشوكية هذه
والمكتظة بالفراشات
والنحل !!

(3)

سأنظف البيت كما ينبغي
وسأنعسُ أمام شمس ضئيلة توشك أن تنفجر
أو حتى تخرج من النافذة
وسأجمع بعض الفراولة من الحكماء
والفلاسفة
وطبقات الشعراء المأفونين
وأشعل فيهم النيران
هؤلاء الشعراء الكفرة الذين توضحوا
بدم اللغة
وساروا يحملونها على الأكتاف وإلى الأرصفة
ليبيعونها كقطعة خرقة
أو أنبوبة بوتاجاز
لقاء عملة معدنية مزورة
أو وظيفة سائبة في دورة مياه عمومية
وسأنسى أنني وذات يوم صائف
قد ذهبت إلى البحر
من أجل أن أعثر على رأس هيباتيا
أو يوحنا المعمدان
أو حتى فردة حذاء قد تركتها الجميلة كليوباترا
كاسطرلاب أخير على ناصية الزمن
على رصيف الإسكندرية الخالي من الطوايط والنمل لا شيء إلا لأن
حبيبها الإسكندر الأكبر
قد تفرغ لعباده آمون
وراح يسجد للشمس
من دون القمر !!

فيما هي - أقصد الجميلة كليوباترا -
قد أخذت تغسل له المواعين والبقع الرملية
التي راحت تظهر على السكك
وهو لا يكل عن المراودة
أو القتل
وراحت تدلك له قدميه المنملتين
اللتين أصيبتا بالتصدع
والقشف
من فرط ما أغرب طويلاً في البلدان
بحثاً عن تلك اللؤلؤة الخالدة هناك
في قلب الإسكندرية
كليوباترا
الأمر الذي كلفه عشرة آلاف قتيل
ومئات الآلاف من الجرحى
ناهيك عن المدن والبلدان التي احتلها والتي راحت
تغص بالجوعى
والعاطلين عن العمل
لقاء حلم بسيط لكاهنة
كانت تمارس البغاء وبضراوة تحت بثر السلم
وأمام معبد دلفي
نعم سأنظف البيت كما ينبغي
وأجلس على عتبة الباب
لأراقب كل تلك الكلاب الضالة
التي تعبر أمامي في السكك بحثاً
عن لقمة خبز
أو حتى إقامة جبرية
فوق أحد السطوح
ولن أفكر طويلاً في الواحد أو المتعدد
ولن أنشغل بما كان يشغل رأس الحلاج وهو على الصليب

في لحظة الموت الأخيرة
وماذا كان يترأى له وهو يقول
اقتلوني يا ثقتاتي
أو ماذا كان يعتور النفري
وهو يدون المواقف والمخاطبات كلمة كلمة وحرفاً حرفاً
وهو يصرخ بملء فمه
إذا اتسعت الرؤية ضاقت العبارة
ولا ما إن كان الجنيد قد توصل إلى حقيقة الحقائق
أن الكل في الواحد
والواحد في الكل
ولماذا أشغل رأسي أنا بكل تلك الأسئلة الفارغة
العقيم
عن العدم والوجود
أو إن كان الصفر أسبق من الواحد في الحقيقة
أم أن الواحد هو الذي ألزم حقيقة الصفر
وماذا يشكل الواحد أو الصفر في نهاية الأمر
ولا ما إذا كانت السيدة مريم العذراء
عذراء بالفعل
أم تلك أسطورة المرايا
والمؤرخين
وماذا سيستفيد الجالس هناك على العرش من رحلة الهلاك هذه
والتي تبدأ بالوجود
وتنتهي بالموت
أو إن كانت هذه الرحلة هي مجرد معبر من صورةٍ
إلى صورةٍ
أو مجرد تغير في الشكل أو طريقة المعيشة
ألم يقل الجامعة أن الكل باطل
وقبض الريح!!
عليّ أن أقوم إذاً لأنظف ثيابي من البقع اللعينة من الزيت

أو لأجمع سلة البطاطس هذه من على المائدة
وربما سأبيع اللفت والخيار في سوق الثلاثاء
وسأقوم إلى كافة الاستعارات
التي تركتها على المائدة
كوسخ زائد عن الحاجة
وأطوح بها إلى اللاشيء
لأنها لا تساوي بصلة ناشفة
أو حتى تذكرة قطار معطوب
ربما يبول عليها كلب عابر
أو يلقي بها أحد المارة في سلة مهملات
لقاء ما أكرمت في حق امرأة ظلت تنتظري على الرصيف المقابل
ثلاث ليال سويًا
ولا تكلم الناس إلا رمزاً
وأنا أطارد قصيدة عمياء وهي تنتقل أمامي
من حانة إلى حانة
ومن مقهى إلى مقهى
إلى أن قبضت عليها من هدومها
وهي في غاية الوسخ والضيق
وربطها من رقبتها في شجرة نبقٍ
قديمة
آه يا حبيتي
الأشعار كلها زائفة
إذا لم تأكل وتشرب معي على نفس الطاولة
ومن نفس الوعاء الذي أتناول فيه طعام إفطاري
أقصد خيأتي اللانهائية
فأنا ملك الخيبات بلا منازع
وأنا أخرج عضوي لكل ما في هذا العالم من جمالياتٍ
أو ميثولوجيا
ألم أقل لك

إنني سأنظف البيت كما ينبغي
وسأنسى كافة حيواتي السابقة
بكل ما فيها من شرور وآثام
وسأنعس أمام شمس ضئيلة توشك أن تنفجر في المخيلة
وأن تخرج من النافذة
وسأضع يدي في جيبى وأخرج حبة فراولة
لألقي بها إلى المارة
لعلهم يتذكرونني كأحد الشعراء العظام
الذين مروا من هنا
في تاريخ البشرية اللعين
والمليء بالجماجم والدم
هيباتيا
أين أنت يا حبيبتي التي ترقد هناك في المقابر
والتي سلخها القساوسة الكلاب
والنحاسون
ومزقوها على رصيف الإسكندرية شر ممزق
وتركوها هناك لقمة سائغة للقطط
والخنافس
من أجل يسوع المسيح
كل ذلك تحت أعين المارة
وعين السماء التي لا تنام أبداً؟!

الموريسكيه

إلى
إيمان زكريا

(1)

سنقتسم معاً رغيف الخبز وكسرة الريح
وندور في الشوارع كالضالين

أنت تلعبين بالفراغ كالفراشات
وأنا أطارد النمل
والقطط
أربط قمصاني الى الهواء
وتنزعين ياقتك البيضاء وماضيك المشيع باليأس والوحدة
على فلقة بطاطس أو رغيف خبز
ربما يمر أحدهم ليرانا ويقول
عاشق
وعاشقة
أنفك جزيرة من العطر
وشعر رأسك برتقالات
كلماتك من ضحى الأغاني
وخطواتك على الطريق شجر
بللوا شعرها قبل أن تنام بالقبل
غسلوا نعلها بالشقائق
اكتبوا كلماتها على الجدران
والنوافذ
اقرؤوها لأولادكم في الصباح والعشى
وقبل أن يناموا
حببيتي التي تغترف من الدمع طائرة ورقية
وتذهب بها إلى البساتين!

(2)

أمس
كتبت قصيدة لحبيبي وغنيت
أنا لحبيبي وإلي اشتياقه
حبيبي مد يده من الكوة فأنت عليه أحشائي
شعر حبيبي أبيض وأحمر ومعلم بين ربوة

شفنا حبيبي غابة من الكريستال
انف حبيبي برتقالة من السكر
خد حبيبي
نهر غسل
اسقيني خمرتك يا حبيبي فأنا وحيد في هذه البلدة
وقد أقبل على الليل وانطفأت النجوم
وهدّني التعب من السير في السكك
أصدقائي تركوني على الأبواب كاليتيم
أمس
أمي ذهبت إلى القبر ولن تعود
وأبي لم يعد يسمع عني
أخوتي تركوني مع الذئب في الفلاة
فالتقطني بعض السيارة
وباعوني بثمن بخس
كلماتي ما عادت تسمع من بعيد
على رأسي وضعت علامة على المحبة
وتهت في السكك
أخذني الحرس الطائف في المدينة وسألوني
عن رقم هويتي الشخصية
وعنوان بيتي
عن اسم أبي وأمي
فقلت لهم اسم حبيبي كاملتي
صرابوني بالسكاكين والبلط فما تكلمت
مزقوا أوردتي بالشراشر
فما نظرت نحوك
لم أحدثهم سوى عن عينيك اللتين تسكنان في السماء
عن شفتيك المطعمتين باللؤلؤ

عن أغنياتها التي سرقتها منها الغجر في الفجر
عن خطواتها التي تنبت شجراً
في السكك
وتطرح أيائل على الأرض
ولكنى لم أحدثهم ولا مرة واحدة عن خمرة
يديها اللتين تسيلان على الجدران
ولا عن كلمتها التي يحفظها الهواء عن ظهر قلب
لا ولم أحدثهم كذلك عن رغيف خبزها
الذي ليس له مثيل
ويطعم الآلاف من الجوعى
ولا عن رنة خلخالها الذي تصلح قاعدة للأغاني
من رأى منكم وجه حبيبي
فليدلني عليه
فأنا تعبت من السير خلفك في السكك
صباح الخير أيتها السيدة
عطرك يسمع من بعيد
أما أنت فمعجزة الرب
في هذا العالم!!

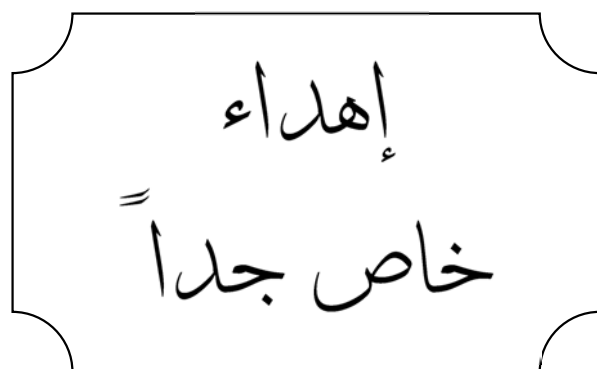
(3)

سأستقبل حبيبي بفم باسم
وأحدق طويلاً إلى عينيها الجميلتين
وأقول لها
صباح الخير أيتها الوردة
اليوم خرجت إلى الأسواق لأشتري لك
سمكة الحرية
لتبتلعي الحوت الأكبر الذي في اليم
الحوت الذي يعشش عليك ويسرق خبز شفتيك

وحليب أيامك
سأسرق لك الزمن لتعلقينه حول رقبتك
كحلية تلبسيتها ضد المرات
والهزيمة
وسأدور على كل بيت في هذه البلدة ليعلقوا
صورتك كالأيقونة
وشارت زينة
وسأجلب لك من بنات فارس الاسطوريات
فراشة واثقة
لتنام تحت مخداتك في الليل
وفي الصباح تغني لك أغنية مرحة
عن الربيع
وتضع تحت رأسك النجوم
في الظلام الحالك
أيتها الحبيبة باللذات
ما أنت إلا الزمن تحمليه
في جالبيك
وبين قمصانك
وعلى أوردة روحك يقف التاريخ شاهداً
لي عليك
اسقيني خمرك
فأنا تعبت من الملح
كوني شجرة ظلي وغابات حناتي الرائجة
وأنا سأكون لك حارسك وعشبة الحق
أترك لي يديك المطعمتين بالتوت البري
وحليب القبلات
وأنا سأكون لك النعمة الأخيرة

في سيمفونية
العالم
علميني أيتها النبوة المقدسة
كيف تخترعين أساطيرك
وحكاياتك الملونة على الطرق
فشمسك غاوية وما لها من مثل
في مثل هذه الساعة من كل يوم
يقف طائر الوحدة على شرفتي
ليحكي لي عن آخر أغنياتك
أنا إنائي فارغ
وسلة خبزي خاوية
وأنا جائع وأبحث عن خبزة وحيدة
في هذا العالم الشرس
ماذا سأقول لأمي إن هي سألتني عنك
يا حبيبتي
يا كاملتي
ما شكل جبينها قل لي
وما هو لون عينيها
وماذا تأكل بالنهار
وماذا تعمل في الليل
ارقدي إلى جنبي في سرير واحد
الأصحاب يسمعون صوتك وأنا انتظرك
عساك أن تمر
ارقدي إلى جوارِي يا حبيبتي يا كاملتي
عسى أن نغسل عن القمر بعض الأحزان
وعسى أن نقول للزمن توقف أيها المراوغ اللص
فما زال على الفجر بعيد

وأنا آخذ حبّيتي كاملتي
في حضني
أيتها الشمس اتركينا هنا على الأرض
لنغني أغنياتنا الجريحة التي تشبهنا معاً
ولا يعرفها أحد سوانا
وأنت يا فراشة الرماد اذهبي بعيداً بعيداً
عن أغنياتنا الجريحة
فنحن ممتلآن بالأريج
والحدائق الملونة!



إلى ...
السيدة ع . ع
في دمشق الحبيبة

سوف يتوقف النهار طويلاً
وكإحدى البجعات الجميلات
أمام جسمك القوي
الصارخ في البرية
أنتِ
يا أخت الربيع والياسمين
أيتها الفراشة الطالعة من فستقات دمشق
وعناقيد قاسيون
أيتها الأميرة
المتوجة ملكةً
يا المرأة
التي تعرف كيف تحيل كل هذا الجسد الفاتن
إلى سيمفونية
بحجم الربيع
أيتها الطاغية
في أنوثتها
أمام أنفك الشهواني
وشفتك التي تضج
بالحليب
والشهوة
سوف يتوقف ملك بالوية ودروع
ليركع تحت ظل شجرتك العالية
وأمام ثمرتك الغضة
سوف يتخلى عن كافة فتوحاته
أما عن صدرك
فيا له من طائر رهيب

أنا
أعرف جيداً
أن الله
حين أراد أن يشكلك
بإحدى يديه الرحيمتين
قد أخذ عطلةً رسميةً
وتفرغ لألف سنة
فقط
لكي يتخيلك
ماذا
أفعل
أنا العاشق
أمام جبروت
نظرتك.

الفهرس

3		أسلاك شائكة
81		منعرج الكثافة اللاإنسانية
127		أحجار الغابة السوداء
243		درب البرابرة
431		إهداء خاص جداً

